الكتاب : مأساة الزهراء الجزء الثاني
المؤلف :
المحقق :
الناشر :
الطبعة :
عدد الأجزاء : 6
مصدر الكتاب :
[الكتاب]

..."...ويظهر من الآية – ومن جو القصة – أن هؤلاء القوم لم يريدوا الاقتناع بل دخلوا في جدل عقيم لا يحقق أي هدف ، ولا يصل إلى أية نتيجة .. مما دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى طرح المباهلة عليهم ، كأسلوب من أساليب التأثير النفسي الذي يُشعرهم بالثقة المطلقة بالعقيدة الإسلامية وبمفاهيم الدعوة الجديدة .. حتى أن النبي كان مستعدا لأن يعرّض نفسه للموقف الصعب عندما يقف مع أهل بيته ليواجهوا الآخرين بالوقوف بين يدي الله .. فيما تنازعوا فيه فيطلبوا منه – سبحانه – أن يجعل اللعنة على الكافرين .

...وقد أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يزيد الموقف تأثيرا في الإيحاء النفسي لدى الآخرين بالثقة ، فلم يقتصر على تقديم نفسه للمباهلة والملاعنة ، بل طرح القضية على أساس اشتراك أهل بيته – معه في ذلك – مع أن بإمكانه أن يحصر الأمر بنفسه ، دون أن يترك ذلك أي تأثير سلبي في الموقف .

...ولكنه –كما أشرنا – أراد أن يعطيهم الإيحاء بالاطمئنان الكامل بصدق دعواه ، لأن الإنسان قد يعرض نفسه للخطر ، ولكنه لا يعرض أبناءه وأهل بيته لما يعرض نفسه لما يمكن أن يتفاداه.

...ولهذا أدرك القوم الموضوع وأبعاده ، فاهتزت أعماقهم بالخوف من الخوض في هذه التجربة التي تستتبع اللعنة الفعلية التي تتجسد في عذاب الله وعقابه ، فأقلعوا عن الأمر وقبلوا الصلح..."(1).

وقفة قصيرة

...1– ونريد أن نلفت النظر إلى أن هذا البعض يرى أن إشراك أهل البيت في أمر المباهلة هو أسلوب اتبعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للتأثير النفسي على الطرف الآخر . فهل هذا يعني إبعاد قضية المباهلة عن أن تكون بمستوى الجدية الحقيقية ، ومواجهة الطرف الآخر بالموقف الحاسم والحازم ، وإنما

هي مجرد أسلوب من أساليب المناورة للتأثير النفسي على الطرف الآخر ؟

---

(1) – من وحي القرآن ج 6 ص 38 و 39 .

...2– هل يعني نسبة هذه المبادرة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه بقرار منه بتقديم أهل بيته الذي تربطه بهم رابطة المحبة والعاطفة ، ، هل يعني ذلك محاولة إبعاد القضية عن أن تكون تدبيراً إلهياً ، وقراراً ربانياً ، يعطي الدلالة القاطعة على ما لأهل البيت من مقام عند الله مما لم يذكر لأحد سواهم ؟

...وقد اشرنا في كتب مأساة الزهراء (ع) الى إخلاله بهذه المنقبة فلتراجع هناك .

...وقد خرجت الروايات الكثيرة التي وردت في هذه المناسبة وأشارت إلى فضل علي ومقام هؤلاء الصفوة الذين أخرجهم رسول (ص) لهذا الأمر العظيم والخطير .

...قال البعض في تفسير قوله تعالى :

... { فإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة الأرض تكلمهم: أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ، ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون } (1)

... ". . . وقد افاض المفسرون كثيرا في الحديث عن الدابة ، في طبيعتها الإنسانية ، والحيوانية ، وفي صفاتها الغريبة وفي كيفية خروجها .. ومضمون كلامها .. مما لم يثبت به حجة قاطعة .. وقد لاحظنا أن القرآن وضعها في موضع الإبهام .. ولم يفصل أي شيء من هذه الأمور ، فلنترك الخوض في ذلك كله .. لأنه مما لا فائدة فيه على مستوى النهج القرآني في مضمونه وإيحاءاته

...{... ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا } فلا يقتنع بما تفرضه من الإيمان بالله ، ورسله ، واليوم الآخر ، بل يبقى مستمرا في غيه وعناده { فهم يوزعون } أي يحبسون ويوقفون ، بحيث يرد أولهم على آخرهم – كما هو معنى الايزاع .. وذلك هو يوم القيامة الذي يحشر الله فيه الناس كلهم ، والمؤمنين منهم ، والمكذبين بآيات الله " (2) .

...

وقفة قصيرة

---

(1) –سورة النمل ، الآية 82 و 83 .

(2) –من وحي القرآن ج 17 ص 280 و 281 .

...1- إننا إذا رجعنا إلى الأحاديث الكثيرة المروية عن أهل البيت (ع) ، ومنها ما هو صحيح سنداً ، فسنجد أنهم عليهم السلام، قد فسروا قوله تعالى : { ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون } بما ينطبق على أمر الرجعة في آخر الزمان ، قبل يوم القيامة، و قد تضمنت هذه الأحاديث استدلالات منهم عليهم السلام على هذا الأمر ؛ يقول الإمام الصادق (ع) : أفيحشر الله يوم القيامة من كل أمة فوجا ؟! ويدع الباقين ! لا ، ولكنه في الرجعة . وأما آية القيامة { وحشرناهم ، فلم نغادر منهم أحدا} (1) .

...فلماذا لا يلتفت هذا البعض إلى هذه الروايات الكثيرة والمعتبرة، والى ما هو الحق في تفسير الآية ؟ هل لأن الأمر يتعلق بالرجعة ؟! (2)التي نعرف موقفه منها .فإنه وإن كتب في اجوبته على بعض المسائل المرسلة الى قم ان أحاديثها متواترة ، لكنه في اكثر من موضع ، قد حاول أن يؤولها ويشكك في معناها . وقد تقدم في الجزء الأول من هذا الكتاب في الصفحة 232 و 233 وفي كتاب "مأساة الزهراء " في الجزء الأول في الصفحات 103 - 106 متنا وهامشاً ما يفيد جداً في هذا المقام .

...واللافت للنظر هنا : أنه هو نفسه خلافا لما يقوله أئمة اهل البيت عليهم السلام ، يقول :" وذلك هو يوم القيامة الذي يحشر الله فيه الناس كلهم ، مع أن الآية تتحدث عن حشر فوج من كل أمة " .

...2-هناك روايات صحيحة السند بالإضافة إلى الكثير من الروايات الأخرى مروية عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام وكذلك عند اهل السنة تفيد: أن المقصود بدابة الأرض التي يخرجها الله لعباده هوعلي أمير المؤمنين عليه السلام ،فإذا كانوا عليهم السلام قد تحدثوا عن هذا الأمر ، وأوضحوه ، فلماذا يعتبره هذا البعض مما لا فائدة فيه لا في مضمونه ، ولا في إيحاءاته .؟!

---

(1) - الكهف الآية 47 .

(2) -تفسير القمي ج 2 ص 130 و 131 وتفسير البرهان ج 3 ص 210 .

...وإذا كان هذا الأمر قد ورد بروايات مستفيضة ، وبعضها صحيح السند ، فلماذا لا يشير إلى ذلك على الأقل ؟!.

...وإذا كان الخبر الصحيح ، والمستفيض ليس حجة فما هي الحجة إذن ؟ على أمر لا يثبت إلا بالنقل ؟!..

...وأما دعوى لزوم كون الخبر متواترا في ما سوى الأحكام الشرعية فهي دعوى باطلة جملة وتفصيلا وقد تقدم ما ينفع في المقام . مع أنها دعوى تؤدي لزوم إلقاء القسم الأعظم من أحاديث النبي (ص) والأئمة (ع) لعدم جدواه . وذلك من أجل أن يصبح المجال مفتوحا أمام استيحاءات حضارية ، واستحسانات تقدمية لهذا أو ذاك من الناس . أما الأحاديث عن أهل البيت ، بأسانيد صحيحة ، أو

معتبرة أو مؤيدة بالقرائن ، فلا بد من إبعادها عن حياتنا الفكرية والثقافية كما يظهر مما يقوله هذا البعض .

...3-إننا نلاحظ أن هذا البعض الذي تجاهل الروايات الكثيرة التي تفسر الاية وتطبقها على علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام .. وعجز عن رد هذه الروايات بطريقة علمية الى اسلوب التنفير ، بالاستفادة مما ارتكز لدى العوام في معنى كلمة " دابة " حيث إنهم لا يأخذون بمعناها اللغوي ، بل يقصدون بها البهائم التي اعتادوها وألفوها ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد استعمل هذه في كتابه العزيز، واراد بها ما يمثل الانسان ، فهو يقول :{ والله خلق كل دابة ، فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على اربع}(1) .

...وقد فسر من يمشي على رجلين بالناس ، وفسرت الدابة في اللغة بكل ما يدب على الأرض ..

...لكن هذا الرجل يرفض تفسير الدابة بما ورد عن الأئمة عليهم السلام ، وبما تؤيده اللغة ، مستفيداً – كما قلنا – من أسلوب التنفير للناس العاديين . الذين لم يعرفوا معنى هذه الكلمة من مصادره الصحيحة والمعتمدة ، فهو يقول :

" تفسير (دابة الأرض):

---

(1) –سورة النور الآية 45 .

...ذهب العلامة " القمي " في تفسير قوله تعالى { فإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلمهم } /النمل-82، على أنها تخصّ علي (ع) آخر الزمان استناداً الى حديث مجمله أنه (ص) دخل المسجد فوجد علياً مضطجعاً وعند رأسه كومة رمل فدفعه قائلا " قم يا دابّة الأرض " ثم التفت اليه وقال : با علي اذا كان آخر الزمان بعثك الله فليس من ينصب به عداءك؟

يجب أن ندقق في الحديث لأنه ليس كل حديث يجب أن نأخذ به خصوصاً اذا اردنا أن نعرضه على القرآن فدابة الأرض هو التعبير عن الدابّة بخصوص اللفظ أما أن يعبّر عن الإمام علي بالدابة فهذا تعبير لا ينسجم مع موقع الامام (ع) لأن دابة الأرض هي حشرات الأرض واذا اردنا أن نعظم الامام علي (ع) فيجب أن نأتي بكلمة تليق به وحتى لو كانت استعارة لمعنى آخر فلا بد أن تتناسب مع طبيعة المعنى الجديد . اننا عندما ننطلق مع السياق القرآني نرى أنه لا ينسجم مع مقام الامام علي (ع) ... " (1).

يقول البعض :

..." وو ث سليمان داود " كما يرث الابن أباه ، في ملكه وماله، وكما يرث الأشخاص الموقع والدرجة

وكما يرث الأنبياء الرسالة ممن تقدمهم ، لا بمعنى الإرث المادي لأن الله هو الذي يعطي الرسالة والموقع والدرجة العليا ، للمتأخر من الأنبياء ، وليس هو النبي المتقدم ، بل بمعنى الامتداد الذي يجعل من كل واحد مرحلة متصلة بالمرحلة السابقة فيما هو امتداد حركة النبوة في الحياة وهكذا أخذ سليمان موقع أبيه .. وأراد أن يعلن القوة التي يملكها في مواقع المعرفة ، ليعرف الناس من قوته الجانب الذي يربطهم به ليزدادوا التصاقا بشخصيته واتباعا لرسالته(2).

...ونقول :

... سيأتي الحديث عن ذلك في تعليقنا على الفقرة التالية.

يقول البعض :

---

(1) – الندوة ج 1 ص 308 .

(2) – من وحي القرآن ج 17 ص 217 .

..."..{ وكانت امرأتي عاقراً } مما يجعل المسألة صعبة أو مستحيلة على مستوى الوضع الطبيعي . فأراد أن يلتمس لنفسه الأمل من خلال قدرة الله " فهب لي من لدنك وليا " فيما تعنيه الكلمة من الشخص الذي يلي أمر الإنسان فيعينه في حياته ، ويخلفه بعد موته، وربما كان في التعبير بكلمة " من لدنك " ما قد يوحي بأن المسألة لا تتصل بالحالة الطبيعية للسبب ، بل بالحالة الغيبية التي لا سبب فيها إلا للقدرة الإلهية المباشرة " يرثني ويرث من آل يعقوب " ليكون امتدادا للخط الرسالي الذي يدعو إلى الله ، ويعمل له ، ويجاهد في سبيله ، ولتستمر به الرسالة في روحه وفكره وعمله .

ما هو المراد بالإرث :

...وقد أثيرت في هذه الفقرة مسألة ارث المال ، وهل هو

المقصودبكلمة الإرث ، أو أن المقصود به ارث العلم والرسالة ، لأن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، بل ورثوا شيئا من علومهم .. وربما اتصل هذا الحدث بمسألة ارث السيدة العظيمة فاطمة الزهراء فدكا من أبيها محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومدى صحة الحديث الذي واجهها به أبو بكر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة .. وغير ذلك من التفاصيل .

...وقد أشرنا – فيما تقدمنا من حديث – إن المال لم يكن هو الأساس في الإرث في تفكير زكريا ، لا من جهة أن الأنبياء لا يورثون ، بل لأن المال لم يكن في مستوى المشكلة المعقدة لديه ، فيمن يملكه

بعده موته .. وذلك انطلاقا من خلو الساحة من بعده ، من شخص يحمل الرسالة مما يجعل القضية في دائرة الخطورة فيما يتطلع أبيه (1) زكريا من مستقبل الرسالة لأن الذين يأتون من بعده ويرثون موقعه ، ليسوا في مستوى المسئولية ليترك الأمر لهم فيما يقومون به في حركة الواقع .. ولعل الحديث عن ارث آل يعقوب ، الذي هو خط الرسالة يؤكد هذا المعنى ، والله العالم(2) ".

وقفة قصيرة :

ونقول:

...لقد احتجت السيدة الزهراء عليها السلام على أبي بكر بقوله تعالى{ وورث سليمان داود } ،كما استدلت بهذه الآية بالذات في قضية فدك على اعتبار انهما تتحدثان عن ارث المال . وهذا البعض – كما ترى – يذهب إلى أن المراد بهذه الآية وتلك هو ارث النبوة فقط، من دون نظرٍ إلى إرث المال .!!

...ومما قالته السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها في احتجاجها على أبي بكر : " ... يا ابن أبي قحافة ، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئا فريا ...

...أفعلى عمد تركتم كتاب الله ، ونبذتموه وراء ظهوركم ، إذ يقول : { وورث سليمان داود} (3) وقال – فيما اقتصّ من خبر زكريا – إذ قال : { فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب }.

وقال : {أولوا الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله} (4) .

وقال :{ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين}(5) .

وقال : {إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين}(6) .

---

(1) –الظاهر أن الصحيح : إليه

(2) – من وحي القرآن ج 15 ص 14 و 15 .

(3) –سورة النمل الآية

(4) –سورة الأنفال ،الآية 75.

(5) – سورة النساء ،الآية 11 .

(6) – سورة البقرة الآية 180 .

...وزعمتم أن لا حظوة لي ،ولا أرِث من أبي . افخصكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ أم هل تقولون : إن أهل ملّتين لا يتوارثان!؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟

أم انتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي ،وابن عمي ؟!

فدونكها مخطومة مرحولة ، تلقاك يوم حشرك ..الخ (1) " .

...ومما قالته صلوات الله عليها أيضا في احتجاجها عليهم في المسجد : " سبحان الله ، ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كتاب الله صادفا ولا لأحكامه مخالفا ، بل كان يتبع أثره ، ويقفو سوره . افتجمعون إلى الغدر ، اعتلالا عليه بالزور ؟ وهذا بعد وفاته شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته .

...هذا كتاب الله حكما عدلا ، وناطقا فصلا ، يقول :{ يرثني ، ويرث من آل يعقوب} (2) و { ورث سليمان داود} (3) .

...فبين عزوجل فيما وزّع عليه من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين ؛{ كلا ، بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون}(4).

---

(1) –راجع : بغداد لطيفور ص 12 – 19 ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 16 ص 252 و 249 و210 وكشف الغمة للإربلي ج 1 ص 479 وبحار الأنوار ج29 ص 227 واعلام النساء ج 4 ص 116 ودلائل الإمامة ص 30–39 والاحتجاج ج 1 ص 268 وكتاب الشافي للسيد المرتضي ج 4 ص 75 .

(2) –سورة مريم .الآية 6.

(3) –سورة النمل الآية 16.

(4) – سورة يوسف الآية 18

...ومن الواضح أن هذا البعض قد سجل رأيه هذا وهو على علم تام بموقف الزهراء عليها السلام من هذا الموضوع ، كما هو صريح من كلماته المنقولة عنه آنفا . بل هو يصرح بتوازن مضمون خطبة الزهراء (ع) وبصحتها والالتزام بها : فهو يقول : " الظاهر أن اهل البيت (ع) كانوا يتناقلونها كابراً عن كابر ، بحيث كانت معروفة حتى عند صبيانهم ؛ مما يدل على أنها من المسلمات عندنا. ...أما من ناحية المتن ، فالظاهر أنها متناسبة مع التوازن الفكري في المضمون " (1) ، ولكنه – مع ذلك كله – يتبنى الموقف الآخر ، ثم يستدل له بما رأينا ، ثم يضيف إلى ذلك قوله : لعل الحديث عن إرث آل يعقوب ،الذي هو خط الرسالة يؤكد هذا المعنى .

فأقرأ واعجب ، فما عشت أراك الدهر عجبا .

... يقول البعض :

" – ما هي الأسماء التي علمها الله لادم ؟

...لقد استفاضت النصوص الدينية في الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت (ع) وعن غيرهم في أن المراد منها هي أسماء الموجودات الكونية سواء منها الموجودات العاقلة ، أو غيرها ، ولعل هذا هو الذي توحي به طبيعة الجو الذي يحكم الموقف في هذه الآيات ، وينسجم مع مهمة الخلافة عن الله في الأرض ، التي اعد لها الإنسان ، فإنها تفرض المعرفة الكاملة بكل متطلباتها ومجالاتها .

...جاء في تفسير العياشي عن ابي العباس عن أبي عبد الله (جعفر الصادق)(ع) :قال : سألته عن قول الله : { وعلم آدم الأسماء كلها } ماذا علمه ؟ قال (ع) : والأرضين والجبال والشعاب والأودية .

...وجاء في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: علم الله آدم الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ودابة وارض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

---

(1) –الندوة ج 1 ص 429 .

...وهناك اتجاه في تفسير ذلك ، بأسماء الملائكة ،وأسماء ذريته دون سائر أجناس الخلق ، وهو الذي اختاره الطبري في تفسيره .. وذلك أن الله جل ثناؤه قال : { ثم عرضهم على الملائكة } يعني بذلك أعيان المسمين بالأسماء التي علمها آدم ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم عن أسماء بني آدم والملائكة . واما إذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق ، فإنها تكنى عنها بالهاء والألف أو بالهاء والنون ولكن هذا الاتجاه لا يتناسب مع طبيعة الخلافة ، لا سيما إذا فهمنا من الآية أن آدم لم يكن هو الخليفة بشخصه ، بل بسبب تجسيده للنوع الإنساني – كما استقربناه آنفا ، فإن معرفة أسماء الذرية والملائكة لا يقدم شيئاً ولا يؤخر في الموضوع .

...واما التعبير عن الأسماء بالضمير المستعمل لما يعقل ، فقد اعترف صاحب التفسير المذكور بأن العرب قد تستعمل ضمير من يعقل ، إذا كان عائدا على من يعقل ، وما لا يعقل بفعل التغليب ، وبذلك جاء القرآن الكريم :{ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ،ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع } (1) . قال إن الغالب المستفيض في كلام العرب ما وصفنا ، ولكننا لا نعتبر الغلبة في مثل هذا – لو ثبتت – لغة مرجوحة أو غير فصيحة ، لان القرآن نزل بذلك في الآية المتقدمة مما يوحي بأنها لغة مألوفة معتبرة ؛ولعل ذهاب ابن عباس – فيما روي عنه – يقّرب ما ذكرناه بأنه أعرف بكلام العرب من المتأخرين الذين عرفوه بالنقل ، بينما كانت معرفته له بالسماع والممارسة . "(2).

وقفة قصيرة :

...1– إن هذا البعض يفسر الأسماء التي علمها الله سبحانه لآدم

(ع) بأسماء الموجودات العاقلة وغيرها ، ناسباً هذا التفسير للروايات

---

(1) – سورة النور الآية 45 .

(2) – من وحي القرآن ج 1 ص 161 –163 .

المستفيضة عن أهل البيت (ع) وغيرهم ، ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى الروايات التي تقول :إن الأسماء التي علمها الله لآدم هي أسماء الأئمة والحجج على الخلق ، مع انها اقرب إلى الاعتبار وأصح سنداً(1) ، وهي مروية عن الإمام السجاد ؛ والصادق ؛ والعسكري عليهم السلام .

...وقد ساق الحديث عن الروايات التي تفسر الآية بأسماء الموجودات بطريقة توحي أنها وحدها بين أيدينا ، ولا يوجد سواها .

...ثم ادعى أنها منسجمة مع جو الآيات ، ومع مهمة الخلافة عن الله في الأرض .

...مع أن الروايات التي ذكرت : أن المراد أسماء النبي والأئمة هي الأوفق بالسياق لا سيما مع ملاحظة قوله : { ثم عرضهم على الملائكة} حيث جاء بضمير " هم " في " عرضهم" الذي يستعمل في الأساس للتعبير عن العقلاء .

...فإرادة أسماء الموجودات من هذا الضمير تحتاج إلى تصرف في الضمير بادعاء انه قد أريد تغليب العقلاء من الجن والإنس والملائكة على غيرهم ، أما للتشريف ، أو لغير ذلك من أمور .

...أما لو كان المراد بالأسماء ، النبيو الأئمة ، الذين هم حجج الله على الخلق ، فلا يحتاج إلى هذه التأويلات والتخريجات ؛ لأنهم هم اعقل عقلاء هذا الوجود .

...2– وإذا قال : إن إرادة أسماء الموجودات هو المناسب لمهمة الخلافة عن الله .

...فإننا نقول :...أن الأنسب منه هو إرادة الهداة إلى شرع الله ، والأدلاء للخلق ،والقادة لهم ، والمهيمنين على مسيرتهم في مجال العلم والمعرفة حيث أنه لولا وجود النبي (ص) والأئمة عليهم السلام لكانت الكارثة الحقيقية، والمأساة الكبرى لهذا الإنسان الذي سيجر على كل هذه المخلوقات الوبال والنكال .

---

(1) –راجع : البرهان في تفسير القرآن ج 1 ص 73 ونور الثقلين ج 1 ص 46 وكمال الدين وإتمام النعمة ج1 ص 14 وتفسير الإمام العسكري ص 217 وتفسير فرات الكوفي ص 56–57 وبحار الأنوار ج 37 ص 62–63 وتفسير الصافي ج 1 ص 96 وراجع صفحة 101 .

...3– واللافت للنظر هنا : أنه لم يذكر من الأقوال إلا قول الطبري الذي اختار أن المراد هو أسماء الملائكة وأسماء ذرية آدم .مع أن القول بأن المراد بها هو اسماء الأئمة عليهم السلام ، اكثر شيوعا

وذيوعا بين المفسرين من اصحابنا .

...4- أما قوله : إن ابن عباس اعرف بكلام العرب ... فيرد عليه :

...أولا : لا بد من ثبوت النقل عن ابن عباس .

...ثانيا : إن هذا من الأمور النقلية ، التي لا طريق للاستحسان ولا للعقل اليها . وقد منع العلماء من اثبات اللغة بالعقل ،والذوق ، فاذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام ؛ أن المراد هو كذا، وجب الأخذ به ، طبعاً مع عدم مخالفته القواعد العقلية .والنقل عن ابن عباس لو ثبت فإنه لا قيمة له في مقابل كلام الأئمة الأطهار (ع).

...ثالثا: انه هو نفسه ، يشترط الثبوت القطعي للرواية في غير الأحكام ، فلا بد من تواتر الرواية عنده، فكيف أخذ بالرواية هنا في أمر توقيفي .وهي ليست قطعية عنده ولا متواترة ؟ وكيف ترك غيرها من الروايات التي هي أولى بالقبول ؟.

يقول البعض :

...{ سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميما } (1).

هل السورة مكية أو مدنية ؟ :

... وهذه من السور المكية – في راي الكثيرين – إلا في بعض آياتها فقد نقل عن الحسن – فيما ذكره صاحب مجمع البيان ، أن آية " وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " مدنية فان ظاهره الزكاة التي شرعت في المدينة .

...ويعلق صاحب الميزان على ذلك ، بأن هذا القول يستتبع أن تكون الآيات المتصلة بها الواقعة تحت الاستثناء لما في سياقها من الاتحاد واستلزام بعضها البعض .

---

(1) –سورة المعارج الآية من 1–10 .

...ويضاف الآيات الواردة في المستثنى منه وهي قوله :{ إن الإنسان خلق هلوعا – إلىقوله منوعا } لنفس الحجة .

...ويستطرد – في استنتاجه – ليستوحي من سياقها ، أن مضامين هذا الفصل بأجمعها تناسب حال المنافقين في المدينة الذين كانوا يحيطون بالنبي (ص) عن اليمين وعن الشمال ..

... وقد نوقش قول الحسن – بأن الحق المعلوم لا يراد به الزكاة فقد روي عن الإمام جعفر الصادق

عليه السلام ، أن المراد به حق يسميه صاحب المال في ماله غير الزكاة المفروضة .
...كما ورد عن أبن عباس أن هذه السورة نزلت بعد سورة الحاقة التي هي من السور المكية . مع ملاحظة أن سياقها في بداياتها ونهاياتها التي تتحدث عن اليوم الآخر يناسب كونها مكية .(1)
.....ويقول :
... " سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع " :
...هل هناك سؤال عن العذاب في طبيعته ، أو في توقيته ليكون السؤال في معنى الاستفهام ؟! وأن السؤال بمعنى الطلب ، فتكون القضية هي في الطريقة التي كان يريد المشركون فيها مع النبي الحوار الجدلي عن الآخرة وعذابها الذي ينتظرهم فيبرزون الحديث بطريقة التحدي ، كما كانت الطريقة التاريخية للأمم السابقة التي كانت تستعجل العذاب كإيحاء بعدم جديته في إظهار تكذيبهم للرسول بهذا الأسلوب .والظاهر أن هذا هو الأقرب من خلال السياق الذي أكد العذاب كحقيقة إيمانية ثابته لا مجال للشك فيها(2)."

وقفة قصيرة :
...أننا نشير هنا – باختصار – إلى أمور ثلاثة :

---

(1) –من وحي القرآن ح 23 ص 101–102
(2) – من وحي القرآن ج 23 ص 104 –105

...الأول : إننا نلاحظ أن هذا البعض لا يقبل بكون هذه السورة مدنية ، مستندا إلى رواية ابن عباس الواردة في تصنيف سور القرآن إلى مكية ومدنية . مع إن ابن عباس كان له من العمر حين وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر سنوات أو ثلاث عشرة سنة على أبعد تقدير ، ثم إنه أيد كلامه بدعوى أن سياقها ، في بداياتها ونهاياتها ، التي تتحدث عن اليوم الآخر يناسب كونها مكية ..
...ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد الى أن ثمة روايات كثيرة تذكر : أن صدر هذه السورة قد نزل في قضية غدير خم ، حين قدم ذلك الرجل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، معترضا على تنصيبه عليا عليه السلام إماماً ، فلما لم يجد عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يوافق هواه ولّى وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء .
...فرماه الله بحجر على رأسه فقتله ، وأنزل قوله تعالى { سأل سائل بعذاب واقع ... } وهذا المعنى مروي عند الشيعة بعدّة طرق . ومروي أيضا بطرق غيرهم . (1).
...فلماذا يأخذ برواية ابن عباس الضعيفة ، ويترك جميع هذه الروايات المروية من طرق الشيعة وغيرهم

.!؟

...بل لماذا لم يشر أصلاً إلى هذه الروايات ؟ رغم انه ينقل كلام العلامة الطباطبائي(قدس سره) الذي تضمن استدلالا على مدنية السورة بهذه الروايات نفسها . فنجده قد نقل كلامه باستثناء هذه الفقرات ، التي تضمنت استدلاله هذا ، فانه اسقطها ولم يلتفت لها ولم يشر اليها . ولو أغمضنا عن كل هذا فكيف حصل له القطع الذي يشترطه دائما في امثال هذه الأمور من الرواية الضعيفة ، ولم يحصل له مما هو اصح سنداً ،وأكثر عدداً ، لا قطع ولا ظن ، بل حتى ولا شك ايضا ؟.

---

(1) – تفسير البرهان ج 4 ص 381–383 ومجمع البيان ج 10 ص 352 وقد ذكر في الدر المنثور ج 6 ص 261 و 162 وقول النضر بن الحارث دون أن يشير إلى المناسبة .

...الثاني : إن الآية قد أخبرت عن أن ثمة من طلب من النبي (ص) أن ينزل العذاب عليه ، وأن الذي فعل ذلك هو فرد من الناس عبّر عنه بصيغة المفرد مع تنوين التنكير " سائل " وليس هو "المشركون" ، ولا طائفة منهم . لتكون القضية عبارة عن إدارة الحوار الجدلي بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين المشركين ، كما يقول هذا الرجل .

...فمن أين استنتج أن المراد هو عذاب الآخرة ؟! وهل يصح أن يطلب المشركون أن ينزل عليهم عذاب يوم القيامة . .

...الثالث : قوله : إن الزكاة قد شرعت في المدينة ، غير صحيح. وذلك لما يلي :

...1. ان عدة آيات قرآنية نزلت في مكة تأمر بإيتاء الزكاة ، ونذكر من ذلك :

...قوله تعالى { فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة } وهي في سورة مكية (1) .وقوله تعالى { والذين هم للزكاة فاعلون } وهي مكية(2) . وقوله تعالى :{ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة } (3) وهي مكية . وقوله تعالى :{ الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون }وهي مكية أيضاً((4) . ولنراجع سورة الروم المكية الآية 39. ثم إن الله تعالى قال : عن إسحاق ، ويعقوب ، ولوط ، وإبراهيم (ع): { وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة}(5) .

...2– وروي عن أبي طالب : أنه حدث عن النبي (ص) إن ربه أرسله بصلة الأرحام ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة (6) .

---

(1) . الأعراف آية 156 .

(2) . المؤمنون آية 4.

(3) – الأنبياء الآية 73.

(4) . ألنحل آية 3 وسورة لقمان آية 4.
(5) . فصلت الآية 7 .
(6) ألإصابة ج 4 ص 119، والبحار 35 ص 151، والطرائف ص 304 ، والغدير ج 7 ص 368عن نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنبلي .

...3- عن جرير بن عبدالله البجلي ، قال لما بعث النبي (ص) أتيته لأبايعه فقال : لأي شيئ جئت يا جرير ؟ قلت ، جئت لأسلم على يديك ، فدعاني إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤتي الزكاة المفروضة (1) .
... 4- وقد روى الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه عن حماد عن حريز ، عن محمد بن مسلم ، وأبي بصير ، وبريد ، وفضيل، كلهم عن ابي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ، قال : فرض الله الزكاة مع الصلاة " . (2) وسند هذه الرواية معتبر .
... 5- ويرد ذلك ايضاً : أن جعفر بن أبي طالب قد ذكر الزكاة لملك الحبشة ، على أنها مما أمرهم الله به (3).
...ولكن قد جاء في رواية صحيحة السند :
...أنه لما نزلت آية الزكاة ، التي في سورة التوبة ، وهي مدنية ومن أواخر ما نزل ، أمر (ص) مناديه في الناس : إن الله فرض عليكم الزكاة . وبعد أن حال الحول أمر مناديه فنادى في المسلمين : أيها المسلمون ، زكوا أموالكم تقبل صلواتكم ، قال : ثم وجه عمال الصدقة وعمال الطسوق (4) .
...ولكن هناك عشرات الآيات التي نزلت قبل سورة التوبة التي ربما تصل الى ثلاثين آية ، كلها تدل على فرض الزكاة . وحملها كلها على الاستحباب ، أو على خصوص زكاة الفطرة بعيدٌ جداً .

---

(1) . تدريب الراوي ج 2 ص 212 عن الطبراني في الأوسط ، وذكر الشطر الأول من الحديث في الإصابة ج 1 ص 232
(2) - الوسائل ج 4 ص 5 و الكافي ج 3 ص 498 .
(3) - الثقات لإبن حبان ج 1 ص 65 ، وحلية الأولياء ج 1 ص 114-116 عن ابن اسحاق ، البداية والنهاية ج 3 ص 70 و74 و69 ، وتاريخ الخميس ج 1 ص 290 وسنن البيهقي ج9 ص 144 ، وسيرة ابن هشام ج 1 ص 360 ، ومجمع الزوائد ج 6 ص 27 و 24 عن الطبراني واحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، وحياة الصحابة ج 1 ص 354 و 357 ، عن بعض ما تقدم ، وعن فتح الباري ج 7 ص 30 وحسّن اسناده.
(4) -راجع الكافي ج 3 ص 497 . وتفسير البرهان ج 2 ص 156 .

...فلا بد من حمل هذه الرواية على أنه (ص) انما الزم الناس بدفعها ووضع الجباة لها ، بعد نزول هذه الاية ، مع كون ايجابها قد حصل في مكة ، قبل ذلك .

يقول البعض :

..." ...ثم ما معنى أن يتحمل شخص العذاب والآلام ليفدي

بذلك خطايا البشرية القليلة والكثيرة إذ لا نعقل معنى لاستيفاء الحق بذلك .. فان الفكرة الطبيعية المعقولة هي أن يتحمل الإنسان مسئولية خطأه فيجني ثمارها بنفسه وهذا هو ما ركزه القرآن في قوله تعالى { ولا تزر وازرة وزر أخرى } /الانعام – 164 .

...وبهذه المناسبة نحب أن نشير إلى أن مثل هذه الفكرة – وهي فكرة التكفير عن خطايا الآخرين بالآلام التي يتحملها شخص معين عظيم يقف ليفدي الناس بذلك – قد انتقلت إلى بعض الأساليب الشائعة في عرض قضية الإمام الحسين في ثورته واستشهاده .. فان بعض القارئين للسيرة يحاولون أن يذكروا إن الحسين فدى بنفسه ذنوب شيعته وخطاياهم مما يقتضي غفران تلك الذنوب بتضحيته أما بشكل مباشر ، كما في التفكير المسيحي .. أو بشكل غير مباشر باعتبار انه يشفع لهم من خلال هذه الشهادة .. إننا نحب إن نسجل ابتعاد هذه الأساليب عن التفكير الإسلاميو عن الطابع الإسلامي للثورة الحسينية التي انطلقت من اجل إقامة الحق وإزهاق الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعيدا عن أي حالة فداء لذنوب الآخرين ، بل هو الفداء والتضحية للحق وفي سبيل الله (1).

وقفة قصيرة

...1– ليت هذا البعض قد ذكر لنا مَن مِن قراء السيرة الحسينية يقول : إن الحسين باستشهاده فدى بنفسه ذنوب الشيعة بشكل مباشر كما في التفكير المسيحي ؟ أو حتى بشكل غير مباشر كما يذكر هذا الرجل ؟.

...فنحن طيلة عمرنا لم نقرأ ولم نسمع بهذه المقولة من أحد من الناس، من علماء ، أو قراء عزاء ، أو غيرهم ، إلا ما ينقلونه عن اعتقاد المسيحيين بذلك فيما يتعلق بالمسيح عليه السلام.

---

(1) – من وحي القرآن ج 1 ص 193–194

...فكيف أصبح هذا من الأساليب الشائعة في عرض قضية الإمام الحسين (ع) ونحن لا نجد أحدا يذكر هذا أصلا .

...2– أما غفران ذنوب الشيعة بشفاعة الامام الحسين عليه السلام ، فما هو المحذور في ذلك ، إذا

كانت أوصاف الشيعة الذين تنالهم الشفاعة تنطبق عليهم.

...وقد وردت هذه الأوصاف هذه في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، وهي أمور يحسن بكل موال ومحب ، بل وبكل عاقل أن يقرأها ويتمعن فيها ويتحرى سبيل الاتصاف بها ، ليجد إن شفاعة الإمام الحسين لمن يتحلى بهذه الأوصاف ليست أمرا مستغربا ، بل هي محض الإنصاف ومنتهى العدل والفصل ، فراجع كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق رحمه الله تعالى (1).

... إن من براجع كلام البعض يجد انه في كثير من كتبه يؤكد على عدم الحاجة إلى توسيط أحد في الطلب من الله سبحانه ، بل هو يصرح هنا : بأن استجابة الله لعباده مرهونة بأن يدعوه بشكل مباشر، فهو يقول :

..."...لا واسطة بين العبد وربه في خطابه وسؤاله له :

---

(1) -وراجع أيضا كتاب البحار ج 8 ص 29-63.

...وقد نلاحظ في التوجه الإنساني بوحدانية العبادة والاستعانة .. في خطاب العبد لربه في هذه الآية الكريمة { إياك نعبد وإياك نستعين } .. أن الإنسان لا يحتاج في حديثه مع الله وفي طلبه منه إلى أية واسطة من بشر أو غيره ، لأن الله لا يبتعد عن عبده ولا يضع أي فاصل ببينه وبينه .. إلا ما يضعه العبد من فواصل تبعده عن مواقع رحمته ، وتحبس دعاءه عن الصعود إلى درجات القرب من الله .. بل أراد لعباده أن يدعوه بشكل مباشر ليستجيب لهم ، وحدثهم عن قربه منهم بحيث يسمع كلامهم حتى لو كان يمثل الهمس أو في مثل وسوسة الصدور ، وذلك قوله تعالى { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } /البقرة -186 وقوله تعالى { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب إليه من حبل الوريد } سورة/ ق -16 " (1) .

وقفة قصيرة

...ولنا هنا ملاحظات :

...1- إن هذا البعض لم يقدم أي دليل على مدعاه في أن استجابة الله مرهونة بالتوجه إليه تعالى مباشرة .

...2- واما القول بأنه لا حاجة في الحديث إلى الوسائط من البشر أومن غيرهم ، فلا مجال لقبوله ، ونحن نرى روايات كثيرة تتحدث عن التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء عليهم السلام . وذلك يدل على وجود حاجة إلى ذلك لا سيما بالنسبة إلى الخاطئين ، ولولا حاجتهم إلى ذلك تربويا وإيمانيا لما

وجّههم الله إليه.

... ومما يدل على توسيط الوسائط ما رواه ابن شهر آشوب ، عن علي عليه السلام في قوله تعالى : { وابتغوا إليه الوسيلة } قال: أنا وسيلته (2) .

---

(1) – ومن وحي القرآن ج 25 ص 65–66

(2) – تفسير البرهان ج 1 ص 469 .

...وفي حديث آخر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يرتبط بالأئمة من ولد الحسين قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : هم العروة الوثقى ، وهم الوسيلة إلى الله تعالى (1) .وعن علي بن إبراهيم في تفسيره للآية قال : فقال ، تقربوا إليه بالإمام (2) .

...وعن عثمان بن حنيف : " إن رجلاً ضريراً أتى إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ادع الله أن يعافيني. فقال : إن شئت دعوت وإن شئتَ صَبَرْت ،وهو خير .قال : فادعه . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ،ويصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء :

...اللهم إني أسألك واتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد ، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في..(3)

...هذا مضافاً الى دعاء القرآن الذي نقرأه جميعا – وربما كان هذا البعض يقرؤه – في ليالي القدر – والذي هو عبارة عن توسل بالله تعالى وبأهل البيت (ع) واحداً تلو الآخر من نبيهم الى قائمهم (ع)....إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة والمتنوعة في هذا المجال .

...3– إن هذا البعض يناقض نفسه في كثير من موارد مخالفاته ، ومن جملتها هذا المورد ، حيث يقول حول الفرق بين ما يفعله الوثنيون في عبادة الأصنام وما يفعله المسلمون في احترام الأولياء :

---

(1) –تفسير نور الثقلين ج 1 ص 519 .

(2) – تفسير البرهان ج1 ص469 .وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 520.

(3) – سنن ابن ماجة ج 1 ص 441 والجامع الصحيح للترمذي :أبواب الادعية ومستدرك الحاكم ج 1 ص 313 وتلخيص المستدرك (مطبوع بهامش المستدرك) نفس الجزءو الصفحة والجامع الصغير ص 59 والتاج الجامع للأصول ج 1 ص 286 ومسند احمد ...

..." ... وهذا هو الفرق بين ما يفعلونه وبين ما يفعله المسلمون الذين يؤكدون شرعية الشفاعة والتوسل بالأنبياء والأولياء باعتبار إن المسلمين يفعلون ذلك من موقع التوجه إلى الله بان يجعلهم الشفعاء لهم

وأن يقضي حاجاتهم بحق هؤلاء فيما جعله لهم من حق ، مع الوعي الدقيق للمسألة الفكرية في ذلك كله وهو الاعتراف بأنهم عباد الله المكرمون المطيعون له الخاضعون لألوهيته الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وأنهم البشر الذين منحهم الله رسالته فيما ألقاه إليهم من وحيه ، ومنحهم ولايته فيما قربهم إليه في خطهم العملي فكيف يقاس هذا بذاك (1)."

...ومن يمعن النظر في اقوال وكتب هذا الرجل يجد له الكثير من التناقضات المماثلة ، نعرض عن ذكرها خوف ملالة القارئ الكريم ، ولكي لا نخرج عما رسمناه في كتابنا هذا الرامي الى ذكر بعض اقواله وآرائه التي يخالف فيها ما جرى عليه علماء المذهب بصورة عامة .وربما وفقنا الله تعالى لإبراز تناقضاته هذه في جزء خاص من هذه السلسلة .

يقول البعض :

---

(1) – من وحي القرآن ج 25 ص 50 .

..."... {ولا تنفع الشفاعة عنده } فليست هناك مراكز قوى تفرض نفسها على الله ، من موقع القوة الذاتية التي تترك تأثيراتها على قرار الله ، فيمن يعطيه أو فيمن يمنعه لتكون هناك نقاط ضعف في قدرته أو في عظمته الإلهية .. ليحتاج الناس إلى التوسل إليه بالشفعاء ليصلوا من خلالهم إلى مواقع رحمته ورضاه ، لتعبدوا لهم للحصول على رضاهم الذي يؤدي للحصول على رضاه .. فليس هناك أحد اقرب إليه من أحد ، من حيث الذات ، فهو الذي يقرب الناس إليه ، ويمنحهم درجة القرب إليه من خلال أعمالهم .. ويبقيهم في دائرة الخضوع له المنتظرين لإذنه في كل ما يفعلون أو ما يتركون .. فيعرفون انهم لا يملكون الشفاعة امامه لأي شخص لأنهم لا يملكون معه أيّ شيء { إلا لمن إذن له } في ذلك فأراد تكريمه بالشفاعةلبعض الخاطئين الذين يريدون ان يغفر لهم بحيث تكون الشفاعة وظيفة إلهية محددة الموقع معينة الشخص والدور ، من دون زيادة ولا نقصان ، .. وفي ضوء ذلك نفهم إن الشفاعة ليست حالة ذاتية للشفعاء لدى الله ، بل هي مهمة محددة في دائرة المهمات التي قد يوكلها إلى بعض عباده ، لمصلحة يراها ، في وقت محدود ، ودور خاص ، مما يفرض على المؤمنين عدم الاستغراق في ذات النبي أو الولي .. طلبا للشفاعة ، بل في توجيه الخطاب لله أن يمنحه الشفاعة من خلالهما . (1) ."

ويقول أيضا :

---

(1) – من وحي القرآن ج 19 ص 37 و 38 .

..."... فليس هناك إلا العمل .. وإذا كانت هناك من شفاعة ، فإنها لا تنطلق من رغبة الشفيع الخاصة بل هي بأمره ورضاه ،فلا معنى لأن تتوجه إلى المخلوق بطلب الشفاعة ما دام لا يملكها بنفسه ، بل ينتظر أمر الله فيها .. فهو الجدير بالعبادة وطلب الشفاعة .. وفي ضوء ذلك ، كان التوحيد يمثل الصفاء الروحي الذي يعيش معه الإنسان في حركة الإيمان المطلق بعيدا عن كل التعقيدات الخانقة التي تجر معها المزيد من العادات والتقاليد والأجواء الضاغطة على الفكر والروح والشعور . (1) "

ويقول أيضا :

..."... ولا يقبل من أحد رجاءً ولا شفاعةً في حق نفسه أو في حق غيره ، لأن أي واحد منهم لا يملك حقاً ذاتياً في ذلك كله إلا من إذن له الرحمن في الشفاعة فأراد الله إن يكرمه بها ليجعل له الكرامة باستنقاذ من يريد الله إن ينقذه من النار ، ويرحمه برحمته ، وذلك هو الذي رضي الله قوله فيما يعبر عنه القول من العقيدة الصافية الحقة ، والروح الراضية المرضية والعمل الخالص الذي يتحرك في رضا الله من خلال وعي الإيمان وطهر الإخلاص .

...وفي ضوء هذه الآية نستفيد تقرير مبدأ الشفاعة التي تؤكد وجودها لدى بعض الأشخاص المقربين إلى الله . ولكن من خلال إعطاء الله ذلك فيكون القصد والتوجه لله في المسألة في الشفاعة لا إلى الشخص لأنه لا يملك من أمر الشفاعة شيئاً في نفسه .. وذلك هو الحد الفاصل بين الاستغراق في الشخص من خلال الاستغراق في ذاته ، وبين الاستغراق في الله على أساس الكرامة التي يمنحها لبعض عباده في شفاعته للآخرين استجابة لإرادة الله له في ذلك .. وهذا هو الذي يعطي للعقيدة صفاءها فلا يطلب أحد من مخلوق شيئاً بل يكون الطلب كله لله ، والقصد إليه في كل شيء حتى في الشفاعة التي لا يملكها أحد إلا بإذنه . (2)".

ويقول البعض أيضا :

---

(1) –المصدر نفسه ج 11 ص 20.

(2) –من وحي القرآن ج 15 ص 164.

..."...تلك هي مواقعهم فيما تتميز به مواقعهم الشخصية ، وفيما يقفون عنده من حدود مواقعهم أمام الله فلا يتجاوزونها فيما يعيشونه في داخل حياتهم الخاصة ، وفيما يتحركون به من العلاقات في حياة الآخرين .. فلا يتصرفون معهم إلا بما يعلمون إن الله يرضى عنه ، فلا يرون لأنفسهم الحرية في أن تتدخل العوامل الذاتية فيما يريدون أن يتقدموا به إلى الله ، من الشفاعة لبعض الخاطئين ، أو المنحرفين ، لأنهم يعرفون أن الشفاعة ليست حالة ذاتية ينطلق بها المقربون الى الله ليستفيدوا من مواقع القرب ، في علاقاتهم الخاصة بالأشخاص ، ليقربوا بعيدا عن الله ، كما يفعل الناس في الدنيا ، ليتقرب الناس

إليهم بما يتقربون به إلى المقربين من الملوك والأمراء ، ليشفعوا لهم عنده ، فينفعلون بذلك ، فيما يتحدثون به ، إلى رؤسائهم ، في قضايا الامتيازات والشفاعات، وما إلى ذلك ..

...إن المقربين من عباد الله المكرمين ، سواء منهم الملائكة أو الأنبياء والأولياء ، لا يعيشون في مشاعرهم العنصر الذاتي ، بل يتمثلون في وجدانهم العنصر الروحي فهم يعرفون مواقع رضا الله فيتحركون فيها، ومحالّ كرامة الله ورحمته ، فينطلقون إليها ، ويعلمون أن الشفاعة كرامة يريد الله أن يكرم بها بعض خلقه فيشفّعهم فيمن يريد أن يغفر لهم ويرحمهم لأنهم في الموقع الذي يمكن لهم فيه أن يتقربوا من رحمته ومغفرته ولذلك فهم يعرفون مواقع الشفاعة فيمن يطلبون من الله أن يشفعهم فيهم فلا يشفعون للكافرين والمشركين والمنحرفين الذين حاربوا الله ورسوله ، لأنهم ليسوا في مواقع الرحمة التي سيستحقون فيها الرحمة . (1)".

وقفة قصيرة :

---

(1) – من وحي القرآن ج 15 ص 228 و 229 .

.....لا نريد إن نسهب القول في بيان حقيقة الشفاعة ، فأمرها أظهر من الشمس ، وأبين من الأمس ، وقد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب بضع توضيحات قد تكون مفيدة في هذه المجال فلا بأس بمراجعتها. غير أننا نذكّر القارئ بالأمور التالية :

...1– إننا نرشد ، هنا الى الأحاديث التي تتحدث عن أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يشفع لأهل الكبائر من أمته ، فيشفعه الله تعالى فيهم، لكنه لا يشفع لمن آذى ذريته (1).

وفي بعض الروايات : هل يشفع ألا لمن وجبت له النار ؟!(2) وفي بعضها : ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة (3) والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة فلتراجع في مظانها.

...وهذا معناه أن قول البعض: إن الشافع لا يقرّب بعيداً عن الله غير صحيح ، بل هم يقربون – بشفاعتهم – ذلك البعيد . وهذا هو معنى الشفاعة ، كما ظهر بذلك أيضا عدم صحة قوله : إن الشفاعة إنما هي لمن يستحق الرحمة ممن هو في مواقع الرحمة ، فليست الشفاعة ناشئة عن استحقاق لها من قبل المشفوع له.

...2– قد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب : أن الشفاعة هي التي تنتج المغفرة وتؤثر فيها ، وتكون سببا في حصولها ، لا أن إرادة المغفرة هي التي تؤثر في إجراء الشفاعة على نحو مراسم شكلية تهدف إلى مجرد تكريم الشافع .

...إذن فللشفاعة مهمتان :

...الأولى : التسبب بحصول المغفرة ، والتأثير في إنتاجها ، حيث لولاها لم تحصل المغفرة ، ولم يكن هناك إرادة لها .

...الثانية : أن تظهر بسببها الكرامة الإلهية والمنزلة الربانية للشافع .

...3- اما قوله : إن الشفاعة لا تنطلق من رغبة الشفيع الخاصة، بل هي بأمر الله ورضاه .. فالروايات التالية بخلافه :

---

(1) - بحار الأنوار ج 25 ص 37 وراجع من ص : 34 و39 و 58 و 59 و 60 .

(2) -البحار ج 8 ص 38 .

(3) -البحار ج 8 ص 44 . وراجع مستدرك سفينة البحار ج6 ص 1-5 فقد أشار إلى موارد كثيرة .

...إن الشفيع في يوم القيامة يقول : أي رب عبدك فلان سقاني شربة من ماء في الدنيا ، فشفعني فيه ، فيقول :اذهب فأخرجه من النار .. الخ (1).

...ثم يشفع لخادمه (2)، ويشفع لمحبيه وأهل مودته (3) ويشفع لجيرانه (4) ، ولأهل بيته (5) ، ولمن له به معرفة بالدنيا (6) ، بل والشفاعة للعدو المحارب ، والذي كان قد احسن للمؤمن في دار الدنيا(7).

...وذلك يوضح عدم صحة عدة أمور ، وردت في كلام ذلك البعض .

...الأول: عدم صحة قوله : إن الشفاعة لا تنطلق من رغبة الشفيع الخاصة.

...الثاني : عدم صحة قول البعض : إن الشفاعة هي في دائرة المهمات التي قد يوكلها الله الى بعض عباده إذ إنها كرامة للشافع ، ورحمة للمشفوع له .

...الثالث : عدم صحة قول هذا البعض : إن كونها مهمة محددة، يستتبع أن لا يستغرق المؤمن في ذات النبي والولي طلباً للشفاعة.

...الرابع : إن معنى قوله تعالى : { لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له } أن من أذن الله له بالشفاعة ورضيه وارتضاه لها ، وجعل له هذا المقام هو الذي تنفع شفاعته ، كالأنبياء ، والأولياء ، والشهداء ، فالشفاعة التي أعطيت لهؤلاء هي التي تنفع وتؤثر في غفران الذنوب وكل شفاعة سواها باطلة ، وغير مقبولة ، ولا مرضية .

---

(1) - بحار الأنوار ج 8 ص 33- 34

(2) -بحار الأنوار ج 8 ص 38 و56 و61 عن تفسير القمي ج 2 ص 202 في قوله تعالى :ولا تنفع الشفاعة عنده ألا من إذن له ، وعن تفسير العياشي وعن الاختصاص للشيخ المفيد ..

(3) - البحار ج 8 ص 37 و42 وعن المحاسن ص 184 وراجع ص 41 عن الأمالي للصدوق ص

170 عن ثواب الأعمال ص 203 وعلل الشرايع ص 542 .
(4) –البحار ج8 ص 42 و 56 و 57 عن الكافي ج8 ص 101 عن المحاسن ص 184 . ...
(5) –البحار ج 8 ص 42 و56 عن المحاسن ص 184 وعن الاختصاص .
(6) – البحار ج 8 ص 41 عن ثواب الأعمال ص .
(7) – البحار ج 8 ص 42 .

...وبعبارة أخرى : إنما يشفع من أكرمه الله ببلوغه مقاماً يؤهله لأن يشفع للمؤمنين الخاطئين ، وهذا يعني عدم صحة قول البعض : إنه لا معنى لأن نتوجه إلى المخلوق بطلب الشفاعة مادام لا يملكها بنفسه ، فإن المراد بملك الشفاعة هو أن يجعله الله في مقام الشفاعة ، فإذا بلغ هذا المقام فله أن يشفع لمن يشاء ، حتى للخادم والجار ، والمعين ، ولأهل الكبائر وغير ذلك.
...إذن فلا مانع من أن نتوجه إليه بعد أن وصل إلى هذا المقام فنوجه إليه الخطاب ، ونطلب منه أن يستعمل صلاحياته التي حصل عليها .
...5– معنى قوله : { لا يشفعون إلا لمن ارتضى } أي ارتضى الله دينه (1) . فلم يكن مشركا ولا ظالما (2) .. وهو من أهل التوحيد ، من أهل شهادة أن لا إله ألا الله (3) كما في روايات اهل البيت عليه السلام ، لا كما فسرها هذا الرجل بقوله : أي ارتضاه الله للشفاعة.
...6– يتضح مما تقدم : أن هناك فئات لا تنالها الشفاعة . وقد دلت الروايات الكثيرة على ذلك ، مثل ما ورد : من أن الشفاعة لا تنال مستخفاً بالصلاة (4) ولا تنال من أنكر الشفاعة ، أو أنكر الحوض والمعراج (5) .
...7– إن حاجة الناس إلى التوسل بالشفعاء ، ناتجة عن قصور أعمالهم عن إن تبلغ بهم إلى مقام الاستغناء عن الشفعاء ، وليست ناشئة عن ضعف في قدرته أو في عظمته تعالى ، بل هذا التوسل دليل كمال قدرته تعالى ،ونهاية عظمته .
...ويدل على أن الشفاعة هي السبب في حدوث المغفرة ، لا إن إرادة المغفرة متقدمة على الشفاعة .
قوله تعالى :{ ولا تنفع الشفاعة
عنده ألا لمن إذن له } حيث دلت على أن للشفاعة تأثيراً ونفعاً .

---

(1) – راجع البحار ج 8 ص 34 و 40 و و50 .
(2) – راجع البحار ج 8 ص 39 و58 .
(3) – راجع البحار ج 8 ص 58 .

(4) –من لا يحضره الفقيه ج 1 ص 206.
(5) – البحار ج 3 ص 37 و 34 وراجع ص 41 .

...ويدل على ذلك أيضا ما رواه جابر بن يزيد قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا جابر لا تستعن بعدونا في حاجة ولا تستعطه ولا تسأله شربة ماء ، انه ليمر به المؤمن في النار فيقول : يا مؤمن ألست فعلت بك كذا وكذا ، فيستحي منه ، فيستنقذه من النار ، فإنما سمي المؤمن مؤمناً ، لأنه يؤمن على الله فيؤمن (فيجيز خ ل) أمانه(1) .
...الى أن قال :
... فأما في يوم القيامة فإنا و أهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء ، ليكونن على الأعراف بين الجنة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم صلوات الله وسلامه ، والطيبون من آلهم ، فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات ، فمن كان منهم مقصّراً في بعض شدائدها فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وابي ذر وعمار ونظرائهم في العصر الذي يليهم وفي كل عصر إلى يوم القيامة ، فينقضون عليهم كالبزاة والصقور ويتناولونهم كما يتناول البزاة والصقور صيدها فيزفونهم إلى الجنة زفا ، وإنا لنبعث على آخرين (من خ ل) محبينا من خيار شيعتنا كالحمام ، فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحبّ ، وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا ، وسيؤتى بالواحد من مقصرّي شيعتنا في أعماله بعد أن صان (قد حاز خ ل) الولاية والتقية وحقوق إخوانه ويوقف بازائه ما بين مئة وأكثر من ذلك إلى مئة ألف من النصّاب ، فيقال له : هؤلاء فداؤك من النار ، فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار ، وذلك ما قال الله تعالى { ربما يودّ الذين كفروا } يعني بالولاية {لو كانوا مسلمين } في الدنيا منقادين للإمامة ليجعل مخالفوهم من النار فداءهم . (2)

---

(1) – البحار ج8 ص 42 عن المحاسن 185 .
(2) – البحار ج 8 ص 44 و45 عن تفسير العسكري .

...عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أما إن من شيعة علي (ع) لمن يأتي يوم القيامة ، وقد وضع له في كفة سيئاته من الآثام ما هو أعظم من الجبال الرواسي والبحار السيارة ، ، تقول الخلائق : هلك هذا العبد ، فلا يشكّون أنه من الهالكين وفي عذاب الله من الخالدين ، فيأتيه النداء من قبل الله تعالى : يا أيها العبد الجاني هذه الذنوب الموبقات ، فهل بإزائها حسنة تكافؤها وتدخل الجنة برحمة الله ، أو تزيد عليها فتدخلها بوعد الله ؟ يقول العبد : لا أدري ، فيقول منادي ربنا عز وجل : إن ربي يقول : ناد في عرصات القيامة: ألا إن، فلان بن فلان من بلد كذا وقرية كذا وكذا ، قد رهن بسيئاته كأمثال

الجبال والبحار ولا حسنة بازائها ، فأي أهل هذا المحشر كانت لي عنده يد أو عارفة (1) فليغشني بمجازاتي عنها ، فهذا أوان شدة حاجتي إليها فينادي الرجل لذلك ، فأول من يجيبه علي بن أبي طالب : لبيك لبيك أيها الممتحن في محبتي ، المظلوم بعداوتي ؛ ثم يأتي هو ومن معه عدد كثير وجم غفير وإن كانوا أقل عدداً من خصمائه الذين لهم قبله الظلامات فيقول ذلك العدد : يا أمير المؤمنين نحن إخوانه المؤمنون ، كان بنا باراً ولنا مكرماً ، وفي معاشرته إيانا –مع كثرة إحسانه إلينا– متواضعاً ، وقد نزلنا له عن جميع طاعتنا وبذلنا له ؛ فيقول علي عليه السلام : فبماذا تدخلون جنة ربكم ؟ فيقولون : برحمة الله الواسعة التي لا يعدمها من والاك ووالى آلك يا أخا رسول الله ، فيأتي النداء من قبل الله تعالى : يا أخا رسول الله هؤلاء إخوانه المؤمنون قد بذلوا له فأنت ماذا تبذل له ؟ فإني أنا الحكم، ما بيني وبينه من الذنوب قد غفرتها له بموالاته إياك ، وما بينه وبين عبادي من الظلامات فلا بد من فصلي بينه وبينهم ، فيقول علي عليه السلام، يارب أفعل ما تأمرني ، فيقول الله : يا علي اضمن لخصمائه تعويضهم عن ظلاماتهم قبله ؛ فيضمن لهم علي عليه

---

(1) . العارفة : المعروف

السلام ذلك فيقول لهم اقترحوا علي ما شئتم أعطكم عوضاً من ظلاماتكم قبله ؛ فيقولون يا أخا رسول الله تجعل لنا بازاء ظلاماتنا قبله ثواب نفس من أنفاسك ليلة بيتوتتك على فراش محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول (ع) قد وهبت ذلك لكم ، فيقول الله عز وجل ، فانظروا يا عبادي الآن إلى ما نلتموه من علي ، فداء لصاحبه من ظلاماتكم ؛ ويظهر لهم ثواب نفس وجد في الجنان من عجائب قصورها وخيراتها، فيكون ذلك ما يرضي الله به خصماء أولئك المؤمنين ، ثم يريهم بعد ذلك من الدرجات والمنازل مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عل قلب بشر ؛ يقولون : ربنا إلخ..(1) ....

...وفي كتاب فضائل الشيعة للصدوق . رحمه الله . بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة نشفع في المذنب من شيعتنا ، فأما المحسنون فقد نجاهم الله(2).

... وعن معاوية بن وهب قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : {لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا } قال نحن والله المأذونون لهم في ذلك اليوم ، والقائلون صوابا ، قلت : جعلت فداك وما تقولون ؟ قال : نمجد ربنا ، ونصلي على نبينا، ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا .

...وروي هذا الحديث بطرق متعددة.

...وعن أمير المؤمنين عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : إذا كان يوم القيامة ولّينا حساب شيعتنا ، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عز وجل حكمنا فيها فأجبنا ، ومن كانت مظلمته بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا ، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من

عفا وصفح .

...وروي مثل ذلك عن جميل عن ابي الحسن (ع) (3) .

---

(1) . البحار ج 8 ص 59-61 عن تفسير الإمام العسكري (ع).

(2) . البحار ج8ص59 .

(3) -البحار ج 8 ص 50.

وعن سماعة عن ابي الحسن الأول ،وعن عبدالله عن ابي عبدالله (ع)(1) ، وعن محمد بن جعفر عن ابيه عن جده (ع) مثله .(2)

...ومما يدل على أن الناس يحتاجون إلى الشفاعة ما ورد في تفسير قوله تعالى :{ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له }.عن ابي العباس المكبر قال: دخل مولى لإمرأة علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليهما على أبي جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن ، فقال : يا أبا جعفر تغرون الناس وتقولون : شفاعة محمد ؟ فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربد وجهه ، ثم قال : ويحك يا أبا أيمن ، أغرك أن عف بطنك وفرجك ؟ أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد أحتجت إلي شفاعة محمد (ص) ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار ؟ ثم قال : ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم القيامة ، ثم قال أبو جعفر إن لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الشفاعة في أمته ولنا شفاعة، في شيعتنا ، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم . ثم قال : وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر ، وإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ، ويقول : يارب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد(3) .

...قال عبيد بن زرارة : قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المؤمن : هل له شفاعة ؟ قال : نعم ، فقال له رجل من القوم : هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد (ص) يومئذ ؟ فقال : نعم إن للمؤمنين خطايا وذنوباً ، وما من أحد إلا يحتاج إلى شفاعة محمد يومئذ (4).

---

(1) -البحار ج 8 ص 57 عن الكافي ج 8 ص 162 .

(2) - البحار ج 8 ص 50 عن كنز الفوائد .

(3) - البحار ج 8 ص 38 عن تفسير القمي وعن المحاسن للبرقي ص 183 الى قوله : وجبت له.

(4) - البحار ج 8 ص 48 عن العياشي .

...عن علي بن أبي حمزة قال : قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام : إن لنا جاراً من الخوارج يقول : إن محمداً يوم القيامة همه نفسه فكيف يشفع ؟ فقال أبو عبد لله (ع) : ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم القيامة (1) .

...قال الشيخ الصدوق في اعتقاداته :

...اعتقادنا في الشفاعة أنها لمن ارتضي دينه من أهل الكبائر والصغائر ، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة ، وقال النبي (ص) من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي(2) .

...وهناك ما يدل على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يبادر إلى الشفاعة فيشفعه الله ، ونذكر من ذلك : ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما من أهل بيت يدخل واحد منهم الجنة إلا دخلوا أجمعين الجنة ؛ قيل : وكيف ذلك ؟ قال : يشفع فيهم فيشفّع حتى يبقى الخادم فيقول : يا رب خويدمتي قد كانت تقيني الحر والقر فيشفع فيها (3).

...عن علي عليه السلام قال : إن للجنة ثمانية أبواب ، باب يدخل منه النبيون والصديقون ، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا ، فلا أزال واقفا على الصراط أدعو وأقول : رب سلّم شيعتي ومحبيّ وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا ، فإذا النداء من بطنان العرش : قد أجيبت دعوتك وشفّعت في شيعتك ، وشفع كل رجل من شيعيت ، ومن تولاني ونصرني ، وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين الفاُ من جيرانه وأقربائه . وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا اله الا الله ، ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت (4) . "

...مما يدل على أن الشفاعة هي السبب في المغفرة .

---

(1) ـالبحار ج 8 ص 42 عن المحاسن ص 184

14. البحار ج 8 ص 58 عن عقائد الصدوق ص85

(3) – البحار ج 8 ص 58 عن عقائد الصدوق ص 85 .

(4) –الخصال ج 2 ص 39 والبحار ج8 ص 39 .

...ومما يدل ايضاً على أن الشفاعة تكون أيضا لمن لا يستحقها، ممن لا حسنة له :

ما روي عن أبي جعفر عليه السلام حيث قال : "...وان الشفاعة

لمقبولة وما تقبل في ناصب ، وان المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة ، فيقول : يارب جاري كان يكفّ عني الأذى فيشفع فيه ، فيقول الله تبارك وتعالى : أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك ، فيدخله الجنة وما له من حسنة ، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار : فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (1) .

...ومما يدل أيضاً على أن الشفاعة هي السبب في المغفرة .

...وعلى أنه يصح طلب الشفاعة من غير الله سبحانه .

...وعلى أنهم يشفعون لمن يشاؤون ويحبون .

...وعلى أنهم يقسمون على الله سبحانه وتعالى بحق النبي(ص) وعلي (ع) ، النصوص التالية :

...عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به ، قال : فيقول له : يا فلان أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا ، وأسعفك في الحاجة تطلبها مني ، فهل عندك اليوم مكافأة ؟ فيقول المؤمن للملك الموكل به : خل سبيله ؛ قال : فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن فيخلي سبيله (2).

...وعن سماعة بن مهران قال : قال أبو الحسن عليه السلام : إذا كانت لك حاجة إلى الله فقل : (اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي فإن لهما عندك شأناً من الشأن ، وقدراً من القدر ، فبحق ذلك الشأن وذلك القدر أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا، فإنه اذا كان يوم القيامة لم يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن إلا وهو يحتاج إليهما في ذلك اليوم(3) .

---

(1) . الكافي ج 8 ص 101 والبحار ج 8 ص 56 عنه وعن العياشي .

(2) . البحار ج ج8 ص 41 عن ثواب الأعمال ص 167 .

(3) .البحار ج8ص59 عن دعوات الراوندي .

... وعن عيص بن القاسم ، عن أبي عبد الله عليه السلام إن أناسا من بني هاشم أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي ، وقالوا : يكون لنا هذا السهم الذي جعله للعاملين عليها فنحن أولى به ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا بني عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم ، ولكني وعدت الشفاعة ، ثم قال : والله اشهد انه قد وعدها، فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة الباب ، اتروني مؤثرا عليكم غيركم ،ثم قال : إن الجن والإنس يجلسون يوم القيامة في صعيد واحد ، فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة ، فيقولون : إلى من ؟ فيأتون نوحا فيسألونه الشفاعة فقال : هيهات قد رفعت حاجتي ، فيقولون : إلى من ؟ فيقال : إلى إبراهيم ، فيأتون الى إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول : هيهات قد رفعت حاجتي ، فيقولون :إلى من ؟ فيقال ايتوا موسى ، فيأتونه فيسألونه الشفاعة ، فيقول : هيهات قد رفعت حاجتي ، فيقولون : إلى من ؟ فيقال ايتوا محمداً ، فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلا حتى يأتي باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب ثم يقرعه ، فيقال : من هذا ؟ فيقول : احمد ، فيرحبون ويفتحون الباب، فإذا نظر إلى الجنة خرّ ساجدا يمجد ربه بالعظمة

، فيأتيه ملك فيقول: ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفّع ، فيرفع رأسه فيدخل من باب الجنة فيخر ساجدا ، ويمجّد ربه ويعظمه ، فيأتيه ملك فيقول : ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفّع ، فيقوم فما يسأل شيئا ألا أعطاه إياه (1) .

---

(1) –البحار ج 8 ص 47 عن العياشي .

...وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله رحيم بعباده ومن رحمته انه خلق مئة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم ، فبها يتراحم الناس وترحم الوالدة ولدها ، وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة ، فيرحم بها أمة محمد ثم يشفّعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة حتى إن الواحد ليجيء إلى مؤمن من الشيعة ، فيقول : إشفع لي ، فيقول : وأي حق لك علي؟ فيقول : سقيتك يوما ماء فيذكر ذلك فيشفع له ، فيشفّع فيه ، ويجيئه آخر فيقول : إن لي عليك حقا ، فاشفع لي : فيقول: وما حقك علي ؟ فيقول استظللت بظل جداري ساعة في يوم حار ، فيشفع له فيشفّع فيه . ولا يزال يشفع حتى يشفع في جيرانه وخلطائه ومعارفه . فإن المؤمن اكرم على الله مما تظنون (1).

الفصل السادس

متفرقات

...ويقول البعض في تفسيره قوله تعالى { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله} :

---

(1) – البحار ج 8 ص 44 .عن تفسير العسكري .

..."... إنها تطرح مع فكرة اللقاء على قاعدة مشتركة ... ليمكن لنا من خلال ذلك أن نكتشف وجود لغة مشتركة ، وقناعات مشتركة ... ومشاعر قريبة إلى بعضها مما يوحي بوجود أساس واقعي للتفاهم ... لأن القضايا المسلمة لدى كل فريق يمكن أن تتدخل لتحسم الخلاف في القضايا المتنازع فيها ... فهي تدعوهم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم فنحن نؤمن بالوحدانية كما تؤمنون، وبذلك فإننا نلتقي معاً في نطاق عبادة الله الواحد فلا نشرك في العقيدة ولا نشرك في العبادة ... وعلى ضوء ذلك فإننا نلتقي في فكرة أن

لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، لأن ذلك يعني الشرك بالله في خلقه ... فلا مجال لأن نحل ما حرمه الله علينا ، إذا أمرنا هؤلاء بذلك ولأن نحرم ما أحل الله لنا، إذا أمرنا هؤلاء بذلك .. فإن ذلك يعني الخضوع والعبادة اللذين يؤديان إلى الشرك في نهاية المطاف .. وهذا هو ما استوحاه أحد أئمة أهل البيت (ع) في هذه الفقرة فيما يروى عنه ، في الجواب عن سؤال قدم إليه ، وخلاصته، أن اليهود لا يتخذون بعضهم أرباباً من دون الله فكيف يطرح عليهم هذه الصيغة التي تشعر بوجود شيء لديهم من هذا القبيل فيريد الله أن يخلصهم منه ويفرض عليهم منهجه الحق ؟ .. وكان الجواب يتلخص في التأكيد على هذا الجانب ، فإنهم أحلو لهم حراما وحرموا حلالاً فاتبعوهم في ذلك فكانت تلك ربوبية عملية ، وهذا ما نواجهه ، في ساحة العمل المنحرف ، في التزامنا بما تصدره بعض المؤسسات أو الحكومات من قوانين تتنافى مع قوانين الإسلام ومفاهيمه ، فإن ذلك يمثل اشراكاً في جانب العمل وإن لم يكن إشراكاً في خط العقيدة .(1)

وقفة قصيرة : ...

...إن ما يستوقفنا هنا بالإضافة إلى إطلاقه مقولة : إن الأئمة يستوحون من الآيات القرآنية، التي ناقشناها في فصل قواعد و مناهج، و قلنا انها تنافي حقيقة : أن ما عندهم هو علم من ذي علم نعم ، إن الذي يستوقفنا هنا هو ما يلي :

---

(1) . من وحي القرآن ج6 ص 43و44

...1. حكمه على النصارى بأنهم يؤمنون بالوحدانية كالمسلمين، ويلتقون معهم في عبادة الله الواحد، فلا يشركون في العقيدة ولا في العبادة ، مع أن الله قد تحدث عنهم بخلاف ذلك كما أوضحنا في الجزء الأول من هذا الكتاب ص 250 فما بعدها ، وقد قال تعالى: { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا اله واحد}.(1)

...وقال تعالى مخاطباً النصارى: { قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً وهو السميع العليم }.(2)

...وقال عز وجل : { وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ، أ أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله }.(3)

...وثمة آيات أخرى تفيد هذا المعنى يمكن مراجعتها لمن أراد التوسع والاستقصاء .

...ويشير الى ذلك أيضا أنه لما نزل قوله تعالى {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم } قال إبن الزبعرى: فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد عيسى؛ فأخبر النبي (ص)، فقال: يا ويل أمه، أما علم أن "ما" لما لا يعقل، و"من" لمن يعقل؟ الخ...(4) حيث أقرّه (ص) على أنهم يعبدون

عيسى (ع) وأنكر عليه إستفادة عموم قوله {ما تعبدون} للإنسان، مع أنها في لغة العرب مختصة بغيره.
...2. قوله : يمكن اكتشاف لغة، أو قناعات مشتركة، أو مشاعر قريبة إلى بعضها بيننا وبين اليهود .. هو أمر لا يمكن قبوله ؛ بعد أن قال الله عز وجل :{ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود} .
...كما أننا لا ندري كيف يمكن أن نكتشف قناعات مشتركة بين التوحيد والتثليث المسيحي؟.
يقول البعض:

---

(1) . سورة المائدة الآية 73
(2) . سورة المائدة آية 76
(3) . سورة المائدة آية 116
(4) راجع الكنى والالقاب ج 1 ص294

... "..وهكذا نجد أن فكرة الولد لله، فيما تمثلت به من عقيدة بعض النصارى وبعض اليهود، وبعض العرب، كانت ناشئة من القدرات الخارقة التي يدعونها لهؤلاء، فيما يرون انه لا يمكن أن يكون إلا عن نسبة إلهية عضوية، نظرا إلى أن أصحاب هذه العقيدة لا يتعقلون إمكانية إعطاء الله لهؤلاء بعضا من القدرة التي قد يصنعون بها ما يقومون به من المعجزات، أو ما يعيشونه من أوضاع مميزة .. و في ضوء ذلك نعرف ان التخلف بفهم بعض الامور هو المسؤول عن انحراف العقيدة، وان الاستغراق في تضخيم الأشخاص، فيما يوحيه من تصورات، وفيما يثيره من انفعالات هو الأساس في عبادة الشخصية، ولو بطريقة غير مباشرة، مما يفرض على العاملين الحذر في إثارة الحديث عن صفات العظماء، في تقييم شخصيتهم، ذلك لاعتماد النظرة الموضوعية الهادئة بعيدا عن النظرة الانفعالية الحادة ." (1)

وقفة قصيرة:
...قال تعالى: { وقالت اليهود: عزير ابن الله. وقالت النصارى: المسيح ابن الله. ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنىّ يؤفكون }.. (2)
...لكن ذلك البعض لا يرضى بنسبة ذلك إلى اليهود، و لا الى النصارى، بصورة مطلقة، كما أطلق القرآن ذلك. بل هو ينسبه إلى بعض من هؤلاء، وبعض من اؤلئك.!!
...ورغم انه في هذا الموضع قد ذكر ذلك بصورة خالية عن الترديد والاحتمال، فإنه في موضع آخر وهو يفسر الآية المذكورة أعلاه ، والتي هي من سورة التوبة،لا يغفل عن التصريح بما لا يتوافق مع إطلاق الآية، فهو يقول: "..وقد لا يكون هذا القول لليهود وللنصارى ظاهرة شاملة في الجميع، بل ربما كان حالة محدودة في بعض الأشخاص والمراحل. وإنما ينسبها الله إليهم من خلال إرادته لتقديم النموذج

الحي للانحراف، في التصور والعقيدة."(3)

---

(1) . من وحي القرآن ج 15 ص 226.
(2) . سورة التوبة الآية 30.
(3) . من وحي القرآن ج 11 ص 93.

...ولا ندري كيف نفهم ما يرمي إليه في تعليله للآية التي تنسب ذلك إلى عامة النصارى ؟ فهل إن إرادة تقديم النموذج الحي تستدعي أن ينسب أمرا إلى أناس لا يعتقدون به، أو لا يعتقد به الكثيرون منهم على حدّ قوله ؟!

...إننا لا نريد أن نسمح لأنفسنا بالإسترسال في الإحتمالات إلى حد يجعلنا نعتبر أن قوله هذا يمثل جرأة على العزة الإلهية في اتهامه تعالى . والعياذ بالله . بالقصور في التعبير عن مقصوده ؟!.

...ولا نريد أن نتهمه بأنه ينسب الى الله تعالى: أنه تعمد تشويه صورة اليهود والنصارى بنسبة أمر إليهم أكثرهم بريء منه ! لأنه كان مجرد حالة محدودة في الأشخاص والمراحل ؟

...كما لا نريد أن نتوهم: أن كلام هذا البعض يدخل في نطاق مغازلة النصارى وغيرهم فإن ذلك لا يبيح له ولا لغيره تبرئتهم مما ينسبه القرآن إليهم ؟ !

...

... يقول البعض في معرض حديثه عن الجزية التي يفرضها الإسلام، على أهل الكتاب من غير المسلمين:

... "..الأمر الذي يجعل الإنسان يشعر بالأجواء المشتركة في القيم الروحية والفكرية والتشريعية.. في حركة المجتمع العملية، وبذلك تلتقي الساحة المشتركة بالكثير من الإيجابيات التي لا تهزمها، السلبيات الأخرى.. ولهذا اقر الإسلام التعايش الإسلامي المسيحي في مجتمع واحد.. ولكنه أراد لحكمه أن يكون في المواقع المتقدمة التي تحكم الساحة كلها، من أجل المحافظة على قوة القاعدة وسلامة خط السير، واستمرار حركة العقيدة في أجواء الدعوة والعمل، من دون حواجز ثابتة أو مواقف معقدة.. يسمح للمجتمع أن يتنوع في تصوراته التفصيلية للدين مع عدم الموافقة على بعض هذه التصورات، ولكنه لم يسمح له أن يكون خارج سلطته أو حكمه،لأن المجتمع الذي تتعدد فيه السلطات سوف يكون محكوما للتمزق والضعف والفساد وهذا مما لم يمكن للإسلام أن يسمح به، لأنه يؤدي إلى الخراب والدمار،فلا بد

من وحدة السلطة،.. ولا بد من التقاء جميع أفراد الشعب على أساس الخضوع لتلك السلطة فكيف يكون الخضوع..

...أما في المسلمين فبالالتزام بمفاهيم الإسلام في عقيدته وشريعته وأسلوبه في العمل والحياة... في باب النظرية والتطبيق... لأن ذلك هو معنى الانتماء للإسلام على مستوى الحكم والعقيدة والحياة تماما كأية أمة تلتزم بعقيدة معينة ونظام معين إذا عاشت في داخل الإطار الذي تحكمه تلك العقيدة وذلك النظام... واما في غير المسلمين الذين لا يريد الإسلام أن يفرض عليهم أحكامه في كثير من القضايا العبادية والقتالية والحياتية المتعلقة ببعض الأوضاع والعادات..فلا بد له من فرض سلطته بطريقة أخرى، وهي فرض ضريبة تابعة في تقدير كميتها ونوعيتها لتقدير ولي الأمر الذي يدرس المسألة من موقع مصلحة الإسلام العليا، ودراسته للواقع الذي يعيشه هؤلاء من ناحية واقعهم المالي ونحوه... وليس لهذه الضريبة التي تسمّى بالجزية كما نلاحظ التعبير بذلك في الآية.. أي مدلول تعسفي فيما يتعلق بإنسانية هؤلاء بل هي على العكس من ذلك . ذات مدلول واقعي يتحرك من موقع النظرة إلى الأعباء التي يتحملها الحكم الإسلامي، فيما يحمله من مسئولية حماية هؤلاء ورعايتهم وتوفير الضمانات الحقيقية لوجودهم، مع عدم تحمليهم أية مسئولية في الدخول في الحروب، التي يخوضها المسلمون ضد الآخرين ممن يدينون بدينهم، أو ممن يختلفون عنهم في ذلك.. وعدم مطالبتهم بالضرائب الأخرى المفروضة على المسلمين .. ولولي الأمر أن يعفو عنها في بعض الظروف وله أن يخفف منها في بعض آخر." (1).
إلى أن قال:

---

(1) . من وحي القرآن ج 11 ص 74 و75 وراجع ص 86 و89.

..."..وربما كان من الملاحظ أن الجزية لم تذكر في القرآن إلا في هذه الآية.. مما قد يوحي بأن القرآن كان يركز الموضوع من ناحية المبدأ.. من خلال معالجة الحالة القائمة في المجتمع الأول للدعوة... لتكون نقطة الانطلاق للتشريع الذي تتكفله السنة النبوية، فيما يلهم الله به نبيه من تفاصيل الشريعة.. وهذا باب يمكن لنا أن نفتحه في دراستنا القرآنية.. لنقف . من خلاله . حيث يقف النص القرآني في مدلوله فلا نحمله اكثر مما يتحمل اعتمادا على أن التشريع يتسع لأكثر ما يتسع له النص مما يؤدي إلى التأويل أو توسيع المعنى بعيدا عن ظاهر اللفظ.. بل نترك الأمر في تكامل التشريع إلى السنة التي جاءت لتعطينا توضيح ما أجمله القرآن وتوسيع ما شرعه من حيث المبدأ... انها ملاحظة للتفكير وللمناقشة فيما نرجو أن نصل به إلى النتائج الصحيحة في الفهم القرآني الصحيح والله العالم.
...ومن خلال ذلك نستطيع أن نستوحي الفكرة الإسلامية التي تضع مسألة الدعوة إلى القتال في نطاقها

الطبيعي المعقول فلا تكون عملية سيطرة غاشمة للقوة ضد حرية الإنسان وارادته.. بل تكون عملية إخضاع قانوني للسلطة الحاكمة في عملية تنظيمية دقيقة وهذا ما يمكننا أن نفهمه بقليل من التفصيل." (1)

وقفة قصيرة

إننا نشير هنا إلى الأمور التالية:

...1 . إن هذا البعض يقول: "..إن الجزية المفروضة على أهل الكتاب هي مجرد دفع ضريبة في مقابل حمايتهم وإعفائهم من محاربة إخوانهم في الدين أو غيرهم،وعدم مطالبتهم بالضرائب الأخرى المفروضة على المسلمين. وذلك من منطلق أنه قد أقر " التعايش الإسلامي المسيحي في مجتمع واحد ".

...معتبرا أن الإسلام يسمح للمجتمع أن يتنوع في تصوراته التفصيلية للدين ، مع عدم الموافقة على بعض هذه التصورات.

---

(1) . من وحي القرآن ج 11 ص 84 .85.

...مع أن الله سبحانه قد صرح بان الجزية ليست مجرد ضريبة، وإنما هي اكثر من ذلك حيث اعتبر أنه لابد من قتال هؤلاء الناس { حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون }، وهذا معناه أن هذه الجزية تستبطن الصغار والذل لأولئك الذين يستكبرون عن الحق، و يمتنعون عن الاستجابة له. قال تعالى: { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب، حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون }(1).

...2 . لماذا التخفيف إلى هذا الحد من حدة الفوارق بين الإسلام والمسيحية،فهل الاختلاف بينهما . حقا . هو مجرد تنوع في بعض التصورات التفصيلية، حيث إن الإسلام يوافق على بعض تلك التصورات ولا يوافق على بعضها الآخر ؟ أم أن الخلاف بينهما اعمق واكبر، واشد واخطر ؟!.

...3 . لقد حاول البعض أن يستفيد من عدم ذكر القرآن للجزية إلا في سورة التوبة: أن القرآن يريد معالجة حالة كانت قائمة آنذاك، أي في المجتمع الأول للدعوة، محدودة بحدود الزمان والمكان. وعلى هذا الأساس لا بد أن يقف عند حدود النص القرآني، فلا يحمله اكثر مما يتحمل. بل يكون النص مجرد نقطة انطلاق للتشريع الذي تتكفله السنة النبوية، استنادا إلى أن التشريع يتسع لأكثر مما يتسع له النص.

...فلا بد أن يترك الأمر في تكامل التشريع إلى السنة، والا لوقعنا في التأويل أو توسيع المعنى، بعيدا عن ظاهر اللفظ.

ونقول:

...أ . إن هذا لو صح لوجب أن يجري بالنسبة لآية الخمس، وبالنسبة لآية صلاة الجمعة مع أنه يقول : إنها آبية عن التخصيص بزمان دون زمان ، إلى غير ذلك من آيات كثيرة.

فلماذا لا يحمل كل تلك الآيات على انها قد وردت لمعالجة حالة كانت قائمة في عصر الدعوة الأول ؟.

...ب . إن ما ذكره هذا البعض هنا فراراً عن الإلتزام بالجزية، التي لابد أن يعطوها { عن يد و هم صاغرون }.. يتناقض مع قوله الآخر:" إن العناوين القرآنية هي العناوين الأصلية التي تحكم وتفسر كل مفردات العناوين الموجودة في السنة، فهي التي توسعها وتضيقها لأنها هي الأساس في حركة الأحكام فى الموضوعات.

...كما أن المفهوم القرآني هو المفهوم الحاكم على كل جزئيات المفاهيم الموجودة في الأحاديث ، لأنه هو المقياس لصحة الأحاديث وفسادها (1)."

بداية توضيحية تغني عن الوقفة القصيرة:

...ونقول: لقد كان النبي (ص) يتبرك بعرق علي. وكان يبّرك على الأطفال، ويحنكهم بريقه، ويستجيب لطلب البركة منه، فيضع يده في أواني الماء التي كانوا يأتون بها إليه بعد الصلاة.

...وكانت أم سُليم تجمع عرقه (ص) في قارورة لأجل التبرك به.

...وكان الصحابة يقتسمون شعره حين يحلق رأسه، بل هو كان يوزعه عليهم.

...وكان المسلمون وما زالوا يقبّلون الكعبة، والحجر الأسود، ويتبركون بمقامات الأئمة، وبمقام إبراهيم، وبماء زمزم، ولا يرون ذلك عملاً عبثياً أوغير عقلائي أو غير مشروع ، هم يجلونها ويتبركون بها، بهذا التقبيل .

...ولكن البعض يرى أن البركة لا تتجمد في المسجد، مستندا إلى قوله تعالى: { باركنا حوله } مع أن التبرك بالكعبة، وبالحجر الأسود، وبرسول الله على النحو الذي ذكرناه قد كان موجودا وشائعا، وقد قّبلِ النبي (ص) نفسه الحجر الأسود، كما هو معلوم وغير ذلك (2).

...فلنقرأ ما يقوله البعض بهذا الصدد لنجد إن كان يتوافق مع هذه الحقيقة الإسلامية والإيمانية، إنه يقول:

---

(1) مجلة المنطلق العدد 113 صفحة 32، و راجع رسالة في الرضاع ومجلة المرشد .

(2) راجع التبرك . تبرك الصحابة والتابعين . للعلامة الشيخ علي الأحمدي الميانجي

..."..{ الذي باركنا حوله } فيما كانت البركة تمثله من امتداد وحركة على كل الساحات المحيطة به.. لأن البركة ليست مجرد حالة غيبية روحية تثير المشاعر القدسية في أجواء ضبابية حالمة، بل هي . إلى جانب ذلك . قوة حركية روحية تندفع بالكلمة الطيبة التي تملكها، و بالطاقة الحية التي تحركها، وبالأفق الرحب، الذي تفتحه وبالشعور الحميم الذي تثيره وبالخطوات الثابتة التي تقودها.. لتكون . في جميع ذلك . مشروع حياة نافعة مليئة بكل ما يحقق للإنسان سعادته وللكون نظامه.."

...ومن خلال ذلك فإننا نفهم معنى الشخص المبارك، فهو ليس الإنسان الحامل للأسرار الخفية التي تدفع الناس أن يلمسوا ثيابه وجسده، ليأخذوا منه البركة أو يطلبوا منه أن يضع يده على رؤوسهم ليمنحهم بذلك بركته، بل هو الإنسان الذي يعيش الطاقة الروحية التي تحرك فيه كل طاقاته ليوجهها إلى الناس والحياة من حوله لتنطلق خيرا ورحمة ومحبة وسلاما في نفع شامل غير محدود كما ورد تفسير قوله تعالى في حديث عيسى عن نفسه { وجعلني مباركا } فقد جاء في التفسير أن معناه:وجعلني نفاعاً للناس فيما توحي به البركة من امتداد للطاقة في حياة الناس.

...وهكذا نفهم معنى الأرض المباركة فيما تعطيه من خيرات على مستوى الثمرات المادية، مما تنتجه أو على مستوى الثمرات الروحية، مما توحيه وتتحرك به على خط الرسالات و الرسل فيما تحتويه منها ومنهم في كل زمان وبذلك نفهم سر التعبير في وقوله {باركنا حوله } بدلا من {باركناه} فقد يكون السر في ذلك هو الإيحاء بأن البركة لا تتجمد في المسجد لتبقى فيه ليأتي الناس إليه ليحصلوا على البركة من أرضه وجدرانه. بل تنطلق منه في ما تمثله رسالته من روحية للذات ومن منهج للحياة في انفتاح الإنسان على الله من خلال وحي رسالاته التي تثير فيه المسئولية النابضة بالروح و المتحركة مع الواقع: لتمتد إلى كل مكان فتتحول البركة من نبع يتحرك في داخل الأرض إلى نهر جار ينساب في كل عقل وفي كل روح، ويصل إلى كل ارض للإنسان فيها وجود ليملاها بالخير والمحبة والحياة.. ومن الطبيعي لهذه البركة المحيطة بالمسجد فيما حوله أن تكون منطلقة منه مما يعني ذلك أن التعبير يختزن في داخله معنى البركة في المسجد فيما يوحيه من معنى البركة فيما حوله والله العالم.(1)

...

يقول البعض :

..."... وإذا أردنا أن ندخل في المقارنة بين السلبيات و الإيجابيات، فسنجد إيجابيات الزواج تتفوق كثيراً على ايجابيات الزنا، بينما تتقدم سلبيات الزنا على سلبيات الزواج، وإذا كان الإنسان لا يستطيع الوصول إلى نظام لا سلبيات فيه، نظراً إلى محدودية الواقع الذي يتحرك فيه من حيث الشخص والساحة والأدوات والأجواء، فمن البديهي أن يختار النظام الذي يكون نفعه أكثر من ضرره لتستقيم له حياته في

الطريق الأقوم، في اتجاه التكامل والتوازن والاستقامة."(2)

وقفة قصيرة :

...1 . ليت هذا البعض يدلنا على سلبيات الزواج التي تقل عن سلبيات الزنا ؟! وهل إيجابيات الزنا التي ذكرها بقوله:

---

(1) . من وحي القرآن ج 14 ص 24 _ 25 –26 .

(2) . من وحي القرآن ج 14 ص 113 .

..."وإذا كان للزنا بعض إيجابياته القائمة على الاستجابة للنوازع العاطفية، والمشاعر الملتهبة، والجوع الغريزي (1) الذي قد يجد الإشباع في جهة، ولا يجدها لدى جهة أخرى، والانسجام مع الأجواء الحالمة التي يثيرها الجمال الجسدي، أو التناغم الروحي"(2).

...هل هذه الإيجابيات، لا يجدها الإنسان لو تحول الزنا إلى علاقة شرعية من خلال العقد ؟!

...وهل هذه الأمور مفقودة في الحياة الزوجية لدى عامة الناس؟!

...2 . هل محدودية الواقع الذي يتحرك فيه من حيث الشخص والساحة والأدوات والأجواء تجعل الوصول إلى نظام لا سلبيات فيه أمراً ممتنعاً؟!.

...وهل هذا يعني أن نظام الإسلام الذي يهدف إلى ضبط الحياة في الواقع المحدد ؛ هو نظام يشتمل على السلبيات ؟!

...ولنفرض جدلاً صحة ذلك، فهل هذه هي سلبيات الواقع؟ أم هي سلبيات النظام الإسلامي؟! فلماذا لا يلتفت إلى تعابيره، بل يلقي الكلام على عواهنه؟! وبلا حساب ؟

يقول البعض :

...هل الإحسان الإلهي تفضل أو استحقاق:

...وقد أفاض علماء الكلام الحديث حول الإحسان الإلهي لعباده المؤمنين المتقين، هل هو تفضل أو استحقاق، ولكن هذا البحث غير دقيق لأن الذي يقول بالاستحقاق، يقصد به الاستحقاق من خلال تفضل الله عليهم بوعده لهم بالمثوبة والإحسان وقد جاء عن الإمام علي (ع) لو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده، ولعدله في كل ما جرت عليه صر وف قضائه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله. "(3)

---

(1) . قد تقدمت في الجزء الأول من هذا الكتاب أقواله حول جوع النبي (ص) الى العاطفة .
(2) و اقواله حول أن يوسف عليه السلام قد اندفع إلى امرأة العزيز كما يندفع الجائع إلى الطعام .
فراجع و قارن .
. من وحي القرآن ج14ص112 .
(3) . من وحي القرآن ج 21 ص 376 . 377 .

...1 . إن الرواية (التي استدل بها على مقصوده من كون أصل المثوبة تفضلاً تقول: جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً إلخ..
...ومن الواضح: أن الثواب الذي يثبت بالاستحقاق هو الثواب المقرر من الأساس، فإذا ضاعف الله الثواب ، وزاد فيه ؛ فإن هذه الزيادة تكون تفضلاً منه تعالى وكرماً.
...وليس في الرواية أن أصل الاستحقاق، قد نشأ عن تفضل الله سبحانه وتعالى على العباد بجعل أصل المثوبة لهم، ووعدهم بها.
...2 . إن هذا الرجل قد نسب إلى علماء الكلام مقولة مفادها: أن مقصود القائل بالاستحقاق هو الإستحقاق من خلال تفضل الله عليهم بوعده لهم بالمثوبة والإحسان.
... وهذه النسبة غير صحيحة قطعاً، و لعله استعار ذلك من البلخي الذي يقول : إن الثواب على الطاعة إنما هو بالتفضل لا بالإستحقاق ، و قد رد العلماء مقولة البلخي هذه بان: الطاعة مشقة ألزم الله العبد بها ؛ فإن لم يكن لغرض كان ظلماً وعبثاً ، وهو قبيح لا يصدر من الحكيم، وإن كان لغرض، فإن كان عائداً إليه تعالى فهو باطل لغناه، وإن كان عائداً إلى المكلف،فان كان هذا الغرض هو الإضرار به كان ظلماً قبيحاُ، وإن كان هو النفع له، فإن كان يصح أن يبتدئ الله به العبد، فيكون التكليف حينئذ عبثاً، وإن كان لا يصح الابتداء به بل يحتاج إلى تكليف ليستحق أن يحصل على ذلك النفع فهو المطلوب. فالنتيجه اذن هي: ان الثواب بالإستحقاق لا بالتفضل .
...واما قول البلخي فهو باطل من الأساس، لانه يستند فيما ذهب اليه الى ان التكاليف إنما وجبت شكراً للنعمة ، فلا يستحق بسببها مثوبةً، فالثواب تفضل منه تعالى.

...ولا شك في عدم صحة هذا القول ، إذ أن الكلام إنما هو في مرحلة الحسن والقبح، ويقبح عند العقلاء أن ينعم شخص على غيره، ثم يكلفه ويوجب عليه شكره من دون إيصال ثواب على هذا التكليف فإنهم

يعدون ذلك نقصاً، وينسبونه إلى حب الجاه والرياسة، ونحو ذلك من المعاني القبيحة التي لا تصدر من الحكيم؛ فوجب القول باستحقاق الثواب.

... غاية ما هناك أنه يمكن أن يقال، وإن كان ذلك لا يلائم كلام البلخي أيضاً بل هو أيضاً ينقضه ويدفعه: إنه وإن كانت مالكية الله سبحانه لكل شيء تجعله، متفضلاً في تقرير أصل المثوبة لمملوكيه على أفعالهم، ولكنه بعد أن قرر لهم ذلك بعنوان الجزاء، وتفضل عليهم في زيادة مقاديره، حتى لقد جعل الحسنة بعشرة أمثالها، أو بسبع مئة ضعف ، والله يضاعف لمن يشاء وبعد أن دخل ذلك في دائرة القرار، وأصبح قانوناً إلهياً مجعولاً، فقد دخل في دائرة الاستحقاق بعد أن لم يكن ولأجل ذلك لم يجز في حكم العقل أن يعطي الله للعاصي، ويمنع المطيع، ولو كانت المثوبة من باب التفضل لجاز ذلك.

...وهذا نظير ما لو قرر رجل أن يجعل لولده جائزة على نجاحه في الامتحان في مدرسته، فإذا نجح الولد فسيطالب أباه بالجائزة ويرى أنه مظلوم ومهان لو لم يعطه إياها، فضلاً عن أن يعطيها لأخيه الراسب(1).

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم ... 1-

2. الإتقان . لجلال الدين السيوطي . ط . سنة 1973 المكتبة الثقافية بيروت .

3. الإحتجاج للطبرسي . ط1386هـ .ق دار النعمان . بيروت .

4- إحقاق الحق (الملحقات) للسيد المرعشي النجفي ط قم إيران .

5. الاحكام في أصول الأحكام للآمدي:ط سنة 1387هـ.ق مؤسسةالحلبي وشركاه . مصر

6. الإختصاص للشيخ المفيد. إنتشارات جماعة المدرسين . قم . إيران

7. الإرشاد للمفيد . م الحيدرية . النجف الأشرف . العراق سنة 1392 . ط سنة1381

---

(1) . راجع مأساة الزهراء ج 1 ص 63 . 64 .

8. إرشاد الفحول للشوكاني . ط سنة 1399هـ .ق . وسنة 1403 . دار المعرفة بيروت

9 . أسمى المناقب للجزري الشافعي . ط سنة 1403. هـ .ق

10- الاصابة لابن حجر العسقلاني ط سنة 1328هـ ق مصر -ثم سنة 1399هـ ق .

11. أعلام النساء . لعمر رضا كحالة . ط سنة 1404 هـ .ق . مؤسسة الرسالة بيروت

12. إعلام الورى . الطبرسي . ط سنة 1390هـ .ق . الحيدرية . النجف الأشرف

13- الأمالي للشيخ الصدوق ط الحيدرية سنة 1389هـ ق النجف الشرف العراق .

14- الأمالي للشيخ الطوسي . ط النجف الأشرف . العراق
15- الأمالي للشيخ المفيد . منشورات جماعة المدرسين . قم . إيران
16-- أهل البيت لتوفيق أبي علم ط سنة 1982م دار الكتاب الجامعي مصر ... أ -
17 . البحار للعلامة المجلسي . ط سنة 1403 هـ . ق مؤسسة الوفاء بيروت
18- البداية والنهاية . لإبن كثير . ط سنة 1966م مكتبة المعارف بيروت
19- البرهان في تفسير القرآ ن للبحراني . ط آفتاب طهران إيران . والمطبعة العلمية سنة 1393 هـ . ق إيران
20- بصائر الدرجات للصفار ، ط سنة 1381 هـ ق .
21-بغداد لطيفور . ... ب-
22- التاج الجامع للأصول للشيخ منصور علي ناصف . دار إحياء التراث العربي سنة 1381 هـ . ق بيروت لبنان
23-تاريخ آل محمد
24- تاريخ الخميس للديار بكري ط سنة 1383 هـ ق مصر .
25- تاريخ دمشق (ترجمة الإمام علي عليه السلام)بتحقيق المحمودي . ط بيروت لبنان
26-التبرك للشيخ الأحمدي . ط الدار الإسلامية . بيروت لبنان
27-التبيان للشيخ الطوسي ط النجف الأشرف العراق .
28-تدريب الراوي للسيوطي ، ط سنة 1392 هـ ق منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
29- التراتيب الإدارية للكتاني . ط دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان
30- تفسير الإمام العسكري ط.قديمةفي النجف الأشرف . وط . جديدة سنة 1409هـ ق مطبعة مهر . قم . إيران
31- تفسير الصافي للفيض للكاشاني . منشورات الأعلمي . بيروت . لبنان . وطبعة أخرى
32- تفسير العياشي . ط المكتبة العلمية الإسلامية إيران
33- تفسير فرات . ط النجف . وط. الجديدة المنقحة في إيران سنة 1410 هـ . ق طهران
34- تفسير القمي لعلي بن إبراهيم بن هاشم . ط سنة 1378هـ .ق بيروت . لبنان
35- التفسير الكبير للفخر الرازي . منشورات دار المكتبة العلمية . طهران إيران
36- تلخيص مستدرك الحاكم للذهبي . مطبوع بهامش المستدرك نفسه سنة 1342 هـ .ق الهند

37- تيسير المطالب في أمالي الإمام ابي طالب لأبي طالب الزيدي . ط سنة 1395 هـ . ق . بيروت لبنان ... ت-
38- الثقاة لابن حبان البستي ط 1397هـ ق الهند . ... ث-
39- جامع الأخبار لمحمد بن محمد السبزواري ط سنة 1413 هـ .ق . مؤسسة آل البيت لأحياء التراث . بيروت
40- جامع الأخبار والآثار للموحد الأبطحي الأصفهاني ط سنة 1411 هـ .ق مؤسسة المهدي . قم . ايران
41- جامع البيان لإبن جرير الطبري ط سنة 1312 هـ .ق مصر
42- الجامع الصغير للسيوطي . ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي . مصر
43- ألجامع الصحيح للترمذي نشر المكتبة الإسلامية لرياض الشيخ وطبعة أخرى
44- حلية الأولياء لأبي نعيم . ط سنة 1387هـ . ق دار الكتاب العربي بيروت لبنان
45- حياة الصحابة للكاندهلوي . ط سنة 1392 هـ.ق دار النصر للطباعة . القاهرة . مصر . ودار الوعي بحلب . سوريا . سنة 1391هـ .ق ... ج-
46- الخرائج والجرائح لراوندي ط مصطفوي ايران و ط جديدة في 3 أجزاء صدرت مؤخراً .
47- الخصال للشيخ الصدوق ط سنة 1403 هـ .ق جماعة المدرسين . قم إيران ، وطبعة أخرى أقدم منها . ... خ -
48- الدر المنثور للعاملي . ط سنة 1398 هـ. ق . مطبعة مهر استوار . قم . إيران
49- دستور معالم الحكم لإبن سلامة القضاعي . ط سنة 1332 هـ .ق
50- دلائل الإمامة للطبري
51- دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر ط سنة 1395 هـ . ق إيران ... د -
52-رجال الكشي ط جامعة مشهد سنة 1348 هـ ش .

53- روح المعاني للألوسي ط دار إحياء التراث بيروت لبنان . ... ر-
54 الزهد والرقائق لإبن المبارك . الناشر محمد الزغبي ... ز-
55 - سنن إبن ماجة ط سنة 1373 هـ .ق
56-السيرة النبوية لابن هشام افست عن طبع سنة 1355هـ ق مصر .
57- السيرة الحليبة للحلبي الشافعي . ط سنة 1320هـ .ق
58- السيرة النبوية والآثار المحمدية لدحلان . ط دار المعرفة . بيروت لبنان والمطبوع بهامش

السيرة الحلبية بطبعاتها المختلفة ... س –
59– الشافي للمرتضى
60– شرح التجريد للقوشجي . ط حجرية سنة 1307 هـ . ق إيران
61– شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي . ط سنة 1385 هـ.ق . مصر ودار إحياء التراث العربي وطبعات أخرى سبقتها ... ش –
62– صحيح مسلم . محمد علي صبيح وأولاده سنة 1334هـ .ق مصر
63– الصحيح من سيرة الرسول الأعظم (ص) للسيد جعفر مرتضى العاملي (مؤلف هذا الكتاب) . ط سنة 1416 هـ . ق 1995م دار السيرة ، ودار الهادي بيروت لبنان . ... ص–
64– الطبقات الكبرى لإبن سعد ط دار صادر، و ط ليدن
65–الطرائف لابن طاووس ط 1400 مطبعة الخيام قم ايران وطبعة حجرية . ... ط–
66–علل الشرائع للشيخ الصدوق ط الحيدرية 1385هـ ق النجف الشرف العراق . ... ع–
67–الغدير للعلامة الأميني . دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
68– غرائب القرآن للنيسابوري (مطبوع بهامش الطبري) سنة 1312 هـ.ق
69– غرر الحكم للآمدي مع ترجمة محمد علي الأنصاري القمي . ط إيران .
70–الغيبة للنعماني مكتبة الصدوق طهران . ... غ–
71– ألفائق للزمخشري . ط سنة 1971م . عيسى البابي الحلبي . مصر ... ف–
72– قاموس الرجال للشيخ محمد تقي التستري . ط سنة 1379 هـ .ق مركز نشر الكتاب . طهران . إيران
73–قرب الاسناد للحميري ط حجرية وط جديدة . ... ق–
74– الكافي ط سنة 1388 هـ .ق المطبعة الإسلامية طهران إيران وط سنة 1377 هـ .ق الحيدري ، طهران . إيران

75– كشف الأستار عن مسند البزار للهيثمي . ط سنة 1399 هـ .ق مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان
76– كشف الغمة للأربلي . المطبعة العلمية سنة 1381 هـ .ق . قم إيران
77–الكفاية للآخوند .
78–كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ط سنة 1395هـ ق دار الكتب الاسلامية طهران – ايران
79– كنز العمال للمتقي الهندي . ط سنة 1381 هـ . ق الهند ، وط سنة 1364هـ .ق . الهند
80–الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ط 1389 الحيدرية النجف الاشرف العراق. ... ك–

81- للإنسان والحياة . ط سنة 1997 م (الثانية) . دار الملاك بيروت . لبنان
82- لباب التأويل للخازن . ط سنة 1317 هـ. ق مصر نشر دار المعرفة . بيروت . لبنان ... ل-
83-مأساة الزهراء (ع) شبهات وردود ط سنة 1997 (الثانية) دار السيرة . بيروت لبنان
84 . مجمع البيان للطبرسي . سنة 1379هـ .ق دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان وط . صيدا . لبنان
85- مجمع الزوائد للهيثمي ط سنة 1967 م . لبنان
86- المحاسن للبرقي ط سنة 1370هـ . ق مطبعة رنكين . طهران . إيران
87- المسائل الفقهية للسيد محمد حسين فضل الله ط أولى .دار الملاك بيروت لبنان .
88- مستدرك سفينة البحار . لعلي غازي الشاهرودي ط سنة 1410هـ .ق مؤسسة البعثة إيران
89- المستدرك على الصحيحين . للحاكم النيسابوري . ط سنة 1343 هـ .ق الهند
90- مستدرك الوسائل للمحدث النوري ط سنة 1372 هـ .ق قمري منشورات المكتبة الإسلامية . طهران . إيران ، ومؤسسة آل البيت لإحياء التراث .
91- مسند أحمد بن حنبل ط سنة 1313 هـ .ق مصر . ثم نشر دار صادر بيروت . لبنان
92- مشكل الآثار للطحاوي ط سنة 1333 هـ.ق الهند
93- مصابيح السنة للبغوي . ط سنة 1407هـ .ق دار المعرفة بيروت لبنان وط سنة 1394 هـ . ق بولاق وعنه في دار العلوم الحديثة
94- المصنف لعبد الرازق الصنعاني . ط سنة 1390 هـ .ق
95-المعارج العدد - المجلد السادس عدد 28-31 السنة الثامنة العام .1997

96- معاني الأخبار للشيخ الصدوق ط سنة 1361 هـ .ق جماعة المدرسين . قم . إيران
97- المناقب للخوارزمي . ط سنة 1385هـ .ق المطبعة الحيدرية . النجف . الأشرف العراق
98. مناقب آل أبي طالب . لإبن شهر آشوب . ط مصطفوي . المطبعة العلمية . قم . إيران
99. المنطلق (مجلة) تصدر في بيروت . لبنان
100 . من لا يحضره الفقيه للصدوق ط . النجف الأشرف . العراق وط جماعة المدرسين . قم . طهران
101 . من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله . الطبعة الأولى . دار الزهراء . بيروت . لبنان

102 . موارد الظمآن
103 . الموافقات للشاطبي . دا ر المعرفة . بيروت . لبنان
104 . ميزان الحكمة للري شهري . نشر مكتب الإعلام الإسلامي سنة 1404هـ .ق
إيران
105 . الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي . ط سنة 1394هـ. ق . مؤسسة الأعلمي . بيروت لبنان ... م-
106. نزل الأبرار للبدخشاني الحارثي . سنة 1403 هـ .ق . مطابع نقش جهان . طهران . إيران
107 . نهاية السؤال على منهاج الأصول للأسنوي . عالم الكتب
108 . نهج البلاغة جمع الشريف الرضي . شرح محمد عبده . الإستقامة
109 - الندوة ج ا ط الاولى 1997. دار الملاك بيروت لبنان .
110 - نورالأبصار للشبلنجي الشافعي . المطبعة اليوسفية . نشر مكتبة الجمهورية . مصر
111 . نور الثقلين لإبن جمعة الحويزي . مطبعة الحكمة . قم . إيران
112 . نور القبس لليغموري . ط سنة 1384 هـ .ق ... ن-
113 . وسائل الشيعة للكاظمي . ط حجرية . سنة 1320هـ .ق ... و -
114. ينابيع المودة للقندوزي الحنفي . سنة 1320هـ .ق . اسلامبول . تركيا ... ي -

خلفيات

كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام)

خلفيات

كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام)

الجزء الثالث

العلاّمة المحقق

السيد جعفر مرتضىالعاملي

دار السيرة

بيروت . لبنان

كل الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

تصحيح وتوضيح

إننا نلفت نظر القارئ الكريم إلى أننا قد وقعنا في خطأ، يرجى تصحيحه..

فقد قلنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب صفحة 101 مايلي:

(ويعرف أيضاً ما جرى لمريم وهي ترى المعجزات حين حملها بعيسى عليها السلام، و ولادتها له، كتساقط الرطب الجني عليها في غير أوانه).

فإن عبارة: (حين حملِها بعيسى (ع).. إلى قوله: في غير أوانه) لابد من حذفها بإعتبار أن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر كما يقولون..

ولأجل ذلك فإنه لابد من حذف كلمة "وعيسى (ع)" من آخر صفحة 102 من نفس الجزء..

والله نسأل: أن ينير قلوبنا بنور المعرفة، وأن يثبتنا على صراط الحق والهدى إنه ولي قدير. وبالإجابة حريّ وجدير..

الفات نظر:

إننا قد اعتمدنا في الجزئين السابقين على الطبعة الأولى من كتاب "من وحي القرآن" وبعد أن صدرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب، فقد آثرنا أن نعتمد عليها في هذه الأجزاء الثلاثة: (الثالث، والرابع، والخامس) لأن الوصول إليها أيسر على القارئ الكريم، فليلاحظ ذلك...

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، من الاولين والآخرين الى قيام يوم الدين.

وبعد..

فقد وعدنا القارئ الكريم بأن تقتصر أجزاء هذا الكتاب على ثلاثة.. وعلى هذا الاساس فإننا وفاء بالوعد نقدم للقراء الكرام الجزء الثالث لكتاب (خلفيات كتاب مأساة الزهراء) على أمل أن يجدوا فيه ما ينفع ويجدي في توضيح الحقيقة، وتمييزها عن شوائب يحاول البعض لسبب أو لآخر إلحاقها بها.

ولكن الظاهر هو: أن الأمر لن يقف عند هذا الحد، حيث ظهر أنّ ثمة حاجة لمتابعة إصدار أجزاء أخرى تبين موارد الخلل فيما ينشره البعض بين الناس من مقولات.
وبما أن هذا البعض يقول تارة: "ان 99,99 هو كذب وافتراء وبهتان.."
ويقول تارة أخرى: "إن 90% كذب وافتراء، وعشرة بالمئة تحريف للكلام عن مواضعه..."
فقد التزمنا في هذا الجزء أيضاً كما في سابقيه أن لا نأتي من كلمات هذا البعض إلا بما هو مكتوب أو منشور ومتداول.. وإن كنا نعلم أن ذلك لن يردعهم عن التمادي في الاتهام الظالم لنا بدبلجة الكلام مخابراتياً أو بغير ذلك!!!
كما اننا لا نريد أن نتحدث عن الخلفيات، والدوافع، والنوايا التي تدفع لتسجيل هذا النوع من السعي لاقتحام المسلمات . على حد تعبير البعض . لأن همنا هو إلفات القارئ إلى أن عليه أن لا يأخذ من أقوال هذا البعض شيئاً إلا بعد البحث والتمحيص، لأنه يتبنى آراء خاصة به، ويلقيها الى الناس، دون أن يبين لهم: انها آراؤه الشخصية التي لا تتوافق مع ما عليه مذهب أهل البيت عليهم السلام.
وفي اتجاه آخر نشير الى أن بيان آراء هذا البعض وطرح أقاويله على بساط البحث ليس سباباً ولا شتماً له.. ولا يمكن أن يدخل في دائرة الخلافات الشخصية معه.. فلماذا يحاول هذا البعض الخلط بين هذين الامرين وتصوير الامر للناس على أنه هجوم على شخصه ثم هو يدعي: أنها هجمة مخابراتية، وان منشأها العقدة والغريزة وقلة الدين.. وأن من يناقشونه في أفكاره كمثل الحمار يحمل أسفارا، وان مثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.. وانها إسقاط للرمز و و الخ... وانهم حاقدون وحاسدون ومعقدون لا يخافون الله.
وإن كانت مناقشة أفكار هذا البعض تعني كل ذلك.. فإنه هو نفسه لم يزل يناقش أفكار العلماء . الشيعة وغيرهم . وينتقدهم.. ويوجه لهم أبشع الإهانات، وقد ذكرنا طائفة من كلماته لهم في الجزء الأول من هذا الكتاب.

فهل يرضى منا . ولأجل هذا بالذات وفقا لمنطقه . أن نجعل ذلك في دائرة العقد النفسية، والكيد المخابراتي، وعدم التدين وفقدان التقوى.. الى آخر ما هنالك مما ألمحنا الى بعض منه.
على أن مناقشتنا لا تهدف الى تسجيل أي هنات في شخصه، ولا في شخصيته، ولا في ممارساته العملية..
كما أنها لم تتضمن أية قائمة، لا طويلة، ولا قصيرة في أي شأن من الشؤون . لا في دائرة التعامل مع الناس ولا في نطاق المواقف والممارسات العملية للشأن العام، ولا في محيط الاخلاق والالتزام.
وذلك لأننا نربأ بأنفسنا عن الانجرار الى هذه المزالق، أو الوقوف عند مثل هذه الامور على أننا قد تحيرنا مع هذا البعض، فتارة هو يقول: انه هو المستهدف شخصياً، وان المسألة تنطلق من أجواء عقد

نفسية وحالات غرائزية.

وأخرى يقول: "ان الهدف هو ارباك (الحالة) وان المخابرات الاقليمية والمحلية والدولية . وحتى قمة شرم الشيخ هي رائدة هذا التوجه البغيض".

وأخرى يقول: "ان الصراع إنما هو بين ظاهرتي التخلف والتجديد".

ورابعة يقول: "إن مرجعيته هي المستهدفة.. "

إلى آخر ما هنالك من مفردات احتوتها قائمة البالونات الاعلامية، الهادفة الى تمييع القضية الاساس، التي هي تلك المخالفات الخطيرة في أمور الدين والعقيدة.. والتي قدمنا في الجزأين السابقين، كما نقدم في هذا الجزء طائفة وفيرة منها..

ولا ندري إذا كان الاصرار على تشويه الحقيقه سوف يضطرنا الى متابعة اطلاع الاخوة الابرار على المخالفات التي ارتكبت والتي أثارت عاصفة من الاعتراضات القوية في الساحة..

والذي يلفت نظرنا: ان هذا البعض يعمل باستمرار على نشر ردود، على كتبنا تهدف الى إثارة الغبار، وذر الرماد في العيون.

ونلاحظ على هذه الردود أموراً كثيرة نذكر منها ما يلي:

1 . انه يتم انتقاء موارد يسيرة جداً، يرون أن بإمكانهم المداورة، والمناوره فيها.. ولكنهم يتركون الامور الأساسية، ولا يجرؤن على الاقتراب منها...

2 . إن هذه الامور اليسيرة التي يتعرضون لها يحاولون أيضاً تغيير اتجاه البحث فيها ثم الاطالة في الحديث، والذهاب يمينا وشمالا حتى يضيع القارئ الكريم في فوضى الاقوال..

ونذكر نموذجا على ذلك، وللقارئ أن يقيس عليه الكثير من الموارد . ما ذكره البعض حول امتداد نسل آدم..

فإن إشكالنا الاساسي عليه هو في ثلاثة أمور هي:

أولاً: قوله: "انه لا طريق الى امتداد النسل إلا تزويج الاخوة بالاخوات"، مع ان الله الذي خلق آدم وحواء، قادر على أن يخلق لابنائهما اناسي . اجمل من الحور . ليمتد النسل من هذا الطريق..

ثانياً: ثم قوله: "انه بعد امتداد النسل استقام نظام العائلة، ولتنمو في جو طاهر من الناحية الجنسية"، فإن هذا يستبطن اتهاما خطيرا لبيت نبي الله آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ثالثاً: ثم قوله: "انه لا مناعة جنسية بين الام وولدها.. "

فترى: ان الذين تصدوا للدفاع عنه قد اقاموا الدنيا ولم يقعدوها في عمل خداعي يهدف إلى صرف نظر القارئ عن الإشكال الحقيقي إلى أمر آخر غير ذلك كله، وهو أنه هل يجوز تزويج الاخوة بالاخوات أم لا، مع أن هذا الامرلم نبحث فيه، ولم نورده في جملة العناوين التي تحدثنا عنها.

4 . إن عمدة ما يستدلون به هو أن فلانا قال كذا، وفلانا الآخر قال كذا.. وكأن الأدلة أصبحت خمسة هي:

الكتاب، والسنة، والاجماع، والعقل، وقول فلان، أو فلان.

ونقول لهم: إذا قال أهل الأرض كلهم بأمر يخالف قول الله ورسوله وقواعد الدين والمذهب الثابتة فإنهم يكونوا مخطئين ولا بد من رد أقوالهم جميعاً.

5 . ان الكثير مما ينسبونه الى العلماء يعاني من التحريف في معناه أو لفظه.. كما أوضح ذلك الذين واجهوهم بالامر، وصدعوا بالحق فراجع كتاب جاء الحق، والفضيحة، وحتى لا تكون فتنة.. وغير ذلك من الكتب التي بينت ذلك حين ردت على تلك المقولات التي أطلقها البعض.

6 . ان ما ينقلونه أيضاً من أقوال العلماء لا ينسجم في معظمه مع ما يريدون، بل ان اكثره لا يشبه كلام هذا البعض في شئ، ولا يتضمن أية جرأة على الانبياء والمرسلين، وعلى الأئمة الطاهرين...

فمثلاً لو قارنت بين كلام من يقول: ان سورة عبس وتولى نزلت في رسول الله (ص)، وبين ما قاله هذا البعض في هذا المورد لرأيت البون شاسعاً، والفرق كبيراً.. فإن من قال بنزولها فيه(ص) لم يزد على ذلك أي توصيف.

فلم يقل مثلاً: لا تفعلوا مثل فعل النبي (ص)..

ولا تكن "لا تكون باللهجة العراقية العامية(1) منطلقاتكم منطلقات النبي (ص)".

ولا قرر:

أن النبي يترك الاهم وينشغل بالمهم.

وان النبي (ص) يقوم بتجربة غير ذات موضوع..

وان الله يربي رسوله تدريجا بعد الوقوع في الخطأ.

وان النبي يستغرق فيما فيه مضيعة للوقت.

ويفوت الفرص المهمة.

ويخطئ في التشخيص.

ولا يعرف مسؤوليته المباشرة..

7 . انهم يحاولون التشكيك في النوايا فيما يرتبط بالاعتراض على مقولات البعض:

فتارة يقولون: هي عقد شخصية.

وأخرى انها: خطط مخابراتيه.

وثالثة: إنها لأجل الطعن بمرجعية بعينها.

أو أي سبب آخر...

ونقول لهم: ليكن الدافع أي شئ تفرضونه، فإن ذلك لا يبرئ صاحبكم من الاخطاء التي وقع فيها، ولا يجعل خطأه صوابا، ولا يعفيه من مسؤولية التصحيح والتراجع.

---

(1) و قد اعترف هذا البعض: أنه كان يتكلم باللهجة العامية وذلك في شريط مسجل له، مع أحد أصدقائه الموجودين في قطر، وذلك في نفس الشريط الذي قال فيه: لعل الزهراء لم تكن تدري: أنها يجب أن تستيقظ لصلاة الصبح، وقد أراد النبي (ص) أن يعلمعها هذا الحكم ، حين حركها برجله(!!) وقال لها: قومي يا بنية لا تكوني من الغافلين.
فإذا كان يتكلم بالعامية، فيكون قوله لا تكون منطلقاتكم، يريد به: لا تكن منطلقاتكم.. لأن المقصود هو العامية باللهجة العراقية، وهي اللهجة التي يفضل أن يتحدث بها، وأن لا يتخلى عنها.

8 . انهم يتهمون من يعترض على هذا البعض، الذي يريد صدم الواقع، ويسعى لاقتحام المسلمات، بأنه يثير فتنة.
ونقول لهم: إن اطلاق الاتهام بهذه الطريقة يذكرنا بقصة قتل عمار بن ياسر الذي قال رسول الله (ص): تقتلك الفئة الباغية، فلما قتل، وطولب معاوية بذلك قال: نحن قتلناه ! إنما قتله من وضعه بين أسيافنا(1).
وبعد.. فإن ما يثير العجب حقا: أن هذا البعض لا يكل ولا يمل من التلفظ بالدعوة الى الحوار في الهواء الطلق.. فإذا ندبناه الى ذلك، وسيرنا إليه وسطاء الخير، وأصحاب النوايا الطيبه وتكررت المحاولات، واختلفت حالات الوسطاء في مواقعهم الاجتماعية، وفي ميزاتهم وسماتهم، وتكرر الذهاب والإياب، زرافات تارة، ووحداناً تارة أخرى.. وبعد الكثير من الاخذ والرد والجلسات الطويله، وحين يبلغ الحق مقطعه، فإنك تجده حين يجد نفسه محاصراً ومحرجاً يعلن رفضه لهذا الأمر، ويريح نفسه ويريحهم حين يطلب منهم إقفال الموضوع.
ولم يكن لدينا أي شرط سوى شرط واحد يتيم، وهو أن يتم الحوار أمام ثلة كبيرة من العلماء الذين هم من الطراز الاول، يختار هو نصفهم، ونختار نحن النصف الآخر، وذلك ليكونوا الحكم والمرجع حين تتباين وجهات النظر، وهم الذين يضعون حدا للمكابرة، أو التجني، إن حدث أي شئ من ذلك.
وآخر ما نذكره هنا هو أن من حقنا جميعا أن نطالب من يقول: إن أفكاره ما تزال أفكاره منذ الثمانينات، وانه يتحمل مسؤوليتها.
ثم هو يقول: "ان جميع ما ورد في كتابه (من وحي القرآن) في الطبعة الاولى والطبعة الثانية التي هي طبعة دار الملاك، فهو صحيح، والاختلاف إنما هو في الأساليب".
وذلك معناه أن كل فكرة وردت في الطبعة الأولى فهي صحيحة، حتى ولو حذفها من الطبعة الثانية،

لأن الاسلوب يكون هو السبب في الحذف..
فكيف يفسر لنا إذن إنكاره لنبوة يحيى عليه السلام في الطبعة الأولى، وسكوته عن ذلك في الطبعة الثانية، فإن كل ما فيهما صحيح على حد قوله.

وكيف يفسر لنا ما قاله من أن فواتح السور { ألم وكهيعص . وغيرها } هي من إضافات النبي في القرآن . إن كانت السور التي وردت فيها هذه الاحرف مكية في أغلبها . وهي كذلك.
وقد سكت عن هذا الأمر في طبعة دار الملاك، ولم يصرح بخطئه فيه ولا بخطئه في قضية يحيى، وإذا كان كل ما في هذه الطبعة وتلك صحيحا.. فإن معنى ذلك أنه منكر لنبوة من صرح القرآن بنبوته، وانه يقول بان النبي قد زاد في القرآن، وأن القرآن محرف بالزيادة فيه.
على أننا نقول:
اننا من جهة: نتوقع من هذا البعض الذي يعلن أنه سعيد بنقد الناس له، وأنه يقول: . رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي . نتوقع منه . أن يترحم علينا، وأن يكون سعيدا بهذا النقد.. وأن يعفينا من قوله عن مراجع الامة وعلمائها في إذاعة تابعة له:
. "كمثل الحمار يحمل أسفارا"
. "كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث... الخ"
بلا دين، بلا تقوى.. ولا تثبّت يفهمون الكلام بغرائزهم.. يعانون من عقدة وحسد.. متخلفون... وما الى ذلك..
هذا عدا عن وصمهم بأنهم عملاء مخابرات إقليمية، أو دولية، أو محلية... أوأنهم واقعون تحت تأثير المخابرات.
ثم هو يصور المراجع للناس على أنهم (ألعوبة بلهاء شوهاء) بأيدي بعض المحيطين بهم، وانهم يأتيهم الناس بقصاصات:
ما رأيكم بمن يقول كذا.. فيكتب هذا كذا وكذا. على طريقة ويل للمصلين..
نعم.. إن الامر أجل من ذلك وأخطر.
ومن جهة ثانية:
فإننا نتوقع من أي مؤمن ومنصف أن لا ينظر الى هذا الامر على أنه خلاف شخصي بين فريق وفريق..
فكما يستبعد أن يكون شئ من ذلك قد صدر من هذا البعض، ويستبعد أن يكون هذا البعض لا يصرح له بالحقيقة حين يقول له: إن هذه الامور مكذوبة أو محرفة..

فإننا نطلب منه أن يستبعد أن يكون العلماء، ومراجع الدين في شتى بقاع الارض قد كذبوا على هذا الرجل.. أو أنهم يتحاملون عليه من موقع الحقد والضغينة، فإنهم أيضاً علماء مسلمون مؤمنون لهم حق علينا أن ننصفهم، وأن لا نظن بهم سوء ا، وأن نسمع منهم كما نسمع من غيرهم، وأن نحتمل الخير والصلاح فيهم كما نحتمل ذلك في من عداهم.

فلا يظن السوء بفريق بعينه، ولا يتهمه ويتحامل عليه، ولا يرفض قراءة ما سجله من مخالفات، بل يقرأ لكل فريق، ويسمع من الطرفين، ويراجع المصادر ليطمئن الى صحة ما يقال له.

ومن جهة ثالثة:

إن موقف المراجع وعلماء الامة مما يجري.. لم يكن لاجل جر النفع الى أنفسهم، إذ أنهم أتقى، وأجل من أن يظن في حقهم ذلك، وهم حفظة هذا الدين، الامناء على حقائقه، وأحكامه..

وإنما هدفهم هو تحصين أهلنا وآبنائنا من الانسياق وراء الخطأ في أمور لا تختص بفريق دون فريق.. ولا بطائفة دون طائفة، ولا بجيل دون جيل.

ويلاحظ: أن الاعتراضات قد انصبت بصورة أكبر على الجانب العقائدي، وعلى المفاهيم والقيم، وعلى التفسير وعلى المناهج التي تحكم التوجه الفكري والعقيدي والمناهيمي ولم تركز اهتمامها . بصورة جدية . بالمخالفات في نطاق الأحكام.

وما ذلك إلا لأن دائرة الاحكام تبقى محصورة في نطاق جماعة بعينها استطاع ذلك الشخص بأساليبه أن يؤثر عليها ويربطها بنفسه. وينتهي الامر عند هذه الفئة، ولا يتعداها الى الجيل الذي بعدها، حتى من أبنائها.

أما المفاهيم والحقائق الايمانية، وشؤون العقيده، والتفسير فلا تقتصر على من يرجع في التقليد.. بل يأخذ ذلك الناس كلهم وقد يأخذونها من الحي ومن الميت على حدّ سواء.

فإذا كان ثمة من خطأ فإن هذا الخطأ سينتشر في هذه المجالات، ولسوف لا يقتصر الامر على فئة دون فئة، أو جيل دون جيل..

فكان أن وقف مراجع الدين، وعلماء الامة ليصونوا حقائق هذا الدين، حتى ولو أهينوا وحقروا على شاشات التلفزة، وصوروا على أنهم ألعوبة في يد بعض المقربين منهم، أو يقعون تحت تأثير سياسات المخابرات.. وما الى ذلك.

فإنا لله وإن إليه راجعون...

تموز/2000

وبعد كل ما تقدم نقول:

513 . إن 99,99% مما يقال وينشر ضدي كذب وافتراء وبهتان.

يقول البعض:

"أنا لا أدعي لنفسي العصمة، ولكنني أستطيع أن أقول: إن 99, 99% مما يقال وينشر ضدي هو كذب، وافتراء، وبهتان"(1).

ونقول:

إننا نطلب من القارىء الكريم أن يراجع ويقارن فقط!!!.

وسئل البعض:

هل على المفكرين العظام أن ينظروا الى ردود الفعل الآتية حول كلماتهم أم أن لهم نظرة أخرى ؟

فأجاب:

"لابد لهم أن ينظروا الى ردود الفعل لا أن يتعقدوا منها، ولكن عليهم أن يبحثوا في الأمر جيداً فقد يكون فيها شئ من الحقيقة، فليس معنى هذا أن من يرد عليك هو عدو، فنحن نقول كما علمنا أئمتنا (رحم الله إمرءاً أهدى إلي عيوبي) فقد يكون الشخص الذي ينقدك أو ينقد فكرك يحبك أكثر مما يحبك الشخص الذي يمدحك.

لذلك فنحن سعداء أن ينتقدنا الناس، ونحن نسمع ردود الفعل ونقرأها، ونفكر فيها، فإن كان فيها خير أخذنا بها، وإن لم يكن فيها خير دعونا لصاحبها بالهداية. وتبقى النظرة المستقبلية تتحرك على أساس متابعة الواقع".(2)

ونقول:

إننا لم نجده أعلن عن تراجعه ولو عن مفردة واحدة مما أثير، مما يعد بالمئات، بل بالألوف، كما يظهر من كتابنا هذا، مما يعني أن كلامه هذا لم يزل في مستوى الشعار، ولم يتحول إلى عمل وممارسة.

514 . أفكاري ما تزال أفكاري منذ الثمانينات.

515 . أتحمل مسؤولية أفكاري مائة بالمائة.

سئل البعض:

---

(1) رؤى ومواقف، عدد 2، سنة 1417هـ، 1996م، دار الملاك، وجريدة فكر وثقافة.

(2) الندوة، ج2، ص 444.

كثير من الأفكار والطروحات بدأ البعض يطرح التأويل والشكوك حولها منذ فترة، علما أنها كانت موجوده في مقالاتكم وكتبكم منذ الثمانينات، وكانوا يرون بأنها مميزة ومهمة. ما هو سر الإنقلاب؟

فأجاب ذلك البعض بقوله:

"إسألوا هؤلاء الاشخاص فهم يتحملون مسؤولية ما يقولونه، فمن جهتي أفكاري ما تزال أفكاري، ومستعد أن أتحمل مسؤوليتها مائة بالمائة . وأنا مستعد أن أشكر كل من يدلني على خطأ في قول وفعل، وأعتبر أنه قدّم لي هدية في هذا المجال . ولكن الكثير من الناس يشتمون ويشتمون، ولا يحاورون، ولا يناقشون".(1)

ونقول:

سبحان من يغير ولا يتغير!! فهل يعقل أن يمر على إنسان مّا، ما يقرب من عقدين من الزمن، ثم لا تتكامل أفكاره ولا يطرأ عليها أي تطور نحو الأفضل أو أي تقليم أو تطعيم، أو نحو ذلك؟.

يقول البعض:

"إنه عندما تطرح القضية ويكون فيها موقفان فإن صاحب الموقف الذي يرى الحق له يتكلم على أساس أنه لا يخاطب شخصاً ولكن يخاطب موقفاً ويخاطب رأياً ويخاطب إتجاهاً، مضافاً إلى أنه في الحق لا مجال للمجاملة، ذلك أن المجاملات والديبلوماسيات والكلمات الضبابية إنما هي في العلاقات الإنسانية التي تتصل ببعض الأوضاع التي يعيشها المجتمع في خطوطه، أما عندما تكون القضية قضية إثبات حق ودحض باطل، فإن المجاملة تكون خيانة، وإن الإعتبارات الإجتماعية حينئذٍ لا تسقط الإعتبارات الموضوعية العلمية، ولذلك كانوا يتكلمون بكل صراحة الحق الذي يعتقدونه، ومن المفارقات أن هذا الحق الذي يطرحونه بكل صراحة وبكل موضوعية لا يثير رد فعل إجتماعي سلبي كما لو يتساءل البعض: كيف تتجرأ على هذا وكيف تتكلم مع هذا بهذه اللغة لأنهم كانو يعيشون المسألة في أجواء الصراحة في الحق، ولم تؤثر فيهم كل هذه الأساليب التي جاءت بها الحضارات من تغطية الحق بكلمة هنا وبعاطفة هناك".(2)

القسم الأول:

---

(1) الزهراء المعصومة: ص 47 و 48.

(2) الزهراء القدوة ص 240.

مع الأنبياء والأولياء.

الفصل الأول:

بداية:

في هذا الفصل موارد يسيرة من أقوال هذا البعض، نضيفها الى ما ذكرناه في الجزئين السابقين توضح لنا: أن ما ذكرناه عنه لم يكن مجرد هفوة عابرة، نشأت عن عدم إلتفات أو أي سبب آخر، فهي لا تمثل قناعة راسخة عنده..

بل إن ذلك الذي ذكرناه، وأمثاله كثير، يبين بما لا مجال معه للشك: أن هذه المقولات هي صفوة ما عنده من فكر، وانه يتبناها، ويعتقد بها، ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوة وحول..

شاهدنا على ذلك: أنه قد أعاد طبع بعض كتبه، ومنها كتابه المعروف باسم (من وحي القرآن) ولم يغير منه شيئا ذا بال، ولا أصلح أياً من مقولاته الخطيرة والهامة، وإنما بدل بعض العبارات التي لا تحمل في طياتها أهمية تذكر، وإذا كان يقول على المنابر وفي المناسبات، ما ربما يظهر منه خلاف ذلك، فإن إصراره على إبقاء ما كان على ما كان يدلنا على أنه يعرف أن ما يبقى هو المكتوب، أما الخطب والمقابلات، والمداولات في المجالس فإنها تتلاشى، وتزول، وهو يسعى لإرضاء الناس بكلام مبهم من جهة، ويصر من جهة أخرى على إبقاء كل شيء على ما هو عليه، لتتداوله الأجيال من بعده، ومن يريد التأثير عليهم في العالم الإسلامي الكبير.. ليفرض على الآتين أن يفهموا ما ورد في خطبه ومداولاته الشخصية، إنما كان تحت وطأة الضغوط التي واجهها..

ومهما يكن من أمر، فإننا سنذكر في هذا الفصل بعض مقولاته حول الانبياء، فإلى ما يلي من مطالب:

516 . القول بلزوم كون النبي أجمل الناس تطرّف.

517 . نتحفظ على قاعدة قبح قيادة المفضول للفاضل.

518 . لا يجب تفوق النبي في كل صفة ذاتيه.

519 . لا يجب تفوق النبي في كل علم.

520 . لا ضرورة تفرض قدرات غير عادية للنبي.

521 . لا ضرورة في أن يصنع النبي كل شيء خارق للعاده في أي وقت ومناسبة.

522 . المطلوب في النبي القدرة فيما يحتاج اليه الداعية والمشّرع والحاكم.

523 . الربط بين النبوة وبين القوة الخارقة تصور منحرف.

524 . القول بلزوم أن يكون النبي أشجع الناس تطرّف.

525 . القول بلزوم التفوق فيما لا يرتبط بالقيادة والنبوة تطرّف.

526 . قد يكون الجنود أشجع من قائدهم في قيادات العالم.

527 . المهم تفوق القائد في الفكر القيادي، وليس المهم خوض المعركة.
528 . المهم هو التفوق والكمال في المسائل التي تدخل في قيادة النبي.
529 . ليس دور النبي التأسيس للعلوم الطبيعية والرياضية، ولا المعلم للألسن واللغات.
530 . دور النبي هو الإبلاغ والإنذار، والهداية،، والتعليم، وقيادة الناس الى تطبيق ذلك.
يقول البعض:
"فقد نلاحظ . بوضوح . تحديد المهمات الرسالية للانبياء في وضع الخطوط العامه للفكر والتشريع من أجل أن ينطلق الحكم على أساس الحق، وميزان العدل، وفي رعاية الناس بما يخفف عنهم أغلالهم، وأثقالهم التي ترهقهم وتعطل مسيرتهم في بناء الحياة على قاعدة ثابته، وفي تركيز الاسس التي تلتقي عليها مصالح الناس وأفكا هم، من أجل إخضاع الاختلافات الى الحكم العدل الذي لا ينحرف ولا يجور. وبالتالي، إشاعة السلام القائم على الرحمة والعدل.. وفي ضوء ذلك، لا نجد أمامنا . في هذا الاطار . أي ضرورة تفرض اتصاف النبي بالقدرات الغير عادية التي يستطيع . معها . أن يصنع كل شيء خارق للعاده في أي وقت وفي أية مناسبة.
بل كل ما هناك، أن يملك النبي القدرة على حمل الرسالة وإبلاغها وتطبيقها بالحكمة والمرونة والقوة، في كل ما يحتاج إليه الداعية والمشرّع والحاكم فيما يتعلق بدعوته وشريعته وحكمه.. وبذلك يبطل التصور المنحرف الذي يربط بين النبوة وبين القوة الخارقة التي تصنع ما تشاء، بلا حدود.
النبوة والتفوق المطلق:

وقد يمكن لنا في هذا المجال أن نتحفظ فيما يفيض فيه الكثيرون من علماء الكلام عندما يتحدثون عن صفات النبي . أي نبي كان . فيوجبون له التفوق في كل علم، وفي كل صفة ذاتية على اساس القاعدة العقلية المعروفة لديهم وهي قبح قيادة المفضول للفاضل... فإذا لم يكن النبي في مستوى القمة في كل شيء، لم يصلح لمركز القيادة الحياتية للناس.
وقد يتطرف البعض فيوجب أن يكون النبي أجمل الناس، وأشجعهم، وأقواهم في عضلاته الى غير ذلك من الصفات الجسمية التي لا ترتبط بالنبوة ولا بالقيادة من قريب ولا من بعيد... فإننا نلاحظ في أوضاع القيادات في العالم.. حتى العسكرية منها.. أن القائد لا يفرض فيه أن يكون أكثر شجاعة من جنوده، فربما يكون الكثيرون من جنوده اشجع منه، لأن دوره الاساسي . كقائد . ليس هو خوض المعركة، بل قيادتها التي تتمثل في الفكر العسكري القيادي الذي يعرف كيف يخطط للمعركه وكيف يواجه التطبيق العملي للخطط المرسومة.
وهكذا نجد القضية في كل جانب من الجوانب الحياتية التي لا تتطلب في القيادة إلا أن تكون في مركز التفوق والكمال في القطاع الذي تتولى قيادته.

إننا نسجل تحفظنا الشديد حول هذا كله.. لأن دور النبي، لم يكن هو دور المؤسس للعلوم الطبيعية والرياضية وغيرها، ولم تكن مهمته هي مهمة المعلم للألسن واللغات، يجب أن يكون مُلماً بجميع العلوم، وبجميع اللغات، فضلاً عن أن يكون متفوقاً من زاوية نبوته، بل المهمة الاساسية . كما حددها القرآن الكريم، في الآيات المتقدمة، هي الإرشاد والإبلاغ والإنذار وتعليم الناس الكتاب والحكمه، وقيادتهم الى تطبيق ذلك كله على حياتهم، ليخرج الناس من الظلمات الى النور، ويهديهم الى صراط العزيز الحميد."(1)

وقفة قصيرة:

ونقول:

---

(1) المعارج: ص 654، 656، والحوار في القرآن ص 103و 104.

1 . إن هذا البعض: قد نفى وجود ضرورة تفرض إتصاف الانبياء بهذه الصفة، أو بتلك، ومن الواضح: أن نفي وجود شيئ من هذا القبيل يحتاج إلى الإطلاع على أسرار كل الواقع القائم، ليتمكن من تحديد وجود ضرورة فيه، أو عدم وجودها.

فهل اطلع هذا البعض على غيبه، وأوقفه على أسرار خلقه، حتى استطاع أن ينفي وجود ضرورة، تفرض اتصاف الأنبياء بقدرات غير عادية؟!

2 . إن هذا البعض قد حدد المهمات الرسالية للانبياء، وفق فهمه الخاص للأمور.. واعتبر نفسه قد استوفى المعرفة بكل الأهداف الإلهية من الخلق والخليقة، ومن بعثة الانبياء.

وعلى هذا الاساس فإن لنا كل الحق في أن نوجه الى هذا البعض الأسئلة التالية:

اذا كان ما ذكره هو المبدأ والمنتهى، ويبرر له أن يحكم بعدم وجود أية ضرورة تفرض إتصاف النبي (ص) بالقدرات غير العادية.. فلماذا، أو ما هو السر في حدوث الإسراء والمعراج؟!

ولماذا سخر الله الريح والجن، والطير.. وو الخ؟!

ولماذا يرفع الله للنبي والوصي عموداً من نور، فيرى أعمال الخلايق؟!

ولماذا علم الله داود(ع) منطق الطير؟!.

ولماذا وصف الله داود(ع) بذي الأيد، أي القوة؟!.

ولماذا تطوى الارض للانبياء وللائمة عليهم السلام؟!.

ولماذا يطعم النبي الجيش كله من شاة عجفاء يذبحها لهم؟!.

ولماذا، ولماذا، مما لو أردنا إستقصاءه، لملأنا مئات الصفحات بالأسئلة التي لا بد من الاجابة عنها لمن يدعي، معرفة ما تفرضه المهمات الرسالية للانبياء.

3 . إن آصف بن برخيالم يكن نبياً، ليس لديه مهمات رسالية.. فلماذا أعطاه الله قدرة فوق قدرة عفريت من الجن . كما تنص الآية . مكنته من أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن الى بيت المقدس، قبل إرتداد الطرف، وذلك بعلم من الكتاب.

4 . لماذا آثر سليمان(ع) أن يتصرف تصرفا غير عادي تجاه بلقيس، حيث قال لمن حوله { أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين } ، فآثر إظهار القوة الخارقة التي تقهر عقولهم. على استعمال قوة السلاح وفرض السلام أو الاسلام عليهم.

5 . كيف ثبت للبعض، ثم كيف يثبت لنا أن الربط بين النبوة وبين القوة الخارقة للعادة هو من مصاديق التصور المنحرف؟!

وهل كان كان إنحرافه عن تصورات هذا البعض؟ أم كان إنحرافه عن الحق والحقيقة.

6 . ما معنى رفضه للقاعدة العقلية القاضية.. قبح قيادة المفضول للفاضل، فهل يريد التمهيد لتصحيح خلافة أبي بكر، وفقاً لمقولة معتزلة بغداد بجواز إمامة المفضول، والتي عبر عنها إبن أبي الحديد المعتزلي في كلمته الشهيرة في مفتتح كتابه (شرح نهج البلاغة) حيث قال: (الحمد لله الذي قدم المفضول على الفاضل).

7 . وانظر الى دليله الذي ساقه على عدم صحة مقولة لزوم كون النبي هو الاكمل والأشجع و.. حيث قاس ذلك على القيادات الظالمة والمنحرفة، حيث لا يفترض فيها . عندهم . أن يكون القائد أشجع من جنوده..

لو صح ما ذكره من أن القيادة لا تتطلب الا أن تكون في مركز التفوق، والكمال في القطاع التي تتولى قيادته، لجاز لنا أن نقول له: بل هي لا تتطلب التفوق بل يكفي المساواة بين القائد وبين الآخرين، بل حتى لو كان أقل من الآخرين، فإنه يكفي له ما يحفظ به ما يوكل أمر قيادته إليه..

حتى لو كان الآخرون من أعلم الناس بشؤون وشجون ذلك الامر الذي هو محط النظر.

من أين ثبت: إن مهمة النبي والوصي لا تحتاج الى التفوق حتى في العلوم الطبيعية والرياضيات واللغات وبجميع العلوم..

وإن الاية القرآنية التي استشهد بها انما تدل على خلاف مقصوده. فإن الحكمة المطلوب تعليمها للناس { ويعلمهم الكتاب والحكمة } (1) لا تقتصر على مجال دون مجال.. بل هي وضع الشيء في موضعه في كل كبيرة وصغيرة، وفي كل علم وصنعه وحرفة وغير ذلك..

---

(1) سورة الجمعة، آية 2.

531 . التأليه للملائكة بسبب الاحاديث الدينية عن أوضاعها واسرارها.

532 . التأليه للملائكة بسبب الاحاديث الدينية عن طاقاتها وقدراتها.

يقول البعض:

"لقد حدث في التاريخ الديني القديم أن بعض الناس قد تطرفوا في تعظيم الانبياء الذين كانوا يملكون طاقات روحيه كبيره، وينطلقون في حياة الناس من خلال الدور العظيم الذي أوكل الله إليهم القيام به، مما استلزم صدور المعجزات على أيديهم لمواجهة التحدي الذي كان يوجه اليهم من قبل الكافرين، ولإثبات علاقتهم بالله من خلال النبوة فنشأ من بعدهم جماعة يؤلهونهم وينسبون اليهم صفات الربوبية من خلال ما يدّعونه لهم من أسرار خفية في طاقاتهم ترتفع بهم الى هذا المستوى، كما حدث ذلك بالنسبة إلى عيسى عليه السلام في ظاهرة التأليه والغلو التي إمتدت الى وقتنا هذا في ما يعتقده النصارى من فكر المسيح . الإله.

وقد حدثت ظاهرة أخرى للتأليه، وهي ما كان متعارفا لدى بعض العرب أو غيرهم من تأليه الملائكة، وذلك من خلال الاحاديث الدينية التي تتحدث عن طاقاتهم الخارقة، وقدراتهم الكبيرة في أوضاعهم وأشكالهم، وأسرارهم"(1).

ونقول:

1 . إن من غير المعقول أن يلقى اللوم على الأحاديث الدينية التي تتحدث عن الملائكة، وتبين للناس بعض الحقائق عنهم، واعتبارها هي سبب وقوع الناس في هذا الامر العظيم.

فإن بيان الحقيقة فيما يتعلق بالملائكه لا يمثل غلواً وإرتفاعاً إذ أن حقيقة الملك، وإن كانت ربما يجد بعض الناس فيها نوعاً من الغرابة، ولكن ذلك لا يبرر لهم الغلو بهم وتأليههم وعبادتهم.

فإذا حصل وانحرف بعضهم في هذا الإتجاه، فإن يكون بسبب تقصيره هو، ولا ربط لذلك بالدين.. إذ أن الدين حينما يتحدّث عن هذه المخلوقات إنما يهدف الى الارتفاع بمستوى الوعي لدى الناس، وتحصينهم من الوقوع في أمثال هذه الانحرافات وتعريفهم بالله وبقدرته وبمخلوقاته..

---

(1) من وحي القرآن الطبعة الجديدة ج 6 ص .126

2 . على أن الضاهر هو أن تأليه الملائكة، وعبادتهم إنما كان قبل ظهور الإسلام، ثم انحسر ذلك وتلاشى..

الفصل الثاني:

بعض الحديث عن الولاية التكوينية

بداية:

إن حديث هذا البعض عن قدرات الانبياء وطاقاتهم، وسعيه الى تجريدهم عن أية قدرات وطاقات إمتن الله بها عليهم، إلا فيما يرتبط باجتراح المعجزات.. التي يصرّح هذا البعض أيضاً.. أنها لا ترجع الى قدرة أودعها الله فيهم، بل ربما تكون بتدخل إلهي مباشر.

ولأجل التعبير عن قدرة الانبياء . الممنوحة لهم من الله سبحانه . على التصرف في مثل هذه الأمور وغيرها، فقد إصطلحوا على عبا ة (الولاية التكوينية) لتفيد أن الله سبحانه قد أقدر أنبياءه على التصرف في الامور الواقعية على سبيل إظهار المعجزة أو غيرها..

ولم يزل هذا البعض ينكر ذلك، ويخصّ قدرتهم على التصرّف في خصوص دائرة المعجزة وقد يتعدى ذلك الى ما تتوقّف عليه مهماته كمبلّغ ومرشد وحاكم.. مع إحتفاظه بإمكانية أن يكون ذلك حتى في المعجزات بتدخل إلهي مباشر، دون أن يكون للنبي أي دور في ذ لك وهذه بعض كلماته.. نضيفها الى ما ذكرناه في الجزأين الأولين من هذا الكتاب.

533 . الله لم يخلق في الانبياء طاقة تكشف عالم الغيب بشكل مطلق.

534 . الله يفيض عليهم ما يحتاجون اليه في رسالتهم ومواجهة التحديات.

535 . إعطاء الغيب المحدد للأنبياء يبطل الولاية التكوينية لهم.

يقول البعض:

" { ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء } وتلك هي قصة الخالق في علمه غير المحدود بالنسبة الى المخلوق المحدود في وجوده المستمد من وجود الله، وعلمه المستمد من علم الله، فيما أعطاه وفتح له من مجالاته وهيأ له أسبابه، فليس للمخلوق أن يحيط بشيء من علم الله في عالم الشهود، وفي عالم الغيب إلا بما شاء الله، حتى الأنبياء، فإنهم لا يملكون علم الغيب في تكوينهم الذاتي، بحيث ان الله خلق فيهم الطاقة التي تكشف لهم عالم الغيب بشكل مطلق، فينفتحون عليه باستقلالهم بعد ذلك بل ان الله هو الذي يفيض عليهم من هذا العلم بما يحتاجون اليه من ذلك في شؤونهم الرسالية من خلال طبيعة الدور الذي يقومون به والتحديات التي تواجههم، وهذا هو ما نستوحيه من قوله تعالى في الحكاية عن النبي نوح في خطابه لقومه على ما قصه الله من ذلك في سورة يونس { قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب } {الانعام . 50}، وقوله تعالى: { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلاّ من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن ابلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم، وأحصى كل شيء عدداً } {الجن: 26. 28}.

فإنها ظاهرة في أن الله يمنحهم علم الغيب بما يهيء لهم السبيل لاستقامة أمرهم وسلامة دورهم وحمايتهم

من كل ما بين أيديهم وما خلفهم مما هو حاضر عندهم أو غائب عنهم، تأكيداً لبقاء الإشراف الإلهي والسيطرة الربوبية عليهم، بحيث يحتاجونه في كل شيء مما يحدث لهم أو يطرأ عليهم، وهذا ما قد يوحي ببطلان نظرة الولاية التكوينية التي يراها بعض العلماء للأنبياء وللأئمة (عليهم السلام)".(1)

وقفة قصيرة:

ونعود فنكرّر القول، لأن البعض ما فتئ يكرّر مقولاته هذه، ويؤكّدها:

---

(1) وحي القرآن: ج 5 . ص 38.

1 . من الذي قال لهذا البعض: "ان الله سبحانه لم يخلق في نبيه طاقة تمكنه من معرفة ما هو غائب.." وكيف يرفع للوصي والولي عمود من نور فيرى فيه أعمال الخلائق، كما ورد في الرويات.

وكيف يمكن تكذيب ما يدل على أن النبي قد يرى من خلفه كما يرى الذي أمامه..

2 . وكيف جزم بأمر دون أن يقدم دليلاً يفيد اليقين حسب شروطه هو نفسه في مثل هذه الامور؟

3 . وهل ثبت لديه بشكل قاطع: "أن الله سبحانه لم يطلع أحداً على غيبه حتى من إرتضاه من رسول" . ولعله أطلعه على ذلك بواسطة خلق قوة فيه تعرفه الغيب وتوصله اليه، لينفتح عليه باستقلاله في عين أنه بإذن منه، وبإعطاء إلهي كريم.

4 . من الذي حدد له مقدار الغيب الذي يعطيه الله لمن ارتضاه من الرسل، حتى جاز له القول: يفيض عليهم من العلم ما يحتاجون إليه، من ذلك في شؤونهم الرسالية، من خلال طبيعة الدور الذي يقومون به.

5 . ومن الذي قال لهذا البعض: "أن دور النبي والوصي لا يحتاج الى الإطلاع على مختلف حالات الغيب وشؤونه.." وكيف يفسر لنا أن طبيعة دور الرسول والتحديات التي تواجهه قد اقتضت المعراج، والاطلاع على كل تلك الآيات بتفاصيلها حتى بلغ (صلى الله عليه وآله) الى سدرة المنتهى..

6 . وكيف استوحى من الآية الكريمة بطلان الولاية التكوينية للانبياء والائمة (عليهم السلام)، وما هو ربط الآية بالولاية التكوينية..

بل إن اطلاع النبي على الغيب، إذا كان له مساس بدوره وبالتحديات إلتي تواجهه فإنما يكون من أجل أن يحرك الغيب في مواجهة التحديات وللقيام بذلك الدور، وإلا فليس ثمة من فائدة كبيرة في علم الغيب هذا..

وإذا نفى النبي نوح عن نفسه علم الغيب فإنما نفى أن يكون علماً له بالاستقلال عن الله سبحانه.

536 . وسائل النبي عادية إلا في مواقع التحدي.

537 . إهانة وتحقير الأنبياء بحجّة نفي الولاية التكوينية.
538 . النبي لا يستعمل الوسائل غير العادية للتخلص من المشاكل.

539 . التشريف لا يتمثّل في إعطاء القدرة من دون قضية.
540 . الله لا يشرّف أنبياءه في الدنيا..
541 . الولاية التكوينية إنما تكون في أصعب أوقات التحدي فقط.
542 . في التحدي، يحتمل كونها تدخل إلهي مباشر، لا من فعل النبي.
543 . لا معنى لولاية، لا أثر لها في حياة الانبياء.
544 . لا معنى لولاية، لا أثر لها في حماية رسالاتهم.
545 . قراءة تاريخ الأنبياء الصحيح أظهرت أنهم لم يحركوا الولاية لحماية أنفسهم..
546 . دور عيسى في إحياء الموتى كان دور الآلة..
547 . مهمة النبي الإبلاغ والتبشير والإنذار، والهداية فقط.
548 . الآيات قد تدل على عدم الولاية التكوينية.
549 . موسى كان خاضعاً للخوف من تجربة السحرة.
550 . موسى كان خاضعاً للحيرة فيما يمكن أن يردّوا به التحدي.
551 . موسى كان ينتظر التدخل الإلهي المباشر
552 . لا معجزة للنبي (ص) سوى القرآن.
553 . انشقاق القمر أصعب من إقتراحات المشركين عليه..
554 . مظاهر الضعف البشري للانبياء.
555 . خوف موسى من قتل فرعون له مظهر ضعف.
556 . خوف موسى من موقف التحدّي مع السحرة مظهر ضعف.
557 . خوف إبراهيم حين دخول الملائكة مظهر ضعف.
558 . الله يمنح الرسول بقدر حاجة الرسالة.
559 . لا توجد لدى النبي بالفعل طاقة دفع الشر وجلب الخير.
560 . دفع الشر وجلب الخير يحصل تدريجاً بإفاضة مباشرة، لا من خلال قدرة موجودة.
561 . لا يحتاج النبي الى الغيب إلا في تاريخ رسالات السابقين فقط.
562 . علم الغيب إنما يكون بطريق الوحي التدريجي عند الحاجة.
563 . قد يكون المراد بالغيب الذي يطلع عليه رسله الجو الملائكي الذي يحميه من الشياطين.
564 . علم الغيب الماضي وحي، وفيما يواجهه من حاجات إلهام.

565 . الاستثناء في آية { إلا من ارتضى من رسول } منقطع.
566 . حصر علم الغيب في مفردات قليلة.
567 . لا يملك النبي فعلية علم الواقع.
568 . الله لم يعط النبي قدرة على الغيب، لا أصالة ولا تبعاً .

569 . لا ضرورة أو حاجة تفرض الولاية التكوينية المطلقة.
570 . الرسالة لا تفرض الولاية التكوينية.
571 . الانبياء لم يمارسوا الولاية التكوينية في حياتهم.
572 . لا نجد تفسيراً معقولاً للاحاديث: (إن الله خلق الكون لأجلهم).
573 . هل خلق الكون لأجلهم لأجل التشريف أو في نطاق الدور الرسالي.
574 . الكلام هو في المبررات الواقعية للمضمون في العلاقة بين النبوة والامامة وبين الولاية التكوينية.
575 . حديث خلق الكون لأجلهم لا بد إهماله.
576 . حديث : (خلق الله الكون لأجلهم) لابد من إخراجه عن العقيدة.
ويقول البعض:
"ولكن التأمل يفرض علينا . بالاضافة الى ذلك . أن نجد تفسيرا للمضمون الفكري من حيث انسجامه مع طبيعة الاشياء المتصلة بالمضمون، وذلك كما هو الحديث عن مسألة الولاية التكوينية التي يذهب اليها الكثيرون من علماء الامامية إنطلاقا من الاحاديث الدالة على ذلك، ومن عدم وجود أية ممانعة عقلية في تجويزها، فقد يبرز سؤال في ذلك، عن ضرورتها، ما دامت الرسالة التي أمروا بالحفاظ عليها، كما أمر النبي (ص) بتبليغها لا تفرض ذلك، وما داموا لا يمارسوها في حياتهم بشكل وبآخر، لا سيما أن النبي (ص) ينفي عن نفسه هذه القدرة فيما حدثنا القرآن عنه في جوابه للمشركين الذين اقترحوا عليه القيام ببعض الافعال الخارقة للعادة، وذلك بقوله (سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) {الاسراء: 93} مما يوحي بأن الرسولية لا تفرض وجود مثل هذه القدرة في دوره ومهمته.
وهكذا نجد السؤال يفرض نفسه في الاحاديث التي تدل على أن الله خلق الكون لأجلهم، فإننا لا نستطيع أن نجد له تفسيرا معقولاً حتى على مستوى وعي المضمون في التصور الفكري، فهل القضية واردة في نطاق التشريف، أو في نطاق الدور الرسالي، أو نطاق الهداية أو ما إلى ذلك؟

إن القضية ليست في الحديث عما هو الممكن والمستحيل في الجانب التجريدي من حيث الحكم العقلي، بل هي في إيجاد المبررات الواقعية للمضمون على أساس العلاقة بين النبوة أو الامامة وبين هذه الأمور وإذا كان البعض يتحدث بأن ما لا نفهمه من هذه الامور لا بد أن يردّ علمه الى أهله، فإن ذلك يفرض

علينا إهمالها وعدم اعتبارها من أصول العقائد بإعتبار أن العقيده لا بد أن تمثل وعياً في الفكر وقناعة في الوجدان"(1).

وفي مورد آخر:

"وبعد أن اعترف هذا البعض صراحة بأن: الله القادر يملك أن يمكّن بعض خلقه من بعض مواقع القدرة ووسائلها، ويمكن أن يوسّع هذه الإمكانات لأكثر من مهمة جديدة في الكون.. كما أنه يمكن أن يبقيها في دائرة خاصة، وليس في ذلك أي انحراف عن العقيدة التوحيدية لأن القضية قضية عطاء إلهي يتحرك في الدائرة الخاصة التي يحدّدهاالله لعباده من خلال إرادته المطلقة التي لا يعجزها شيء..

بعد أن قرّر ذلك.. إتجه نحو الحديث عن وقوع ذلك بالفعل أو عدم وقوعه، فقال:

"جانب الحاجة أو الضرورة لذلك، والسؤال: لماذا يجعل الله لهم الولاية التكوينية؟ هل هناك مهمة تتوقف على ذلك، بحيث تكون المسألة هي أن يملكوا القدرة الفعلية الشخصية بحيث يصدر الفعل منهم فلا يتحقق الهدف إلا من خلال ذلك، أم هي قضية تشريف إلهي لهم حيث يمنحهم هذا الموقع الكبير الذي لا يملكه أحد في الوجود غيرهم؟

---

(1) المعارج: ص 327 . 328.

هذه علامات استفهام تطوف في الذهن، فلا نجد لها جواباً إيجابياً يؤكد النظرية، فنحن نعلم أن دور الأنبياء هو دور تبشير وإنذار وتبليغ، وإذا كان لهم دور تنفيذي فإنهم يتحركون فيه من خلال الوسائل العادية المطروحة بين ايديهم في الحالات العادية، فإذا جاء التحدي الكبير الذي يحول الموقف الى خطر كبير على الرسالة والرسول، بحيث كانت الوسائل العادية ذات مردود سلبي على الموقف والموقع، لأنها تجعل القضية في حالة الضعف الشديد، فإن المعجزة عندئذ تتحرك لتحفظ توازن الرسالة في موقع الرسول، وتصدم واقع الكافرين بالصدمة القوية القاهرة التي ترد كيدهم وتهدم كيانهم وتؤدي بهم الى الضعف والهزيمة. كما في طوفان نوح (عليه السلام) ونار ابراهيم (عليه السلام)، وعصا موسى (عليه السلام)، أو يده البيضاء، وفلق البحر له، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمة، والأبرص لدى عيسى (عليه السلام)، وقرآن محمد (ص)، وتنتهي المسألة عند هذا الحد فتكون بمثابة قضية في واقعة، وتعود الرسالة الى مجراها الطبيعي، ويعود الرسول الى الوسائل العادية، ويتحرك الصراع من جديد ليعيش النبي هنا، وهناك أكثر من مشكلة، وهمّ وبلاء، فيتحمل الألم القاسي، ويواجه التحديات الصعبة، كأي إنسان آخر من دون أن يبادر الى أية وسيلة غير عادية للتخلص من ذلك كله.

أما التشريف، فإنه لا يتمثل في إعطاء القدرة من دون قضية، أو توسيع السلطة من دون مسؤولية، والله

يشرف أنبياءه من خلال رفع درجتهم عنده من خلال تقريبهم إليه، ومحبته لهم، وعلو مقامهم في الآخرة، أما الدنيا فلا قيمة لها عنده، ولذلك لم يجعلها أجراً لأوليائه بل أتاح الفرصة الكبرى فيها لأعدائه.

إننا لا نجد أية ضرورة أو حاجة تفرض إعطاء الولاية التكوينية المطلقة لهم إلا بالمقدار الذي تحتاجه الرسالة في أصعب أوقات التحدّي مع احتمال أنها ليست من قدرتهم، ولكنها قدرة الله بصورة مباشرة، ثم ما معنى هذه الولاية التي لا أثر لها في حياتهم من قريب أو من بعيد، ولا دخل لها في حماية رسالتهم، فلم يستعملوها في إذهاب الخطر عنهم، ولم يتحركوا بها في الانتصار لرسالاتهم، وذلك من خلال قراءة تاريخهم الصحيح كله؟

أدلّة الولاية التكوينية:

الناحية الثانية: ناحية الدليل على ثبوتها من خلال النص القرآني في نطاق المعاجز الخارقة في حياة الانبياء، فنلتقي في البداية بالنبي نوح في قوله تعالى: { كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر* وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر } {القمر: 9 . 12} وهي واضحة الدلالة على أن المسألة كانت دعاء نوح واستجابة ربه له بإغراق الكافرين بالطوفان، من دون أن يكون لنوح أي دور عملي فيه.

فإذا انتقلنا الى ابراهيم (ع) فنجد قوله تعالى: { قالوا حرقوه وانصروا ءالهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم *وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين } {الانبياء:68. 70}

إنه اللطف الإلهي بنبيه إذا أردوا إحراقه، فأنجاه الله من النار، فحوّلها الى عنصر بارد، فإذا انتقلنا الى الطلب الذي قدمه النبي إبراهيم (عليه السلام) الى ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وذلك قوله تعالى { وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم } {البقرة: 260} فإننا نرى أن دور ابراهيم في المسألة هو أن يأتي بالطيور ويذبحها، ويقسمها الى أجزاء ثم يدعوهن لتأتينه سعياً، لنشاهد الصورة الواضحة في كيفية إحياء الله الموتى، فإن الله هو الذي أحياها بطريقة مباشرة، ولم يكن لإبراهيم دور في ذلك.

ونصل الى موسى (ع) الذي تمثّلت المعجزة لديه أولاً في مجلس فرعون الذي قال كما جاء في قوله تعالى: { قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين } {الاعراف: 108.106} ثم في ذروة التحدي الذي واجهه في صراعه مع السحرة، وذلك في قوله تعالى: { وأوحينا الى موسى أن ألقي عصاك فإذا هي تلقف ما

يأفكون } {الاعراف: 117}، ونحن لا نرى أي جهد لموسى في الموضوع، فإنه كان يعيش دور المنفعل الذي يحول الله يده السمراء الى بيضاء، ويحول العصا التي يمسكها الى ثعبان، وكان خاضعاً للخوف من تجربة السحرة، وللحيرة في ما يمكن أن يقوموا به رداً للتحدي، لأنه كان ينتظر تدخل الله غير العادي في المسألة، وذلك هو قوله تعالى { فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى*وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى } {طه: 69.67}.

ثم نلتقي بالنبي سليمان (عليه السلام) الذي قال: { رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب } {ص: 35} واستجاب الله دعاءه: { فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطين كل بنّاء وغواص * ءاخرين مقرنين في الأصفاد * هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب } {ص: 36. 39}، فليس في القصة إلا دعاء واستجابة ربانية أعطته ما يريد من دون أن يكون له أي دور عملي أو قدرة واقعية في تحقيق ذلك.
ونصل . بعد هذه الجولة الطويلة . الى عيسى (ع) الذي يُدعى ظهور الآية في صدور المعجزة عنه من خلال جهده الذاتي الذي أكتسبه بإذن الله، وهذا هو ما جاء في الآية الكريمة: { إني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم } فنلاحظ أنه ينسب الخلق الى نفسه، كما يتحدث عن عملية إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، والإخبار بالغيب في أوضاع الناس الخاصة الى جهده وفعله الشخصي، ولكن بإذن الله.
وربما يجد القائلون بالولاية التكوينية الحجة الدامغة في هذه الآية الكريمة، ولكننا نستوحي من كلمة: { بإذن الله } في هذه الآية، أو كلمة: { بإذني } {المائده: 110} أن دور عيسى كان دور الآلة التي تتحرك لتصنع شيئا كهيئة الطير وتنفخ فيه، فيبعث الله فيه الحياة، وهكذا يضع يده على الأكمة والأبرص، وعلى الميت، فتحدث العافية في الأولين، وتنطلق الحياة في الثالث من خلال إرادة الله.
من هنا فإن كلمة { بإذن الله } لا تعني معناها الحرفي اللغوي، بل تعني معنى القوة التي تنطلق لتحقق النتائج الحاسمة التي لا يملك عيسى (ع) اية طاقة خاصة به فيها.

وهكذا نرى أنه لا دليل في كل هذه المواقع على الولاية التكوينية في النص القرآني، بل ربما نجد الدليل على خلافها من خلال الآيات التي تدل على أن النبي لا يملك شيئا في ذلك كله وأن مهمته الاولى والأخيرة هي الرسالة في حركتها في الإبلاغ والتبشير والإنذار، وهداية الناس الى سبل السلام في الطريق الى الله، بل ان القرآن يؤكد وجود عناصر الضعف البشري في ذات الرسول، ولكن في المستوى

الذي لا ينافي العصمة، فنقرأ في سورة الإسراء قوله تعالى ((وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً } {الإسراء:90-93}
فنحن نلاحظ أن النبي (ص) لم يتحدث عن رفضه للمعجزات الإقتراحية التي يوجهها الناس الكافرون للانبياء كوسيلة للتحدي والتعجيز مما يرفضه الأنبياء، لأن مهمة النبي ليست هي إشغال نفسه بتنفيذ هذه الطلبات التي لا معنى لها بعد إقامة الحجة عليهم من قبله، بل تحدث عن أن ذلك لا يدخل في مهمته الرسالية، كما أنه لا يملك هذه القدرة باعتبار بشريته التي تختزن في داخلها الضعف البشري.
وإذا كان بعض الناس يتحدثون عن أن القائلين بالولاية التكوينية يؤكدون أن النبي لا يختزن في مضمون بشريته أية قدرة ذاتية، بل إن الله هو الذي يمنحه ذلك، فإننا نجيب أن النبي (ص) إنما كان يتحدث عن الواقع الفعلي الذي تمثله طاقته في دوره، فإن الله أعطاه الطاقة المرتبطة بحركية الرسالة في الناس، ولم يعطه الطاقة . حتى بإذنه . لمثل هذه الطلبات الصعبة.

وقد نستوحي من هذه الآيات ومن غيرها أن المعجزة الوحيدة للنبي هي القرآن الكريم، فلم يقم النبي بمعجزة أخرى كانشقاق القمر، بحيث لو كانت منه لكانت أكثر استجابة للتحدي الذي واجهه النبي (ص) من قبل المشركين، كما أنها أكثر صعوبة من هذه الاقتر احات، وقد تحدث المشركون عن هذه المسألة . وهي عدم قيام النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بالمعجزة المماثلة لما قام به الانبياء السابقون . وذلك في قوله تعالى: { وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه، قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون } {الانعام: 37} وقوله تعالى: { ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه، إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } {الرعد: 7} فقد يظهر من هذه الآية، أن إنزال الآيات ليس أمراً ضرورياً للنبوة إلا في حالات التحدي الكبير الذي يهدد حركتها في ساحة الصراع والمواجهة، ولذلك لم ينزل الله على النبي آية لأن التحدي لم يصل الى هذه المرتبة الحاسمة، وقوله تعالى { وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً } {الاسراء: 59} وظاهرها نفي الإرسال بالآيات بالرغم من أنها كانت مطلبا ملحا للمشركين، كما جاء في آية أخرى في قوله تعالى: { وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون } {الانعام: 109} فإن المسألة لم تكن في مستوى الضرورة، ولم تكن في واقع الحاجة للمهمة الرسالية.

ونلتقي في آيات أخرى ببعض مظاهر الضعف البشري الفعلي للأنبياء، وذلك كما في قصة موسى الذي خرج من المدينة خائفاً يترقّب وكان يعيش الخوف من قتل فرعون وقومه له: { ولهم عليَّ ذنب فأخاف أن يقتلون } {الشعراء: 14} والخوف في ساحة التحدي مع السحرة: { فأوجس في نفسه خيفةً موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى } {طه: 68}، ونجد في قصة إبراهيم عندما دخل عليه الملائكة: { فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف } {الذاريات: 28}.

ونلاحظ ذلك في خطاب الله للنبي محمد (ص) كيف يقدم نفسه للناس: { قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتّبع إلا ما يوحي إلي } {الانعام: 50}، وقد ورد هذا المضمون في سورة هود في آية: { ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيراً } {هود: 31}، فإن هذه الآية ظاهرة في تأكيد بشرية الرسول (ص)، وبأن كل ما لديه إنما هو من الله سبحانه وتعالى، يمنحه إيّاه بقدر حاجة الرسالة إليه في حركتها في الحياة، وثمة إشارة في الآية الى أن الغيب الذي قد يعلمه الله للنبي إنما ينزل عليه بطريق الوحي، كما جاء التصريح به في آية أخرى: { ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك } {آل عمران: 34)، وقد جاء به في قوله تعالى: { قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون } {الاعراف: 188}، وهذه الآية تدل على نفي الفعلية في وجود الطاقة التي تدفع عن الانسان الشر، وتجلب له الخير، بحيث إنها تأتي تدريجاً بمشيئة الله، لا بنحو خلق الطاقة في الكيان النبوي ليتحرك من خلالها إراديا، ويؤكد ذلك أنه يتحدث عن الواقع الذي كان يصيبه بسوء بمختلف ألوانه، أو يمنع منه الكثير من الخير، فكأنه يريد الايحاء بأن ذلك لا يتصل بدوره لأن دوره البشارة والإنذار لقوم يؤمنون مما لا

يحتاج فيه الى علم الغيب إلا بما يرتبط بحركة الرسالة في تاريخ الرسالات في الامم السابقة، وهذا مما يوحيه الله إليه في القرآن الكريم من أنباء الغيب، في التاريخ الذي لا يعلمه هو ولا قومه.

وقد ورد في بعض الآيات الحديث عن أن الله يظهر رسله على الغيب، وذلك هو قوله تعالى:

{ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلاّ من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً } {الجن: 26 . 28}، فقد استند اليها القائلون بأن الله قد أعطى رسوله وأولياءه العلم بالغيب إما بطريق الفعلية الإستحضارية، وإما بطريق القوة، بمعنى أنه لو شاء أن يعلم لعلم.

وذكروا أن ظاهر الإستثناء في قوله تعالى: { إلا من ارتضى من رسول } هو الإطلاق الذي لم يتقيد بشيء مما يوحي بأن المسألة تشمل كل شيء يريد الرسول أن يعلمه من الغيب ويفسرون ما حكي من كلامه تعالى من أن إنكارهم العلم بالغيب أريد به نفي الأصالة، الاستقلال دون ما كان يوحي، ولكننا

نحتمل أن يكون قوله تعالى: { فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً } إشا ة الى الغيب الذي يظهر عليه من ارتضى من رسله، وهو الجو الملائكي الذي يحميه من الشياطين، فيطردهم عنه ويعصمه من وساوسهم وتخاليطهم، حتى يبلغ ما أوحي به إليه، فليست الآية في مقام الحديث عن علم الرسول للغيب بل عن حمايته بطريق الغيب، فكأنه بداية كلام جديد في الحديث عن مهمة الرسل في إبلاغهم رسالات ربهم وإطلاعه عليهم وحمايته لهم، وذلك على أسلوب الاستثناء المنقطع، لأن مثل هذا الاستثناء . على حسب ما يرى هؤلاء . يتنافى مع الأسلوب القرآني الذي يؤكد نفي علم الانبياء بالغيب، الذي لم يكن واردا على سبيل نفي الاستقلال . كما ذكر . بل على نفي الفعلية بحسب الواقع الفعلي الذي يعيشه في حياته، وفي مهمته الرسالية.

وخلاصة الفكرة أن هناك فرقاً بين علم الغيب كملكة تدخل في نطاق التكوين الذاتي للنبي . في خصوصية نبوته . وهذا ما ينفيه الظاهر القرآني، سواء ذاك المتصل بأخبار الماضين، والذي يمكن إدراجه تحت عنوان علم الغيب، حيث ثمة إشارة واضحة في القرآن الكريم أن أنباءه هي من وحي الله تعالى، أو ذاك المتصل ببعض موارد الحاجة اليه في موارد معينة، فيلهمه الله تعالى إياه إلهاماً، فهذا ما لا ينفيه النص القرآني، بل قد تؤكده بعض الآيات، وقد وردت أحاديث متنوعة في علم الانبياء والأئمة بالغيب، وهي موضع جدل علمي، وربما نتعرض لها في ما يأتي في حديث الغيب في آيات القرآن.
ومن خلال هذا الحديث الطويل نستطيع أن نخرج بالفكرة التي تنفي الولاية التكوينية بمعناها التكويني الذي منحه الله للانبياء وللأئمة، لأن الدليل لم يدل عليه . حسب فهمنا القاصر . ولكن يبقى . في المسألة أن الله يمنح الأنبياء الفرصة التي يواجهون فيها تحديات الكفر بالمعجزات عند الحاجة إليها، والله العالم"(1) .
ويقول البعض أيضاً في موضع آخر عن علم الانبياء ونفى ولايتهم التكوينية ما يلي:

---

(1) من وحي القرآن: ج 6، ص 26 . 34.

"وقد جاء ذلك في قوله تعالى: { قل: ما كنت بدعاً من الرسل، ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم إن اتبع إلا ما يوحى إلي، إن أنا إلا نذير مبين } {الاحقاف: 9} فإنها تدل على نفي فعلية علم الغيب في واقع الذات، وحصر المسألة فيما يأتيه من الوحي. فهو خارج هذا النطاق لا يملك علم الواقع من ناحية فعلية.. وبهذا يردّ على ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن علم الغيب المنفي عن غير الله وارد على نحو الأصالة، فلا ينافي علم غيره بالتبعية مما يصدر منه، فإن الظاهر من كل الآيات نفي العلم الذاتي حتى على نحو التبعية بمعنى جعل النبي عالماً بالغيب بحيث يملك علم الغيب في ذاته بقدرة الله في

عطائه له كما أعطاه ملكاته الأخرى بل المسألة هي مسألة مفردات الغيب في حاجاته له من خلال الوحي بطريقة أخرى.

وفي ضوء ذلك نستطيع في النص القرآني الرد على الفكرة التي تجعل للنبي الولاية على الكون بأن يغيّره ويبدّله ويتصرّف فيه من خلال القدرة العظيمة التي أودعها الله في شخصه مما يطلق عليه إسم (الولاية التكوينية) وإن هذه الفكرة لا تلتقي بالنصوص القرآنية السابقة فإذا كان النبي لا يملك . في فعلية قدرته الوجودية . لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يعلم الغيب الذي يهيئ له فرصة استكثار الخير في حياته وإبعاد السوء عن نفسه، فيما يستقبله من أمره، وتزداد المسألة وضوحاً في الآاية الكريمة في مواجهة النبي للمشركين في اقتراحاتهم التعجيزية كشرط للإيمان ...الخ(1) .

ثم يتابع كلامه شارحاً مقولته هذه وفقاً لما نقلناه عنه في النص السابق، فلا حاجة الى إعادته بتمامه ما دام أن ذلك لن يفيد شيئاً وسيكون من التكرار الممل، والإطناب المخل.

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . إن هذا البعض قد قرر: "أن الولاية التكوينية ليست من الضرورات التي تفرضها الرسولية..".

ونقول:

---

(1) المعارج: العدد 28 . 31، ص 567 و 568.

أن الرسولية التي تعني قيادة الأمة من موقع الهيمنة، كما دلّت عليه طبيعة التشريع الإسلامي، وتعاليمه الغرّاء والمشتملة على جهاد الظالمين، وعلى إقامة الحدود، والقصاص، والقضاء بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما إلى ذلك..

ودلّت عليه أيضاً الآيات الكثيرة مثل قوله تعالى: { لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات، وإنزلنا معهم الكتاب والميزان، ليقوموا بالقسط. وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس. وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز } (1).

بل إن كون النبي شاهداً على الناس في شرق الأرض وغربها، مطلعاً على أعمالهم الجوارحية والجوانحية حتى خلجات هذا الإنسان النفسية، وأفعاله القلبية. وحتى في عواطفه، وفي حبه، وفي بغضه، وفي حالاته النفسية، كاليأس والرجاء.. وما الى ذلك.. ثم تربيته تربيه صالحة، والهيمنة عليه من موقع المعرفة والوعي وما الى ذلك..

من قال: إن ذلك كله وسواه مما ذكرنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب لا يقتضي ولاية تكوينية سواء في حدها الأدنى، أو في حدها الأعلى، فإن هذا البعض ينفيها بجميع مراتبها..

2 . إن هذا البعض لا بد أن يعترف بأن الله قد سخر لسليمان الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وسخّر له غير الريح أيضاً..

كما أنه لا يستطيع أن يناقش في ان آصف بن برخيا . وهو ليس بنبي . قد جاء بعرش بلقيس . من اليمن قبل ارتداد الطرف.. وقد نسب الإتيان به إلى نفسه واعتبره فعلاً له..

3 . قوله: "إن الانبياء، لم يمارسوا الولاية التكوينية في حياتهم". قد عرفت آنفا أنه لا يصح.. وثمة أمثلة كثيرة أخرى فراجع: (الجزء الثاني من هذا الكتاب . بحث الولاية التكوينية).

---

(1) سورة الحديد، الآية: 25.

4 . أما بالنسبة لما اقترحه المشركون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأجابهم بقوله: { قل: سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً } فقد أشرنا أكثر من مرة إلى أنهم إنما طلبوا منه أن يفعل ذلك لأجل أن يثبتوا أنه (صلى الله عليه وآله) ليس بشراً.. فإجابة طلبهم سوف توجب تضليل الناس، لأنهم سيعتبرونه . والحالة هذه . من غير البشر، ولأجل ذلك حكي الله عنهم تعجبهم من بشريته، فقال تعليقاً على مطالبهم تلك:

{ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى، إلا أن قالوا: أبعث الله بشراً رسولاً.. } فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى:

{ قل: لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ... } (1).

أضف إلى ما تقدم: إنه لا يجب على الله إجابة مقترحي الآيات والمعجزات في ما يقترحونه.

5 . إن عدم وجدان هذا البعض التفسير المعقول . عنده . للأحاديث التي تدل على أن الله سبحانه خلق الكون لأجل النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت الطاهرين (عليهم السلام)، لا يعني عدم صحة هذه الأحاديث، وعدم وجود التفسير المعقول لها.

ولا يستطيع هذا البعض ولا غيره أن يدعي: أنه قد فهم كل شيء ورد في كتاب الله، وعن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام).

وهذا هو القرآن يكتشف العلماء في كل جيل الكثير من حقائقه، ويقفون على الكثير من دقائقه، وكذلك الحال بالنسبة لكلام المعصومين (ع).

فهل ذلك يعني أن ما لم يفهمه هذا البعض من القرآن، ومن غيره يجب إسقاطه وحذفه وعدم الإهتمام له، والإعتداد به؟ !

---

(1) سورة الإسراء: الآية 94 . 95.

6 . أنه يمكن فهم هذه الأحاديث عل أساس التشريف، والتكريم لهم فإنهم هم الحقيقة التامة في ظهورها، والكمال في تجلياته الجمالية في مواقع القرب الى الله، فإن هذا التجلي، وذلك الظهور هو الغرض من خلق الخلق الذي لا يستحق شيئاً من ذلك في ذاته، وهو مظهر النقص والإنحدار والسقوط فلولا أنه تعالى أراد أن يتجلى ذلك الكمال، وأن تتجسد تلك الحقيقة التامة، فإن هذا الكون الناقص، الذي هو عالم الفساد والإفساد لا يستحق العناية والإهتمام بأي حال..

7 . وأما بالنسبة لقول هذا البعض "إن رد علم بعض الامور الى أهله يقتضي إهماله.." فغير سديد أيضاً، لأن هناك أموراً يطلب العلم والإعتقاد بها على سبيل الإجمال، حيث قد يمتنع التفصيل فيها لأكثر من سبب.. وقد رأينا: أن هذا البعض يعترف في مواضع كثيرة جداً قد تعدّ بالعشرات.

وخذ على سبيل المثال قوله عن دابّة الأرض التي يخرجها الله في آخر الزمان بأنها مما أجمله القرآن، فلنجمل ما أجمله القرآن، وكذا الحال بالنسبة لما ذكره حول الرجعة(1)، وعن الملائكة(2)، ومفارقة روح الميت جسده(3)، وغير ذلك..

فهل يجيز هذا البعض أن لا نعتقد بكل تلك الأمور التي اعترف بإجمالها، وأن نخرجها عن دائرة الإعتقاد لمجرّد أنه لا يوجد تفصيلات كافية لها؟! لكي تمثل وعياً في الفكر، وقناعة في الوجدان على حد تعبيره، ولماذا لا يكون المطلوب هو الوعي والقناعة الإجمالية على ما هو عليه الواقع..

وهل يستطيع هذا البعض أن يتحفنا بتفاصيل دقيقة عن الروح والجن والملائكة وعن حقيقة الذات الإلهية وعن تفاصيل ما يجري في البرزخ وكيفياته ...وغير ذلك؟ !!

مع أن ذلك كله وسواه كثير جداً.. مما يلزم الإعتقاد به على ما هو عليه، وعلى سبيل الإجمال !!.

وهل يصح إخراج ذلك كله عن دائرة العقيدة لمجرد عدم قدرتنا على الإحاطة بتفاصيله؟!

---

(1) الموسم، العددان: 21،22 ص 243.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق: ص242.

هذا.. وقد روي عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن إبن محبوب، عن جميل بن صالح عن أبي عبيدة الحذاء، قال:

سمت أبي عبد الله (عليه السلام) يقول:

(والله إن أحب أصحابي إلي، أورعهم، وأفقههم، وأكتمهم لحديثنا، وإن أسوأهم عندي حالاً، وأمقتهم للّذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله اشماز منه، وحجده، وكفّر من دان به.

وهو لايدري لعل الحديث من عندنا خرج، وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا)(1).

8 . إن ما ذكره من أن المعجزة إنما تكون في مقام التحدّي، وبعدها تعود الرسالة الى مجراها الطبيعي، ويعود الرسول الى الوسائل العادية، كأي إنسان آخر من دون أن يبادر الى أي وسيلة عادية غير دقيق...

فإن ما تقدم به يظهر لنا: أن الرسول الشاهد يحتاج الى الإطلاع المباشر على ما يشهد به، فيرى من خلفه، وتنام عيناه، ولا ينام قلبه، ويرى أعمال الخلائق، وذلك يحتاج الى وسائل غير عادية، والرسول المسؤول حتى البقاع والبهائم يحتاج الى وسائل غير عادية ليعرف لغات البهائم ويحل مشاكلها (علّمنا منطق الطير).

{ قالت نملة:يا أيها النمل إدخلوا مساكنكم، لا يحطمنكم سليمان وجنوده، فتبسم ضاحكاً من قولها } .

ولنتذكر أيضاً حديث سليمان مع الهدهد.. وو إلخ. وما قدمنا في هذا المورد وموارد أخرى من هذا الجزء، والجزء الذي سبقه حيث تكلّمنا حول هذا الموضوع أكثر من مرة.

9 . ونجد في سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) مبادرات كثيرة إلى الوسائل غير العادية للتخلّص من المشاكل.. وقد طلب سليمان من أن يأتوه بعرش بلقيس بوسائلهم غير العادية، فكان له ما أراد، كما نص عليه الكتاب العزيز.

---

(1) الكافي ج 2 ص 223، والبحار ج 72 ص 76، وراجع: ج 25 ص 366/365، عنه وعن مختصر بصائر الدرجات ص 98.

وفي حرب الخندق أطعم النبي (ص) الجيش الجائع كله من شاة عجفاء، وحطم الصخرة التي اعترضت الجيش في حفر الخندق فعجز عنها . حطّمها . بثلاث ضربات، ولو أردنا استقصاء الموارد التي من هذا القبيل لكان علينا ملء عشرات بل مئات الصفحات من تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)، ولا يمكن لأي كان من الناس أن يعتبر ذلك كله في عداد الموضوعات والمختلقات، فكيف أجاز البعض لنفسه: أن يدعي أن معجزة النبي (صلى الله عليه وآله) الوحيدة هي القرآن.

10 . أما قوله: "إن التشريف لا يتمثل في إعطاء القدرة دون قضية"، فغير مقبول أيضاً.. فإن التشريف نفسه هو القضية، حيث يؤدّي الى المزيد من الاحترام للرسول، ورفعة شأنه، وتعميق الإرتباط من موقع التعظيم، والاجلال، والتقديس.. الأمر الذي يؤدّي الى المزيد من الحرص على التأسي به، وإلى عمق تأثير كلامه في النفوس، وإلى مزيد من الدقّة في التعامل معه، وما إلى ذلك من قواعد جليلة وهامة.

11 . وأما عن التشريف في الآخرة لا في الدينا، فإن الله قد شرّفه في كتابه الكريم مزيد تشريف حيث أمر الناس بالصلاة عليه.. وبأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، وبأن لا ينادوه من وراء الحجرات، وبأن لا يقدّموا بين يدي الله ورسوله. وأن يقدّموا بين يدي نجواهم صدقة.. وبأن لا يكون دعاء الرسول بينهم

كدعاء بعضهم بعضاً، وحرم الزواج بنسائه من بعده.. وغير ذلك كثير.
فهل أن ذلك كله من التشريف له (صلى الله عليه وآله)؟! أم أنه قلة مبالاة وعدم اهتمام..
وهل نسي هذا البعض قوله تعالى: { ورفعنا لك ذكرك } ، فهل رفع الذكر لا يدخل في نطاق التشريف والتكريم وأنه سبحانه قد أعطاه الكوثر من خلال إبنته فاطمة الزهراء (عليها السلام)، بل إن الله سبحانه إذا كان قد كرم بني آدم، وكرم المؤمنين وميّزهم أيضاً على الكافرين، فهل يعقل أن يكون قد ترك أنبياءه، وأولياءه كسائر الناس، خلواً من أي تكريم..؟!

12 . أما قوله: "أما الدنيا فلا قيمة لها عنده، ولذلك لم يجعلها أجراً لأوليائه، بل أتاح الفرصة الكبرى فيها لأعدائه..".
هل يعني: أن المؤمنين حتى الأنبياء يجب أن يكونوا في الدنيا أذلاء حقراء، خالين من أوسمة الشرف التي يستحقونها بضل الله وعنايته، ولا كرامة لهم، ولا قيمة..
وهل أن التكريم في الدنيا، هو عمل دنيوي أم أنه عمل يقصد به شد عزيمة الناس، وتعميق ثقتهم برموزهم الكبار، وبسط الرجاء والأمل، وتأكيد حالة الإكبار، والإجلال في نفوسهم.. ليتأكد إلتزامهم بهذا، وليعيشوا حالة الإعتزاز به، والإحساس بالمجد، والكرامة، والسؤدد فيه..
13 . وعن احتماله: "أن يكون ما يحصل في أوقات التحدّي ليس من قدرة الانبياء، ولكنها قدرة الله مباشرة..".
نقول:
إن ذلك لا ينسجم مع قوله: { إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله } .
{ وأبرئ الأكمه، والأبرص، وأحيي الموتى بإذن الله.. } {آل عمران: 49} وقوله تعالى ناسباً العمل إلى عيسى(ع): { وتبرئ الأكمه والأبرص } {المائده:100}، وقول آصف بن برقيا: { أنا آتيك به.. } وغير ذلك مما يدل على نسبة الفعل الى فاعله، لأن الله سبحانه قد أجراه على يد عيسى، وآصف بن برخيا، من دون أن يكون ذلك باختيارهما بحيث لا يصحّح النسبة إليهما (عليهما السلام) والحال هذه إلا على أساس نظرية الكسب، التي جاء بها الأشعري.. والتي تقول: إن الله سبحانه يخلق قدرة الإنسان حين صدور الفعل من الله سبحانه، ولكنها ليس لها أي تأثير في الفعل نفسه، بل التأثير منحصر بالله سبحانه(1).
وتكون هذه القدرة بمثابة الحجر في جنب الإنسان.
14 . إن الإذن الإلهي في الفعل لا ينافي الإختيار، وقد قال الله سبحانه وتعالى: { وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله } (2) فإن الإيمان ليس أمراً إجبارياً.

(1) راجع: نشأة الأشعرية وتطورها ص234 فما بعدها، واللمع ص 76 و78.
(2) سورة يونس، الآية: 100.

وقال تعالى: { كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإن الله } (1).
والآيات في هذا المجال كثيرة.
15 . وعن استعمال الأنبياء الولاية التكوينية في حماية أنفسهم من الأخطار، وفي رسالتهم.. نقول: لا ريب في أنهم قد استعملوها في خدمة الرسالة.. وقد أشرنا الى ذلك فيما ذكرناه آنفا فلا نعيد.
16 . وأما بالنسبة: "لحماية أنفسهم من الأخطار من خلال الولاية التكوينية، وكذلك حماية رسالتهم.." فإن ذلك لا ينسجم مع إعطاء الخيار، والإختيار للانسان العاصي، والمطيع على حد سواء.. حيث قد ذكرنا أكثر من مرة: أن عدل الله سبحانه يقضي بأن لا يحول بين المرء وإرادته، وأنه إن كان ثمة من حاجة الى التدخل الإلهي، فإنما يكون في خارج دائرة إختيار الانسان.
ولأجل ذلك، حين واجه إبراهيم تصميم قومه على قتله بإحراقه بالنار، إقتضى العدل الإلهي أن يمارس الطغاة حريتهم في جمع الحطب، وفي إضرام النار، وفي أخذ ابراهيم، ووضعه في القاذف (المنجنيق)، وإطلاقه، ووضعه وسط النار، ولم تتدخل الإرادة الإلهية للحيلولة بينهم، وبين ما أرادوه، فلم نجد أيديهم قد تعطلت عن الحركة، ولم نجد المنجنيق (القاذف) استعصى عليهم بل فعلوا كل ما أحبوه، ولكن الإرادة الإلهية تدخلت من خارج هذه الدائرة، وتوجهت الى النار نفسها وحالت بينها، وبين إنتاج النيجة المفترضة، وهو الإحراق.. { قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم.. } .
وهكذا الحال بالنسبة الى نبيّنا حين الهجرة، فإن المشركين قد فعلوا كلما أرادوا، ولكن التدخل الإلهي قد كان خارج دائرة إختيارهم، حيث نسجت العنكبوت على باب الغار، ونبتت الشجرة، وباضت الحمامة الوحشية على باب الغار أيضاً، واحتضنت بيضها، فتوهم المشركون: أن لا أحد في داخل ذلك الغار، فانصرفوا عنه..

(1) سورة البقرة، الآية: 249.

ولأجل ذلك نجد المسلمين رغم أنهم كانو يعانون من حفر الخندق، ومن حرب الاحزاب، فإن الله لا يتدخل لينجز لهم ما هو مطلوب منهم، ولا يحول بصورة جبرية بين أولئك، وبين ما يريدونه من شر بالمسلمين..
بل يكون التدخل في دائرة أخرى، وهي تكثير الطعام حتى ليأكل الجيش كله من شاة عجفاء، ليزداد

المسلمون بصيرة في أمرهم، وثقة بربهم، ولينجزوا أمر الجهاد ومن ثم، يحققون الأهداف الإلهية بإختيارهم وبملئ إرادتهم لينالوا ثواب المجاهدين الصابرين..

17 . ولا ندري بعد هذا.. متى؟ وكيف؟ تسنّى لهذا البعض أن يقرأ التاريخ الصحيح كلّه للأنبياء.. وأين يوجد هذا التاريخ الصحيح؟..

وكيف ميّز صحيح هذا التاريخ من سقيمه؟..

ومتى قام بهذه المهمة الشاقّة والتي تحتاج إلى عشرات السنين، بل المئات؟

وإذا كان قد قرأ التاريخ الصحيح، فلماذا لم يجد بعض ما صرّح به القرآن مما تضمّن تحريك الولاية التكوينية؟

وكذلك ما ذكرناه له من مفردات في هذا المورد وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وكيف لم يقرأ كيف أن سليمان كان يستخدم الجن: { يعملون (له) (ما يشاء) من محاريب وتماثيل، وجفان كالجواب، وقدور راسيات، اعملوا آل داود شكرا، وقليل من عبادي الشكور } {سبأ: 13}.

فهل ذلك كلّه لم يكن فيه أي شيء يعود لسليمان نفسه، حتى الجفان،و القدور، والتماثيل، وغيرها.. والذي كان شياطين الجن يبنونه له، ثم الذي كانوا يستخرجونه له بالغوص في قاع البحار { والشياطين كل بنّاء وغوّاص } ، وحتى داود حيث ألان الله له الحديد، حين كان يعمل الدروع السابغات، هل كان هو نفسه يستفيد من تلك الدروع في حماية نفسه.

هل كان كل ذلك بعيداً كل البعد عن إمكانية استفادته الشخصية منه.

18 . أما بالنسبة لقضية نوح، حيث دعا على قومه، فاستجاب الله سبحانه له، فكان الطوفان.. فإن هذا الامر يتعلق بعقوبة الناس على كفرهم، وطغيانهم وظلمهم، وليس ثمة من ضرورة لأن يتولى الأنبياء ذلك بأنفسهم من خلال قدرتهم على التصرف ,، حيث لم يثبت أن ذلك يدخل في نطاق صلاحيتهم.. بل ربما يكون في إيكال ذلك إليهم إحساس لدى الناس بالقهر وبالجبر بمجرد بعثة الرسل اليهم، ولا تبقى لديهم فرصة للإختيار، حين يشعرون: أنهم أمام أمرين إما الإيمان، أو الموت على يد هذا الرسول نفسه. إلا إذا قبل بما ورد عنهم (عليهم السلام): في تفسير قوله تعالى: { إن إلينا إيابهم } .

19 . وفي قضية طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يريه كيف يحيي الموتى.. قال: فخذ أربعة من الطير.. إنما كان الأمر متعلقاً برؤية التصرّف الإلهي المباشر.. وتجسيد نفس هذه القدرة الإلهية.. وأما تصرّف إبراهيم عليه السلام، فربما لا يحقق النتيجة المتوخّاة.. فإن في نسبة الفعل الى نفسه، وأن يكون له هو دوراً في الخلق، إيحاءاته التي لا تنسجم مع ما يسعى إبراهيم(ع) إلى تحقيقه، وهو إخراج قضية الإيمان الراسخ المستند الى البرهان والحجة، من حالة المعادلة العقلية الى دائرة التجسد الحي على صفحة الوجود، سعياً وراء تحقيق السكينة، ليتلائم، وليتّحد السكون النفسي مع تلك القناعة الفكرية

والعقلية الراسخة، ليكونا معا الرافد للأحاسيس والمشاعر.

20 . وعن موسى عليه السلام نجد الله سبحانه قد نسب الفعل الى موسى نفسه في بادئ الأمر، { فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هي بيضاء.. } .

وحين تحدث سبحانه بعد ذلك عن إيحائه له: { أن ألق عصاك } لم يبين: أن هذا الفعل هو لموسى(ع)، بأن يكون تعالى قد أمره بإستخدام الطاقة، والقدرة التي منحه إياها.. أو أنه تعالى، قد تصرّف مباشرة من دون أن يكون لموسى(ع) أية علاقة بذلك.. لا شك أن الخيار الأول هو الأولى بالإعتبار، لأن الإيحاء الى موسى عليه الاسلام بأن يفعل كذا.. معناه أن موسى نفسه هو الذي يملك القدرة على الفعل . وأن الله سبحانه هو الذي منحه هذه القدرة . كأي إنسان آخر يمنحه الله قدرةً واختياراً، ثم يطلب منه أن يمارس قدرته باختياره..

وحين أوحى الله سبحانه إلى أم موسى: { أن اقذفيه في اليم } فإنه أوحى إليها أن تفعل ذلك باختيارها.

إذن، فلا معنى لقول هذا البعض: "ونحن لا نرى أي جهد لموسى في الموضوع فإنه كان يعيش دور المنفعل الذي يحوّل الله يده السمراء إلى بيضاء، ويحوّل عصاه إلى ثعبان الخ..."

إذ ليس في الآية إلا أن الله سبحانه قد أمر موسى أن يخرج يده من جيبة لتظهر المعجزة.. وليس فيها: أن لا دور لموسى(ع) فيها.. أو أن له دوراً . ليقال: أنه يعيش دور المنفعل أو لا يعيش.

ولنفرض أن الأمر في خصوص هذا المورد كان كذلك أي أن موسى كان يعيش دور المنفعل فيه.. فهل ذلك يدل على نفي وجود أي دور له أو أية قدرات عنده في مختلف الموارد؟!.

21 . وأما عن خوف موسى(ع) من تجربة السحرة، فمن الواضح: أنه لم يكن خوف ضعف، وإنما خاف من أن يؤثر السحرة على عقول الناس، فيضلّوهم.

22 . وفيما يتعلق بحيرة موسى(ع) فيما يمكن أن يردّ السحرة به التحدي.. فليس لذلك أثر في الآيات القرآنية، وإنما هو رجم بالغيب، يراد به إظهار ضعف موسى(ع)، وفقدانه أية وسيلة لمواجهة كيد السحرة.

23 . وفيما يرتبط بأن موسى كان ينتظر تدخل الله غير العادي لحسم الموقف ورد كيد السحرة، فإنه هو الآخر تخرّص ورجم بالغيب، وليس في الآيات أية إشارة إليه، ولا يصح الإستناد إليه في أي إستنتاج.

ولا ندري السبب في إقدام هذا البعض على تسويق مثل هذه الأمور.

24 . وأما عن النبي سليمان(ع) فهل يظن هذا البعض أنه قد فتح القسطنطينية حين قال: "ليس في القصّة إلا دعاء واستجابة ربانية أعطته ما يريد من دون أي دور عملي له.."، فهل ثمة من يدّعي أن سليمان(ع) هو الذي أوجد هذا الملك لنفسه، وأعطى لنفسه القدرة على تسخير الريح، والجن.. أم أن الله

هو الذي أعطاه ذلك. وجعل له القدرة على تحريك الريح . تجري بأمره رخاء حيث أصاب..
فهل يريد هذا البعض أن لا يطلب الأنبياء ان يعطيهم القدرات التي تمكنهم من القيام بمهامهم الرسالية..
فها نحن نقرأ دعاء إبراهيم(ع): { رب اجعلني مقيم الصلاة، ومن ذريتي، ربنا وتقبل دعاء } (1).
فهل يصح القول بأنه في إقامته للصلاة ومن ذريته، لم يكن إلا دعاء، واستجابة ربانية، أعطته ما يريد من دون أن يكون له أي دور عملي، أو قدرة واقعية في تحقيق ذلك على حد تعبير هذا البعض؟!
وكذا بالنسبة للشكر، والعمل الصالح الذي يرضي الله في دعاء الإنسان، وفي مثل دعاء سليمان(ع): { رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت علي، وعلى والدي، وأن أعمل صالحا ترضاه } (2).
ولتراجع سائر الآيات التي تتضمن الأدعية فيها ما يشبه ذلك.
25 . وأما بالنسبة لعيسى (عليه السلام) فكيف يستطيع أن يثبت أن دوره(ع) كان دور الآلة.. ولماذا لا يكون مالكاً لقدرة أفاضها الله عليه، والله هو الذي يأذن له بإستعمالها هنا تارة، وهناك تارة أخرى؟!
ولماذا خرجت كلمة { بإذن الله } عن معناها الحرفي اللغوي في خصوص هذا المحور، لتصبح دالة على القوة التي تباشر هي تحقيق النتائج من دون أي دور لعيسى(ع)، سوى كونه آلة؟!

---

(1) سورة ابراهيم: الآية: 40.
(2) سورة النمل: الآية: 19، وسورة الاحقاف: الآية: 15.

ومن أين عرف أن عيسى (عليه السلام)لم يكن يملك أية طاقة خاصة به.. ألا يحتاج ذلك حسب ما يقوله هو نفسه الى دليل موجب لليقين، لأن القضية لا تدخل في دائرة الأحكام ليكتفي فيها بمطلق الحجة؟!
وقد ذُكر عند النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): أن عيسى (عليه السلام) كان يمشي على الماء. فقال (صلى الله عليه وآله): لو زاد يقينه لمشى على الهواء(1).
مما يدل على أن وجود هذه القدرة لدى عيسى (عليه السلام) تابع لمستوى اليقين لديه، ولا شك في كونه اختيارياً.
أم أن هذا البعض يتصوّر أن يمشي عيسى (عليه السلام) على الماء لا باختياره؟!.
26 . إن من جملة ما اقترحه المشركون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو أن يرقى في السماء، ثم ينزل عليهم كتاباً يقرؤونه..
فلم يستجب لهم، فهل ذلك معناه، عدم صحة المعراج الذي تحدث عنه القرآن؟!
وحين استقسى موسى قومه، وضرب { بعصاه الحجر فانبجست منه إثنتا عشرة عيناً } ، كما أنه (صلى الله عليه وآله) و وكذلك الائمة (عليهم السلام) قد فجّروا الينابيع للناس..

27 . إن المعراج الذي حدث لرسول الله فعلاً هو باعتراف هذا البعض مفردة من مفردات رقيّة الى السماء، بل حيث بلغ العرش، ورجع في ليلة واحدة.. ليس بأقل من حيث أهميته وخطورته، وحساسيته وصعوبته من إنشقاق القمر.. فإذا كان هذا العروج قد حصل، فلماذا لا يحصل ذلك الإنشقاق؟!

28 . قد عرفنا حين الحديث عن الولاية التكوينية أن هذه الإقتراحات كانت تهدف الى اثبات أن النبي الذي يرسله يجب أن لا يكون بشراً، فالإستجابة لهم فيها تستوجب تضليل فريق من الناس بلا شك. فراجع ما كتبناه هناك، وفي موارد أخرى من هذا الكتاب.

على أن فتح باب الآيات الإقتراحية خطير للغاية، حيث يصبح الأمر ملعبة بايدي السفهاء، والجهال، وأصحاب الأهواء..

وقد جاءت السنة الإلهية لتواجه هذه الظاهرة، بإنزال عذاب الإستئصال..

---

(1) مصباح الشريعة ص 177 وبحار الأنوار ج 67 ص 179.

29 . إنه لا ضير في أن تكون آية: { لولا نزل عليه آية من ربه } قد نزلت قبل حادثة المعراج، وانشقاق القمر، وتكليم الشجر، والحجر، وتسبيح الحصى، وتكليم الحيوانات، وغير ذلك من آيات.. فلم يستجب الله سبحانه طلبهم هذا.. ثم حصلت آيات من شأنها أن تعطي اليقين، والدلالة الظاهرة على صحة هذا الدين، دون أن يكون هناك أي إقتراح من المشركين، من شأنه أن يثير سلبيات من أي نوع.

30 . وحتى لو أن هذه الآية، وآية سورة الرعد قد نزلتا بعد المعراج، وإنشقاق القمر، وغير ذلك من آيات كثيرة، لم يكن ذلك ضائراً، إذ المقصود هو طلب نزول الآية في تلك الفترة، سواء أكانت قد سبقتها آيات أم لم تسبقها..

31 . كيف يظهر من آيتي سورتي (الأنعام والرعد): أن إنزال الآيات ليس ضرورياً للنبوة إلا في حالات التحدّي الكبير؟! والحال.. أن المطلوب هو آيات إقتراح، لا مجال للاستجابة لهم فيها، لأمور أربعة:

الأول: إن الآيات التي من شأنها إزاحة العذر، وإقامة الحجة القاطعة قد جاءتهم، فلم يؤمنوا بها، ومنها القرآن نفسه.

الثاني: إن للإستجابة للآيات الإقتراحية عواقب وخيمة . لو أنهم لم يؤمنوا بمقتضاها قد جرت سنة الله في إهلاك الأولين بعد الإستجابة إلى مقترحاتهم .. واستمرارهم على الجحود، فراجع سورة الإسراء: الآية 59، وسورة الانعام: الآية 8 و 58.

الثالث: إن ذلك يجعل هذا الدين ملعبة بأيدي الشرار والسفهاء، وأصحاب الأهواء..

الرابع: إن ذلك ربما يساعد على ضلال كثير من الناس، إذا كانوا يريدون إظهار أن النبي ليس من جنس البشر.

32 . وعن خوف موسى عليه السلام من قتل فرعون وقومه له، نشير الى: هذا الخوف يدخل في دائرة الحذر الواجب شرعاً.. كما حصل للنبي (ص) حين دخوله الغار، فإن ذلك حذر واجب على الرسول.. وليس خوف الجبن، والضعف، والإنهزام، ولا يصح إحتمال ذلك في حق الأنبياء، والعجز عن فهم الأمور التي توهم ذلك في ظاهرها الساذج لا يبرر نسبة أمور كهذه لأنبياء الله.

33 . وكذلك الحال تماما بالنسبة لخوف إبراهيم(ع) من ضيوفه، فإنه خوف الحذر الواجب، لا خوف الضعف، والجبن.

34 . وخوف موسى(ع) في موقف التحدّي مع السحرة إنما هو على الناس من أن يقعوا فريسة الوهم، ويؤثر بهم هذا الخداع، فهو خوف على الرسالة، لا خوف الجبن، والإنهزام، والضعف، كما يقوله هذا البعض.

35 . وفي مقام الجواب عن استدلاله بآيتي الأنعام: { قل: لا أقول لكم عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولا أقول لكم إني ملك، إن أتّبع إلا ما يوحى إلي } وقريب منها في سورة هود.

نقول: إنه إذا كانوا يريدون من خلال إثبات هذه الامور للأنبياء عليهم السلام التأكيد على عدم بشريّتهم، فإنه لا مجال لقبول ذلك منهم، إذ يلزم من هذا القبول تضليل الناس وسوقهم لاعتقادهم أمور فاسدة في حق الأنبياء (صلوات الله عليهم).

فالمراد إذن نفي ما يكون من هذه الصفات ملازماً لعدم كون الرسول بشراً، أي نفي صفة علم الغيب مثلا من حالاته الذاتية التي لا صلة لها بالله، فإن بعضهم كان يعبد الملائكة، وبعضهم يعتقد أن للملائكة قدرات خارقة، وعلم غيب ذاتي فيهم، لا صلة له بالله..

ولا يريد أن يقول: انه لا يملك طاقة ذاتية كان الله سبحانه قد أفاضها عليه..

36 . قوله: "إن دفع الخير وجلب الشر كان يحصل بصورة تدريجية من دون أن يكون هناك طاقة في ذات الرسول تؤثر في ذلك.." ما هو إلا رجم بالغيب، فلعل هذا الأثر التدريجي كان يصدر عن طاقة أودعها الله فيه، ويتحرك من خلالها إرادياً بحيث لولا أن الله أودعها فيه فهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

37 . والغريب أنه حصر علم النبي بالغيب بتاريخ الرسالات السابقة، لأن ذلك هو الذي يتصل بالتبشير والإنذار.

ولماذا لا يكون الإخبار عن الغيب الآتي أيضاً له دوره الأهم في التبشير والإنذار.

38 . إن هذا البعض حصر علم النبي بالغيب بطريق الوحي الإلهي التدريجي عند الحاجة.

وهذا غير مقبول منه وغير سديد، إذ قد يكون هذا العلم بواسطة إعطاء قوة يستطيع بها أن يحصل على علم الغيب كلما أراد، كالإلهام مثلا.

39 . وحين تحدث عن العموم، والشمول لكل علم الغيب في قوله تعالى { فلا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ... } .

أجاب عن ذلك بأنه يحتمل!! أن يكون قوله تعالى: { فإنه يسلك من بين يديه، ومن خلفه رصداً } إشارة الى أن هذا الغيب، هو الجو الملائكي الذي يحميه من الشياطين.. فالآية لا تتحدّث عن علم الرسول للغيب، بل عن حمايته بطريق الغيب، على طريقة الإستثناء المنقطع.

ومن الواضح: أن مجرّد الإحتمال لا يكفي للحكم بالنفي بصورة قطعية، بل لا بد من الدليل القاطع لأن النفي يحتاج الى دليل، كما الإثبات يحتاج الى دليل.

ولا بد أن يكون هذا الدليل مفيدا للعلم، واليقين، لأنه في غير الشرعيات.

40 . إنا نعرف أن الإستثناء المنقطع يحتاج الى قرينة تبين أن المستثنى غير داخل في المستثنى منه.. والقرينة التي ذكرها هي نفس ما يدّعيه من أن القرآن يؤكد نفي علم الأنبياء بالغيب.

وقد عرفنا:

أولاً: إن القرآن لم يؤكّد شيئاً من ذلك، بل هو يتحدث عن نفي العلم الذاتي المنقطع عن الله، والمستقبل بنفسه، حيث يريد الكفار إثبات هذا الامر ليثبتوا أن الأنبياء ليسوا من البشر، بل هم موجودات أخرى تنال الغيب بقدراتها الذاتيه من دون حاجة الى الله سبحانه.

ولا أقل من أن ذلك محتمل احتمالاً قوياً، فلا يبقى ثمة ما يصلح لأن يكون قرينة على ما يقول.

ثانياً: إن ظاهر هذه الآية هو الإستثناء المتصل، وثبوت كونه منقطعاً يتوقف على ثبوت ما يدّعيه هذا البعض بصورة قاطعة، وثبوت ما يدّعيه يتوقف على كون الإستثناء منقطعاً.. إذ لو لم يكن كذلك لدلّ القرآن على أن الأنبياء يعلمون الغيب وذلك بهذه الآية بالذات.

وبعبارة أخرى: إنه إذا كان المستثنى منه صالحاً للإنطباق على المستثنى، فلا بد من الحكم باتصال الإستثناء، ولا يحكم بكونه منقطعاً إلا بقرينة، ولا يستطيع هذا البعض نفي علم الأنبياء بالغيب قرآنيا إلا إذا ثبت عدم دلالة هذه الآية على ذلك وأن الاستثناء منقطع، أما الآيات الأخرى فلم يثبت فيها ذلك، ومن الواضح أن كون الإستثناء منقطعاً يتوقف على إثبات أن القرآن ينفي علم الأنبياء بالغيب، ونفي علم الأنبياء بالغيب يتوقف على كون الإستثناء منقطعاً.

وقد عرفنا: أن جميع ما استدل به من آيات لا يدل على مطلوبه، وهو نفي فعلية العلم بالغيب.. بل هي ناظرة الى نفي الإستقلال في مقابل التبعية حسبما أوضحناه.

41 . ثم إنه قد حسم الأمر في نهايات كلامه حين أكد نفي الولاية التكوينية: "لأن الدليل لم يدل عليه .

حسب فهمنا القاصر" على حد تعبيره..
ولكن.. كيف نقبل ذلك منه، وهو نفسه يقول: "إن النفي يحتاج إلى دليل كما الإثبات يحتاج إلى دليل.."
مما يعني: أن مجرد عدم وجود دليل لا يكفي للحكم بعدم وجود ولاية تكوينية..
هذا بالإضافة إلى أننا قد ذكرنا: أن تشكيكاته بالآيات غير صحيحة، ولا مجال لقبول أي منها..
42 . أما بالنسبة لمهمة الأنبياء، وأنها مجرد التبشير والإنذار، والإبلاغ، والهداية، فقد ذكرنا فيما تقدم أنه كلام مرفوض.. من وجهة نظر القرآن، والحديث القطعي.. فلا حاجة إلى الإعادة.
43 . بقي أن نشير إلى ما ذكره هذا البعض حول آية سورة الأحقاف { وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إن أتبع إلاّ ما يوحى إليّ } {سورة الأحقاف، الآية 9}، حيث اعتبرها دالّة على نفي فعلية علم الغيب في واقع الذات، وأنها تحصر المسألة، في ما يأتيه من الوحي.
ونقول:

أولاً: إن هذه الآية . كما أشرنا إليه أكثر من مرة في مثيلاتها . ليست ناظرة إلى النفي المطلق، وإنما هي تنفي ما يعتقده أولئك الناس، من أن النبوة تقتضي بذاتها علماً للغيب مستقلاً عن الله سبحانه، مما يعني أنها مقام لغير البشر بزعمهم.
فجاءت هذه الآية ومثيلاتها لتؤكد على أن الأنبياء بشر، وإن علمهم بالغيب ليس ناشئاً عن ذواتهم بالاستقلال، وإنما هو عطاء من الله، واكتساب منه تعالى.
ومجرد الإصرار على أنها دالة على نفي فعلية علم الغيب في واقع الذات، أي أنها تنفي علم الغيب بالأصالة، وبالتبعية معاً، لا يكفي في مقام الإستدلال، خصوصاً وأن الله قد صرّح بأنه لا يطلع على { غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول } (1).
ثم أخبر عن رسوله بأنه لا يبخل على الناس بما عنده من علوم غيبيّة، فقال: { وما هو على الغيب بضنين } (2).
ثم ذكر عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه: { وأنبؤكم بما تأكلون، وما تدخرون في بيوتكم } (3).
رغم: أنه لم يثبت أن عيسى عليه السلام حين قال لهم ذلك كان في مقام التحدّي الأقصى لهم، وليس إخباره لهم بذلك بأعظم . من إحيائه لموتاهم، وإبرائه الأكمه والأبرص.
وقال يوسف عليه السلام لصاحبي السجن: { .. لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما } (4).
وما هي حاجة يوسف عليه السلام للعلم بتأويله قبل أن يأتيهما؟ وما هو المنصب والمقام الذي اضطر يوسف لأن يحوز هذا العلم، ومنع غيره منه؟
وقال سبحانه في مواضع: { ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك } (5).

وذلك كله يبعد جداً تفسيراً للآية المذكورة، ومثيلاتها بإرادة النفي المطلق للغيب، إلا ما كان يوحيه الله إليهم في حالات تفرض الحاجة ذلك.

---

(1) سورة الجن: الآية 27.
(2) سورة التكوير: الآية 24.
(3) سورة آل عمران: الآية 49.
(4) سورة يوسف: الآية 37.
(5) سورة هود: الآية 49.

ثالثاً: إن هذا البعض يصرّ على أن ما يعلمه بالغيب إنما يصله ـ حصراً ـ عن طريق الوحي ـ ونحن نقبل منه ذلك.. ولكنه هو نفسه قد ذكر في النص السابق: أن هذا العلم ما كان منه متصلاً بأخبار الماضين، فالقرآن يشير بوضوح إلى أن أنباءه هي من وحي الله.
أما ما كان متصلاً ببعض موارد الحاجة إليه في موارد معينة، فيلهمه الله تعالى إياه إلهاماً(1) إلا أن يفرّق بين الوحي والإلهام.. فيرد عليه: لماذا إذن فرّق بين الموردين فكان أحدهما بواسطة الوحي، وكان ذاك بواسطة الإلهام؟! ولماذا لا يكون العكس؟!
رابعاً: لماذا لا يكون هذا الإلهام الذي اعترف به ناشئاً عن قدرة، أو ملكة أودعها الله في نبيه، تجعله قادراً على أن يعلم ساعة يشاء، حسبما دلّت عليه الروايات الكثيرة.
خامساً: إن قوله تعالى في نفس آية سورة الأحقاف: { إن أتبع إلا ما يوحى إليّ } بعد قوله: { ما أدري ما يفعل بي ولا بكم } (2) يفيد أنه قد جاء في موضع الاضراب عما قبله.. ليكون المعنى: إني ما أدري شيئاً من هذه الحوادث بالغيب من قبل نفسي. وإنما أتبع ما يوحى إلي من ذلك.
وحسبنا ما ذكرناه، فإن فيه كفاية لمن أراد الرشد والهداية.

الفصل الثالث:
بعض الحديث
عن العصمة :

بداية :
لقد أصبحت مقولات هذا البعض حول عصمة الأنبياء ومقاماتهم كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.. وهي على درجة كبيرة من الكثرة والتنوع، بحيث يصعب جدا الجمع بين أطرافها..

وكما فعلنا في الجزأين السابقين سوف نفعل هنا بأن نقدم للقارئ الكريم طائفة من مقولاته حول هذه الموضوعات ونذكر منها ما يلي :

577 . يمكن أن يخطىء النبي في تبليغ آية ثم يصحح بعد ذلك.

578 . يمكن أن ينسى النبي آية ثم يصحح.

579 . النزوات الشخصية تدفع النبي الى الفعل.

580 . لابد من أدلة أخرى على العصمة، ولا يكفي الموجود.

---

(1) قد تقدم ذلك عن كتابه من وحي القرآن الطبعة الجديدة ج6 ص.34

(2) سورة الأحقاف: الآية .9

581 . آدم إنحرف عن الخط الرسالي، أو الإصلاحي، أو التقوائي، ثم تراجع لمصلحة المبدأ.

582 . فعل آدم لا تعبير ولا دلالة عن الفكرة بخلاف القول.

لقد قرر العلامة الطباطبائي: العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي وتبليغ الرسالة إستنادا الى قوله تعالى: { فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه } .

فناقشه البعض بقوله :

"ونلاحظ على ذلك : أن ما ذكره لا يلازم ما ذكره من العصمة عن الخطأ في التبليغ، فإن هداية الناس الى حق الإعتقاد، وحق العمل، كما أن الحديث عن (أن الله إذا أراد شيئا فإنما يريده من طريقه الموصل إليه من غير خطأ، وإذا سلك بفعل الى غاية فلا يضل في سلوكه) لا يقتضي إلا أن يصل الوحي إلى الناس . لهدايتهم . كاملاً غير منقوص. وهذا ما يؤكد وصوله عن طريقه من غير خطأ.

ولا ملازمة بين ذلك، وبين العصمة، فإن من الممكن من الناحية التجريدية أن يخطئ النبي في تبليغ آية أو ينساها في وقت معين، ليصحح ذلك، ويصوّبه بعد ذلك، لتأخذ الآية صيغتها الكاملة الصحيحة"(1) .

وإذا قيل : إن احتمال الخطأ والنسيان إذا كان وارداً في الحالة الأولى، فهو موجود في الحالة الثانية، مما يؤدي الى فقدان الأساس الذي يحصل من خلاله الإيمان بواقع الآية في الوحي المنزل، فلا يصير الإنسان الى يقين بذلك!!

فإن الجواب هو:

"من الممكن تقديم القرائن القطعية في الحالة الثانية التي تؤدي الى اليقين، تماما كما قيل في مسألة سهو النبي . في رأي الشيخ الصدوق . على اساس بعض الروايات التي أوضح النبي فيها القضية من دون لبس، بالطريقة التي اقتنع فيها الناس بأن المسألة كانت سهوا . كاي سهو آخر مما يحدث للناس . لو

صحت الرواية.

---

(1) من وحي القرآن : ج 4، ص 153.

إن قضية الغرض الإلهي في وصول الوحي الى الناس، لا يستلزم الا الوصول في نهاية المطاف من غير خطأ، ولكن لا مانع من حدوث بعض الحالات التي يقع فيها الخطأ، لا ليستمر، بل لينقلب الى صواب تؤكده القرائن القطعية التي توحي بالحقيقة في وجدان الإنسان.

ويتابع العلامة الطباطبائي حديثه في العصمة ليشمل . في استيفاء هذه الآية مع آية ثانية . العصمة عن المعصية في العمل فيقول : " يمكن تتميم دلالتهما على العصمة من المعصية ايضا بأن الفعل دال كالقول عند العقلاء، فالفاعل لفعل يدل بفعله على أنه يراه حسنا جائزا كما لو قال : إن الفعل الفلاني حسن جائز، فلو تحققت معصية من النبي وهو يأمر بخلافها لكان ذلك تناقضا منه، فإن فعله يناقض حينئذ قوله، فيكون حينئذ مبلغا لكلا المتناقضين، وليس تبليغ المتناقضين بتبليغ للحق، فإن المخبر بالمتناقضين لم يخبر بالحق لكون كل منهما مبطلا للآخر، فعصمة النبي في تبليغ رسالته لا تتم إلا مع عصمته عن المعصية وصونه عن المخالفة كما لا يخفى.

ونلاحظ على ذلك، أن ما ذكره من دلالة الفعل على نهج دلالة القول صحيح . من ناحية المبدأ . وذلك في الحالة العادية الطبيعية للتعبير الإنساني بواسطة النقل، ولكن قد ينطلق الفعل من الإنسان على أساس الواقع العملي الذي قد يتحرك فيه من خلال أوضاعه الشخصية الخاضعة لبعض النزوات الطارئة بفعل الضغوط الداخلية أو الخارجية الحسية والمعنوية، فيتراجع عنها لمصلحة المبدأ الذي كان قد بينه للناس من موقع الوحي أو نحوه، تماما كما هي الحالة الجارية في سلوك المصلحين والرساليين . حتى الأتقياء منهم . في انحراف خطواتهم العملية عن الخط الرسالي أو الإصلاحي أو التقوائي بشكل طارئ، لا يتحول الى إصرار، على هدى ما جاء في قوله تعالى : { إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون } {الأعراف: 201}.

أو على ما حدثنا الله به عن آدم عليه السلام في معصيته، ولو كان ذلك على طريقة عصيان الأمر الإرشادي، ثم توبته بعد ذلك، فإن مثل هذا لا يوحي بالتناقض، لأن الفعل لم يتحرك في أجواء الدلالة التعبيرية عن الفكرة التي عبر عنها القول، لأن مقامه ليس هذا المقام.

وفي هذه الحال ليست هناك طريقة عقلائية في موضوع الدلالة.

إننا نتصور أن هذا الأسلوب الإستدلالي في تقرير العصمة في القول والفعل لا يملك القوة في الإستدلال من خلال المناقشات المذكورة وغيرها، فلا بد من اللجوء الى أدلة أخرى قد يكتشف الإنسان فيها أن

النبوة حدث غير عادي في معنى الرسالة، لأنها حركة إلهية في هداية البشرية الى الله، وتغيير الحياة على صورة أخلاق الله، مما يفرض إنسانا يعيش الرسالة في عمقه الروحي، وتأمله الفكري، وأخلاقيته العظيمة في صدقه مع ربه ونفسه، ومع الناس، وأمانته في ماله ودينه، ومسؤوليته، وإنسانيته، بحيث تكون الرسالة التي يحملها منسجمة مع الروح التي يتجسد فيها، لتكون الرسالة جسدا يتحرك، ويكون الجسد رسالة تنفتح على الله، وعلى الإنسان والحياة في إتجاه التغيير.

إن هذا الدور التغييري، الذي يستهدف تغيير الإنسان بالكلمة والقدوة، بحاجة الى الإنسان الصدمة الذي يصدم الواقع الفاسد بكل قوة، الأمر الذي ينفتح فيه اللطف الإلهي على إعطاء المزيد من القوة الروحية، والأخلاقية، والفكرية والعصمة العملية لهذا الإنسان، سواء أكان ذلك بالطريقة التي يبقى فيها عنصر الإختيار له لسلوك الإتجاه المضاد، أم كان بطريقة أخرى، لا يبقى فيها له ذلك العنصر، لأن القضية هي حاجة البشرية إليه، أما قضية الثواب وعلاقتها بالإختيار، فهي مسألة لا تعقيد فيها، لأنها في جميع الأحوال...الخ"(1).

وقفة قصيرة :

ونقول :

إن الحديث عن جبرية العصمة سيأتي في وقفتنا مع هذا البعض في الفقرة التالية، ولكننا نكتفي هنا بما يلي :

---

(1) من وحي القرآن : ج4، ص 154 و 155.

1 . إن هذا البعض يحاول اسقاط الأدلة القاطعة التي ساقها العلامة السيد الطباطبائي من أجل ان يمهد السبيل لطرح ما زعمه من العصمة الإجبارية التي تفقد جهد، وجهاد المعصوم أية قيمة..

وفي النص السابق رأيناه يحاول إدعاء أن النبي قد يخطىء أولاً، ثم يُصار الى تصحيح الخطأ بعد ذلك.. ولم تنفعه العصمة الإجبارية المزعومة.

2 . وحين واجه إشكال إمكانية تكرر الخطأ، حاول التخلص منه بدعوى أن القرائن القطعية هي التي تحسم الأمر...

ونقول له :

أولاً: إذا كانت القرائن القطعية هي تحسم الأمر في المرة الثانية، فلماذا لا تحسمه في المرة الأولى..

ثانياً: من الذي قال له: "إن القرائن القطعية قد حسمت ذلك في المرة الثانية، فلماذا لا يتكرر الخطأ فيها، وفي التي بعدها.. وهكذا الى التي تليها.." هذا، عدا عن أنه يحتمل في كل مقطع أن يخطئ وأن يصيب.

فأي دليل عيّن المرة الثانية لحسم الأمر بالقرينة القطعية فيها دون سواها..
ومن الذي حصر هذا النسيان وذلك الخطأ في هذا الوقت المعين دون سواه، ولماذا جاء النسيان فيه، وجاء التذكر فيما عداه..
3 . إن استدلاله بحديث سهو النبي غير مقبول فإن الرواية حاولت إثبات الإسهاء الإلهي المتعمد للنبي (صلى الله عليه وآله) لكي لا يغلوا الناس فيه، ويعبدوه.
فلا يصح قوله.. "إن النبي قد أوضح للناس أن القضية قد كانت سهواً كأي سهو آخر مما يحدث للناس".
4 . إن ثمة نقاشات كثيرة حول صحة هذه الرواية، وهو نفسه قد أشار الى ذلك حين قال : "لو صحت الرواية" فاستعمل (لو) الدالة على الإمتناع.
5 . إن استدلاله بهذه الرواية ليس إلا مصادرة على المطلوب، وبما هو محل النزاع..
6 . إذا كانت المسألة عقائدية عقلية، فكيف يستدل عليها بالأخبار، فضلاً عن الإستدلال بخبر واحد فيه الكثير من العلل والاسقام..

على أنه هو نفسه يشترط في الخبر أن يكون متواتراً وقطعياً أو مفيداً للإطمئنان.. إذا كان يتحدث عن العقائد والتاريخ وغيرها.. فأين اليقين هنا، وأين الإطمئنان الحاصلان من خلال الكثرة والتواتر؟.
7 . إذا كانت هداية الناس الى حق الإعتقاد، وحق العمل تقتضي وصول الوحي في نهاية المطاف كاملا غير منقوص، كما يقول.. فأي معنى لإحتمال الخطأ والنسيان، في وقت معين، ما دام ثمة تعهد إلهي بالإيصال الصحيح والكامل ...
8 . وإذا جاز الخطأ في مورد، فإنه يجوز في موارد، وقد يأخذ الخطأ مجراه، الى جانب الصواب. كلٌ في دائرته.. ويكون الوصول التام قد تحقق، لأن الصواب قد أبلغ، وإن لم يستطع الناس التمييز بينه وبين ما هو خطأ. فكيف جزم هذا البعض: "أن الوصول بهذه الطريقة سوف يرفع إشتباهات بعض الناس..."
9 . وكيف يطمئن الناس الى صدق، وصحة ما يلقيه اليهم النبي (صلى الله عليه وآله)، وهم يحتملون أنه قد يكون واقعا في الخطأ في هذا الإبلاغ.. ألا يفترض أن يستمر شكهم على لائحة الإنتظار الى آخر حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليطمئنوا عند ذلك فقط الى عدم ورود تصحيح على ما كان قد بلّغه لهم..
نعم.. ولا بد أن ينتظروا هذا التصحيح المحتمل الى آخر حياته (ص) في كل كبيرة، وصغيرة، ومن الألف الى الياء..
ويكون موت النبي (صلى الله عليه وآله) هو الدليل على صحة ما تلقوه، وعلى عدم وقوع الخطأ منه بعد المرة الأخيرة.

10 . ويبقى هنا سؤال : ما هو مصير الذين ماتوا في زمن النبي (صلى الله عليه وآله)، وهم غير مطمئنين لشيء مما جاءهم به؟!

11 . وهل يصح مع ذلك كله : أن يأمر الله الناس بطاعة الرسول: { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول } ؟. وأن يقول لهم : { ما آتاكم الرسول فخذوه, وما نهاكم عنه فانتهوا } ، وهل يصح قوله تعالى لهم : { وما ينطق عن الهوى } ؟!، إلا أن يكون الله سبحانه هو الذي يخطط لإيقاع الناس في الخطأ!! فهل يصح إطلاق هذا القول؟!

11 . ولا ندري أخيراً كيف أن فعل النبي لم يتحرك في الأجواء التعبيرية عن الفكرة التي عبر عنها القول.. مع أن قول الرسول وفعله وتقريره حجة، وشرع ودين.. وإذا جاز في الفعل ذلك، فلماذا لم يجز في القول أيضاً؟!

583 . لا مشكلة في العصمة الإجبارية.

584 . الثواب للعباد في كل شيئ إنما هو بالتفضل لا بالإستحقاق.

585 . الإستدلال على العصمة بحاجة الى تطوير في مواجهة التحديات.

586 . الإصلاح في العالم قد تتولاه قيادات غير معصومة.

587 . الإستدلال العقلي على العصمة في غير التبليغ ضعيف.

ويقول البعض :

"ونلاحظ أن الشيخ المفيد لم يشرح كيفية بقاء الإختيار مع وجوب العصمة من خلال ما يفعله الله بعبد من عبيده، فتكون النتيجة، أنه لا يؤثر معه معصية له، لأن هذا الأمر الثابت في تكوين الإنسان إما أن يكون مؤثرا في ذات الإنسان بحيث يعصمه من الخطأ في الفكر، والعمل، فلا يكون الخطأ مقدورا له، وإما أن يكون مؤثرا فيه بحيث تبقى له القدرة على الخطأ، فيكون الخطأ جائزا له في ذاته، وتكون العصمة خاضعة للعوامل الأخرى بالإضافة إليه من سلب، أو إيجاب.

إن هذا الأسلوب في الحديث عن إختيارية العصمة مع الإلتزام بأنها ناشئة من فعل الله التكويني بنبيه أو وليه لا يمثل إلا مفهوما ينطلق من الجمع في الدليل بين وجوب العصمة، ولزوم الإختيار، لا من دراسة دقيقة لنوعية الصورة الواقعية للجمع بين الأمرين.

إننا نتساءل ما هو المانع من إختيار الله بعض عباده ليكونوا معصومين باعتبار حاجة الناس إليهم في ذلك، وما هي المشكلة في ذلك إنطلاقا من مصلحة عباده، وإذا كان هناك إشكال من ناحية إستحقاقهم الثواب على أعمالهم اذا لم تكن إختيارية لهم فإن الجواب عليه هو أن الثواب إذا كان بالتفضل في جعل

الحق للإنسان به على الطاعة لا بالإستحقاق الذاتي، فلماذا لا يكون التفضل بشكل مباشر إذاً لا قبح في الثواب على ما لا يكون بالإختيار بل القبح في العقاب على غير المقدور.

ثم.. إننا نلاحظ في أسلوب الإحتجاج للعصمة في كتب المتكلمين، أنه بحاجة الى الكثير من التطوير في مواجهة علامات الإستفهام الكبيرة التي تثيرها التحديات المضادة لا سيما فيما يتصل بالإلتزام العقلي الذي يفرض العصمة في غير حالات التبليغ، فإن الواقع الإصلاحي والتغييري في العالم قد يحصل من خلال قيادات غير معصومة بطريقة، وبأخرى مما يشكل نقطة ضعف على الإستدلال للفكرة، مما يفرض الإتجاه بالإستدلال نحو أساليب أخرى تتصل بالتعمق في طبيعة النبوة أو الإمامة كموقعين رساليين قياديين يختلفان عن أي موقع قيادي آخر، بالمستوى الذي تختلف فيه أوضاعها عن أي وضع آخر، بالإضافة الى عناصر أخرى قد تحتاج الفكرة من خلال المناقشات الجديدة، لأن هذه المسألة لم تعد تتحرك في الدوائر الإسلامية المذهبية التي تفرض مسألة العصمة بشكل كلي لتضعها في نطاق التبليغ في دائرة النبوة"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول :

إن الحديث عن جبرية العصمة، وجعل الثواب بالتفضل للبشرية كلها وفي كل شيئ، ونفي أن يكون للإستحقاق أي دور فيه، إستناداً إلى القول بأن الثواب على غير المقدور غير قبيح، بل القبح إنما هو في العقاب على غير المقدور...

إن هذا الحديث غير مقبو ل، ولا معقول.. وذلك لما يلي:

1 . إن قبح العقاب على غير المقدور، وعدم قبح الثواب عليه، لا ينتج أن يكون الثواب للعباد كلهم وفي كل شيئ بالتفضل لا بالإستحقاق، بل تحتاج المثوبة بالتفضل إلى شرط آخر، وهو أن لايلزم من سلب القدرة محذور آخر، مثل:

الترجيح بلا مرجح، وهو غير وارد في حق الله تعالى.

أو الخروج عن دائرة العدل.

أو أن يصبح أشقى الأشقياء كفرعون . إذا فعل حسنة واحدة . أفضل من أعظم الأنبياء كنبينا محمد (صلى الله عليه وآله).

أو أن يكون على خلاف القاعدة التي رسمها، والسنة التي أجراها الله سبحانه في عباده، حيث جعل المثوبة والعقوبة بالإستحقاق بصورة عامة.

---

(1) المعارج : ص 376 و 377.

وهذه اللوازم كلها، وكذلك ثمة لوازم أخرى فاسدة سوف تكون موجودة هنا إذا كان ثواب العباد كلهم في كل شيئ بالتفضل لا بالإستحقاق.. وسيتضح ذلك في النقاط الثالية:

2 . انه إذا كان الله يجبر الأنبياء على أمور ثم يثيبهم عليها تفضلاً منه مع أنهم لا إختيار لهم فيها، ولا يفعل ذلك بغيرهم من الناس، ولا يتفضل عليهم فيما لا اختيار لهم فيه، بل يطلب منهم بذل جهود جبارة ومقاومة الإغراءات القوية، لكي يثيبهم، فهل هذا من العدل؟!

وهل يصح نسبته الى الله تعالى؟!.

3 . لماذا رجح هؤلاء على غيرهم فقرر عصمتهم التكوينية الجبرية، وأن يثيبهم على الأمر غير المقدور لهم، وجعلهم أنبياء وأئمة، ولم يختر غيرهم لذلك، ولم يعصم غيرهم، ولم يثبهم على مثل ذلك ؟ فهل هذا إلا من قبيل الترجيح بلا مرجح..

4 . قد ذكرنا في كتاب مأساة الزهراء (ج1 ص 60 . 64) أن جبرية العصمة تعني أن يكون أشقى الأشقياء . ابن ملجم، أو فرعون مثلاً . إذا عمل حسنة واحدة في حياته، مهما كانت تلك الحسنة صغيرة، أو امتنع عن سيئة واحده، أفضل من خاتم الأنبياء محمد (ص)، لأنه إنما فعل ذلك بإختياره، وبمجاهدة نفسه، وغرائزه، وشهواته، وأهوائه..

5 . إن هذا الرجل يتحدث كثيرا عن أوضاع سلبية في الفكر، وفي الممارسة للأنبياء، وعن نسيانهم، في الأمور الحياتية الصغيرة، وعن سهوهم في الأمور الحياتية، وعن أن العصمة لا تمنع من الخطأ في تقدير الأمور، وعن نقاط الضعف في حياتهم العملية، وعن أمور كثيرة، وتفاصيل متنوعة لممارسات زعم أنها صدرت، أو يحتمل أن تكون قد صدرت من الأنبياء (عليهم السلام) بعضها يصل الى حد الشرك بالله سبحانه، وقتل نفوس بريئة، وإرتكاب جرائم دينية..

نعم.. إن هذا الرجل يتحدث عن ذلك كله وسواه، مما ذكرنا بعضه في هذا الكتاب في أجزائه السابقة، وفي هذا الجزء وفيما يأتي أيضاً.

ثم يقول لنا: ان العصمة إجبارية.. فهل عجز الله عن إجبار وليه، أو نبيه على ما يريد؟!.. وكيف يمكن أن نلائم بين جبرية العصمة، وبين صدور الأخطاء الصغيرة، أو الكبيرة، المقصودة، وغير المقصودة هنا،و هناك..

أو احتمال الشرك، وجرائم دينية منهم؟

6 . هل استثنى الله سبحانه أنبياءه، و أولياءه من قاعدة : "لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين"؟! وأين الدليل على هذا التخصيص، والاستثناء إلا عجز هذا البعض عن حل بعض الإشكالات السطحية، ومواجهة الشبهات التي يثيرها الآخرون، فما كان منه إلا الإنصياع لها، والقبول بها ثم تلمس المبررات لها بمثل هذه التعليلات الضعيفة.

7 . لا ندري ما هو المبرر للتفريق بين الطاعات، فلا جبر فيها و بين المعاصي، ففيها الجبر.. وهذا هو نفس قول الأشاعرة(1).

فإن من الواضح: أن ترك الطاعة هو الآخر يكون من المعاصي، فالنبي إذن لا يقدر على هذا الترك، فما معنى كونه مختارا في فعل أمر لا يقدر على تركه؟.

8 . إن مقولة البلخي التي إلتزم هذا البعض بها من أن الثواب للبشر جميعاً وفي كل شيئ إنما هو بالتفضل قد رفضها علماؤنا الأبرار رضوان الله عليهم.. والتزموا بأن الثواب إنما هو بالإستحقاق لا بالتفضل، إذ لا يجوز في حكم العقل أن يعطي العاصي ويمنع المطيع، ولو أن المثوبة كانت من باب التفضل لجاز ذلك، وقد ذكرنا الدليل على ذلك، وذكرنا الرد على مقولة البلخي في كتابنا (مأساة الزهراء . ج1، ص63و64 فراجع).

588 . الرسالة الإلهية تجربة واقعية في مستوى التطبيق.

589 . حركة الأنبياء مجرد تجارب عملية.

590 . لا مصلحة في إعطاء الصورة الإنسانية للنبي . ثم إعطائه قدرات مطلقة تمتد من الله في ذاته.

يقو ل البعض:

---

(1) راجع اللوامع الإلهية : ص 169.

وهو يتحدث عن صفة الرسولية في الرسول،و أن دراسة هذه القضية، "من خلال القرآن في ظواهره من حيث يريد للناس أن يفهموه، ويعتقدوه، ويعيشوه، لا سيما في عهد الرسالة الأول في المرحلة التي كان يعيشها النبي مع الناس من أتباعه وخصومه، مما كانت تثير الكثير من المشاكل، والتعقيدات، وعلامات الإستفهام، لأن الوحي كان ينطلق من الفكرة العامة في مستوى النظرية، ومن حركة التجربة الواقعية في مستوى التطبيق، فكان الناس يرون النبي في مضمون الآيات..الخ"(1)

ويتحدث عن الصورة النبوية في الوجدان الإسلامي، فيقول:

"ما هي المصلحة في أن يقدم الله لنا الصورة في ملامحها الإنسانية المنسجمة مع الواقع الإنساني في قدراته المحدودة، وفي تجاربه العملية، في الوقت الذي قد تكون الصورة الحقيقية تنطلق في البعد الإلهي، الذي يمتد في القدرات المطلقة، التي تحلق بعيدا في أجواء الغيب، الذي يقترب من قدرة الله بفارق واحد، وهو ذاتية القدرة في ذاته، وامتدادها منه في ذات النبي..."(2)

وقفة قصيرة :

ونقول:

1 . ماذا يعني تعبير هذا البعض عن حركة الرسالة، التي تحظى بالتوجيه والرعاية الإلهية من خلال

جهد النبي (صلى الله عليه وآله) وتضحياته ومواقفه.. ما معنى التعبير عنها بـ: "التجربة الواقعية في مستوى التطبيق".

وعن حركة النبي الرسالية بـ: "تجاربه العملية".

إنه تعبير غير سليم وله إيحاءاته التي تختزن مفهومي الخطأ، والإصابة، والقصور عن إدراك ما يصلح، وما يفسد.. وتختزن أيضاً جهلاً، وضعفاً.. وما الى ذلك.. مما لا يصح نسبته إلى التوجيه الإلهي والتسديد الرباني الذي ما زالت حركة الأنبياء تعيش آفاقه.

2 ـ لماذا يصر هذا البعض على إظهار محدودية قدرات الأنبياء، وأنها قدرات تقترب، بل هي لا تزيد عن قدرات أي إنسان عادي.

---

(1) المعارج: عدد 28 ـ 31، ص 543.

(2) المصدر السابق: ص 544.

وما هو دليله على: أن الله لم يعط أنبياءه وأولياءه فوق ما أعطى البشر من قدرات، ومن طاقات، وذلك من خلال طاعتهم لله سبحانه، وفقاً لقوله تعالى: { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا } وهو عام مطلق لم يحدد أي سبيل..

كذلك وفقاً للحديث القدسي المأثور الذي أيده هذا البعض، وقد ذكرنا كلامه حوله في الأجزاء السابقة : (عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون).

فطاعة الله إذن ـ حسب اعتراف هذا البعض ـ تضاعف قدرات المطيع لتصل بها الى درجات لم يكن ليتصورها هذا البعض وسواه مع أن هذا المطيع هو واحد من الناس المؤمنين، فكيف بالأنبياء، والأوصياء؟!

3 ـ أي محذور في أن يعطي الله عباده الصالحين قدرات هي فوق قدرات البشر، وإن كانت لا تقترب من قدراته، والفارق هو أنها ممتدة من الله في ذات النبي، وأي محذور في أن يمتد في القدرات المطلقة التي تحلق بعيدا في أجواء الغيب..

فإن كل شيء يعود الى الله، ومنه، وليس في ذلك أي شرك أو غلو، بل هو محض التوحيد، وخالص الإستقامة على جادة المعرفة بالله سبحانه، والتسليم له، واعتباره هو المبدأ، والمنتهى، والأول والآخر، وقد تحدثنا عن ذلك فيما تقدم...

4 ـ إن جهل هذا البعض بالمصلحة لا يعني عدم وجودها، ومن الواضح: أن الله سبحانه لا يستأذنه إذا أراد أن يفعل ذلك، لمصلحة يعلمها هو تعالى ويجهلها هذا البعض، كما يجهل ما هو أهون وأبسط..

الفصل الرابع:

مع أنبياء الله سبحانه

بداية:
قد أشرنا في بعض كلامنا في هذا الكتاب: إلى أن ما نذكره من مقولات جريئة، وإن كان قد تنوع واختلف، ولكنه يتفق على أمر واحد، وهو النظرة العامة لدى هذا البعض الى أنبياء الله سبحانه، والكرامة التي يراها لهم، ومقدار حجمهم صلوات الله وسلامه عليهم عنده.

فهو يتكلم عن أعظم الأنبياء والأوصياء أحيانا . كما يتكلم عن أي إنسان عادي . فاقرأ ما ذكرناه له من أحاديث عنهم في أجزاء هذا الكتاب تجد صحة ما نقول واقرأ حديثه عن علي (عليه السلام)، وعن الأوصياء من بعده (عليهم السلام).. وعن الزهراء (عليها السلام) أيضاً..
ويجد القارئ لهذا الفصل بعضاً من أقاويله هذه، والأمر يعود الى القارئ الكريم في أن يجمع بينها، وبين سائر ما ذكرناه من أقاويله في هذا الجزء، وفي سائر الأجزاء.. فاقرأ معنا ما يلي من مطالب:
591 . إهبطا أنتما وإبليس لفشلكم في الإستقامة على خط أوامر الله ونواهيه.
592 . إهبطا أنتما وإبليس لعصيانكم الله.
593 . أدرك آدم الهول الكبير الذي يواجهه في البعد عن رحمة الله .
594 . أدرك آدم الهول الكبير في الخروج من مواقع القرب لله.
595 . التحول الإنساني لآدم في الإعتراف بالذنب.
596 . التحول الإنساني لآدم في العزم على التصحيح.
597 . التحول الإنساني لآدم في الرجوع الى الله بالعودة الى طاعته.
598 . الأوامر الإرشادية تتصل بمحبة الله لعبده كي لا يقع في قبضة الفساد.
599 . الكلمات التي تلقاها آدم هي: ربنا ظلمنا أنفسنا... الخ.
600 . الحديث المروي يؤكد تفسيره للكلمات المتلقاة ويستبعد أسماء أهل البيت.
601 . آدم وحواء سقطا في التجربة الصعبة.
602 . السقوط في التجربة كان بعد التحذير الإلهي من الشجرة، ومن الشيطان.
ويقول البعض:

" { وقلنا اهبطوا } الى الأرض أنتما وإبليس لعصيانكم الله، وفشلكم في الإستقامة على خط أوامره ونواهيه، { بعضكم لبعض عدو } بفعل الحرب المفتوحة بينكما وذريتكما وبينه، وجنوده، لأنه يستهدف إبعادكم عن رحمة الله، وعن جنته، بينما تعملون على التمرد عليه والخروج من سلطته والسعي الى دخول الجنة والبعد عن النار. { ولكم في الأرض مستقر } أي مقام ثابت لأن الله جعلها قرارا، { ومتاع } تستمتعون فيه في حاجاتكم الوجودية العامة والخاصة، { الى حين } الى الأجل الذي جعله الله لكم في مدة العمر التي حددها لكم في هذه الدنيا.

وهكذا عرف آدم، ومعه زوجته معنى الشيطان في وسوسته، وقسوة التجربة في نتائجها، وأدرك الهول الكبير الذي يواجهه في البعد عن رحمة الله، وفي الخروج من مواقع القرب إليه، ومقامات الروح في رحابه.

آدم يتوب الى الله تعالى:

{ فتلقى آدم من ربه كلمات } ترتفع الى الله من روح خاشعة خاضعة، وقلب نابض بالحسرة، والندم ولسان ينطق بالتوبة، وكيان يرتجف بالتوسل، وذلك بالإلهام الإلهي من خلال الفطرة التي توحي بالمعرفة في علاقة النتائج بالمقدمات، وفي طريقة تغيير الموقف من دائرة السلب الى دائرة الإيجاب، ليكون التحول الإنساني في الإعتراف بالذنب والإستسلام للندم، والعزيمة على التصحيح، والرجوع الى الله بالعودة الى طاعته في ما يكلفه به من مهمات، وفي ما يرشده إليه من إرشادات، لأن أوامر الله الإرشادية تتصل بمحبته لعبده لئلا يقع في قبضة الفساد، كما تتصل أوامره المولوية بحرصه عليه في البقاء في خط الإستقامة، وإبتعاده عن خط الإنحراف الذي يؤدي الى الزلل ويقوده الى الهلاك.

ولكن ما هي هذه الكلمات؟

إن الرجوع الى القصة في سورة الأعراف يوحي بأن آدم الذي انطلق نحو التوبة في عملية تكامل مع حواء، وقف معها ليقولا في توبتهما { ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } {الاعراف:23} ويبدو من خلال هذه الآية، أن التوبة كانت قبل الهبوط الى الأرض، بعد التوبيخ الإلهي والتذكير لهما بأن سقوطهما في التجربة الصعبة لم يحصل من حالة غفلة، لا تعرف الطريق الى الوعي، بل كان حاصلاً بعد التحذير الإلهي من الأكل من الشجرة، ومن الشيطان، بإعتباره عدواً لهما، وذلك قوله تعالى { فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين } {الأعراف: 22}.

ويؤكد هذا التفسير للكلمات الحديث المروي في قوله تعالى { فتلقى آدم من ربه كلمات } { قال: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك

اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم. }
وهذا ما ينسجم مع الآية في أصل الفكرة، ولكنه يختلف عنها في التفاصيل"(1).
وقفة قصيرة:
ونقول:
1 . قد تحدثنا في الجزأين السابقين بما فيه الكفاية عن قصة آدم، ولأجل ذلك، فإننا سوف نصرف النظر عن الإعادة ولعل نفس العناوين التي استخرجناها من طيات كلام هذا البعض توضح لنا مدى جرأته على انبياء الله وأوليائه.
2 . قد أشرنا حين الحديث عن تفسيره لقوله تعالى: (عفا الله عنك لم أذنت لهم..) وذلك في الفصل الآتي بعنوان: . النبي (ص) وعلي (عليه السلام) . الى أن مخالفة الأولى لا تقبل في حق الأنبياء، بأي وجه لأنها تنتهي الى الطعن بهم، أو الطعن في عظمة الله وجلاله، جل وعز..

---

(1) من وحي القرآن: ط ج . ج1 ص 250 . .252

3 . إننا لم نستطع أن نفهم السبب في استبعاده أسماء اهل البيت (عليهم السلام) وحصره بالكلمات التي تلقاها آدم من ربه في خصوص هذا الدعاء، فإن التجاء الإنسان الى الله، والإعتراف أمامه بالقصور، وبالتقصير، وطلب العون والستر والمغفرة، لا يحتاج الى التلقي من الله سبحانه، والى التعليم، إذ ان ذلك هو ما تسوق إليه طبيعة الإنسان الذي يعرف الله، ويقف أمام جلاله، وعظمته، مدركاً عجزه في مقابل قدرته، وضعفه في مقابل قوته، وفقره، وحاجته في مقابل غناه، و... فكان من الطبيعي أن يدعو آدم ربه، وقد نقلت الروايات لنا ذلك.
ثم تفضل الله عليه بتعليمه اسماء أهل البيت (عليهم السلام) ليكونوا شفعاءه ووسيلته.
ولماذا يستبعد الروايات التي تحدثت عن أن الكلمات هي محمد، وفاطمة، وعلي، والحسنان.. فإن بإمكانه أن يجمع بين الروايات باعتبار أن دعاءه عليه السلام قد اشتمل على الأمرين معاً.
4 . من قال: إن هبوط آدم وحواء من الجنة كان قد جاء على سبيل العقوبة لهما.. فلعله قد جاء من خلال: أن الحالة التي استجدت لهما بسبب الأكل من الشجرة، من خلال تبلور الطبيعة البشرية بما لها من عوارض في شخصيتهما حيث أصبحا يشعران بالحر والبرد، وبالقوة والضعف، وبالصحة والمرض، وبالجوع والشبع، وبالري والعطش.
وأصبح الواحد منهم يعرق، ويبول، ويتغوط، وينام الى غير ذلك من حالات تعرض للبشر العاديين.
فلم يعد يمكنهما البقاء في الجنة من أجل ذلك فكان لا بد من التوجيه الإلهي لهما بإختيار المكان المناسب، دون أن يكون ذلك إبعاداً لهما عن ساحة الرحمة والقرب، والزلفى.

أما إبليس، فإن خروجه كان عقوبة له.. فإن طبيعة كينونته، وتكوينه لا تقتضي أن يحصل له ما كان يحصل لآدم من العطش والجوع والحر والبرد والمرض وما إلى ذلك. فإذا طرد من الجنة، فإن طرده يمثل إبعاداً عن ساحة القرب والزلفى والرحمة الإلهية، وحرمانا من مقام الكرامة الربانية.

5 . وقد روي عن الإمام الصادق(ع) أو الإمام الباقر(ع) قوله عن آدم(ع): (أنه لم ينس وكيف ينسى وهو يذكره، ويقول له إبليس: { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين })(1).

وذلك يفيد، أن المراد من قوله تعالى: { ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً } . إن كانت الآية تتحدث عما جرى بين آدم وإبليس . نعم ان المراد بالنسيان هو أنه قد عمل عمل الناسي، بأن ترك الأمر وانصرف عنه، كما يترك الناسي الأمر الذي يطلب منه.

لكن الظاهر هو: أن آدم(ع) لم ينس نهي الله عن الشجرة، حيث قد روي عن الإمام الصادق(ع) ما يدل على أن نسيان العهد في هذه الآية لا يرتبط بالنهي عن الشجرة، بل هو يرتبط فيما أخذ عليه في الميثاق.. وللبحث في هذه الآية مجال آخر.

6 . وقد ذكرنا أن ما فعله آدم لم يكن تمرداً على إرادة الله ولا كسراً لهيبته، بل ما فعله آدم(ع) يشبه مخالفة المريض لأمر الطبيب الذي نهاه مثلاً عن المشي لمدة ساعة وأعطاه دواء، فظن المريض أن الدواء يقوم بمهمة المشي ويؤدي وظيفته، لكن المشي ساعة هو الأسرع في تحقيق الغرض من الدواء الذي يحتاج إلى عشرة أيام، فآثر المريض أن يتحمل مشقة المشي ليحقق غرض الطبيب وليفرح بالشفاء العاجل. وإذ بالنتيجة تكون عكسية حيث يظهر للمريض أن المشي ليس هو الدواء بل هو سبب الداء. فيصح القول بأنه عصى أمر الطبيب، وإن لم يكن الطبيب سيداً له ولا نشأ من موقع السيادة، بل من موقع الإرشاد والنصيحة، ولا تستحق مخالفة النصيحة، ولا مخالفة أمره أية عقوبة.

---

(1) البحار ج11 ص187 عن العياشي وتفسير البرهان ج2 ص6.

7 . إن إقدام آدم(ع) على الأكل من الشجرة، وكل ما جرى له عليه السلام، قد جاء ليثبت أهلية آدم(ع) للنبوة، وامتلاكه للمواصفات التي تحتاجها في أعلى درجاتها، تماماً كما حصل لموسى(ع) مع الخضر(ع). إذ أن ما كان يطمح إليه آدم(ع) ويطمع به لم يكن أمراً دنيوياً، ولذة عاجلة، كالسلطة، والمال، والجاه، والنساء، والمأكل، والملبس، وما إلى ذلك، بل كان طموحه منسجماً مع شخصيته الإيمانية والنبوية، وهو أن يعيش مع الله سبحانه وتعالى، وأن يكون خالصاً له. وأن يستأصل من داخله حتى ميوله وغرائزه الذاتية التي من شأنها أن تشده إلى أمور أخرى، ليصبح تماماً كما هو الملاك الذي

يكون الخير طبيعته وسجيته، ولا يحمل في داخله أي شهوة أو غريزة يمكن أن يكون لها أدنى أثر في صرفه عن وجهته، أو أدنى أثر في وهن عزيمته.
كما أنه حين أراد الحصول على ملك لا يبلى، فإنه لم يرده حباً في الدنيا وإيثاراً لها.. وإنما ليكون قوة له في طاعة الله سبحانه، ووسيلة لإقامة العدل المحبوب لله فيما استخلفه سبحانه وتعالى فيه.
أضف إلى ذلك أن طموح آدم (ع) وسعيه هو أن يبقى يعيش مع الله، وأن يكون عمره مديداً ومديداً جداً يصرفه كله في عبادته سبحانه، وفي رضاه، فهو لا يريد الخلود لأجل الدنيا، أو استجابة لشهوة وحب البقاء..
نعم هذه هي أهداف وطموحات آدم(ع) النبي العاقل والحكيم، وهذا هو كل همّه، وغاية سعيه، ولو أنه لم يرد ذلك، لكان فيه نقص، ولما استحق مقام النبوة، لأنه بذلك يريد أن يبقى بعيداً عن الله، مستجيباً لغرائزه وشهواته..
وفوق ذلك كله، فإنه إذا كان قادراً على التصرف في الأمور وكان ملكاً فإنه سيكون قادراً على التقلّب في طاعة الله في مختلف الحالات، وينال بذلك أعظم مواقع القرب والزلفى منه تعالى.

ولأجل ذلك نجد أن إبليس اللعين قد ضرب على هذا الوتر الحساس بالذات، حين قال لهما وهما لا يريانه . كما روي عن الإمام العسكري عليه السلام . أو على الأقل لا دليل على رؤيتهم له ولا على معرفتهم به(1).
نعم، لقد ضرب إبليس اللعين على هذا الوتر فقال: { هل أدلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى } .
وقال لهما أيضاً: { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين } (2)، فوعدهما بثلاثة أمور هي: الملك الباقي.. والخلود ونيلهما صفة الملائكية.
ولعل هذا الذي ذكرناه هو السر في أن إبليس لم يتحدّث لحواء وآدم(ع) عن الملذات التي يندفع إليهما الإنسان بدافع غريزي أو شهواني، كالطعام والشراب والنكاح وما إلى ذلك. بل تحدث لهما عن الملك الذي لا يبلى، وعن الحصول على صفة الملائكية وعن الخلود في كنف الله سبحانه وتعالى.
8 . إن من يراجع الآيات يجد: أن الله سبحانه حين نهاهما عن الاقتراب من الشجرة لم يقل لهما إني أعذبكما عذاباً أليماً، أو فتكونا من العاصين، ليكون في ذلك إشارة إلى أن في الاقتراب منها هتكاً لحرمة المولى، وجرأة على مقامه وتعدّياً عليه وتمرداً على إرادته، وكسراً للهيبة الإلهية، بل قال لهما: { فتكونا من الظالمين } وهو تعبير يمكن فهمه على أن المقصود منه صورة ما لو كان الظلم للنفس، ولو بأن يحملها فوق ما تطيقه، بحسب العادة، كأن يحملها خمسين كيلو بدلاً من عشر كيلوات مثلاً وهذا بطبيعة الحال سيرهقها ويشق عليها، ويتعبها.

---

(1) وقد يحجب الله سبحانه عن آدم(ع) معرفته بمن يخاطبه حين يخاطبه من رواء الحجاب، وذلك لكي يظهر آدم(ع) على حقيقته السامية التي استحق بها مقام النبوة، تماماً كما كان الحال بالنسبة لموسى(ع) مع الخضر(ع) حسبما أشرنا إليه، إذ قد كان يمكن أن يعرّف الله نبيه موسى(ع) بالكنز الذي تحت الجدار، وبالملك الغاصب للسفن، وبحقيقة معاملة ذلك الشاب مع أبويه.
(2) سورة الأعراف الآية: 20.

ويمكن فهمه أيضاً في صورة الظلم للناس والمعنى الأول هو الذي أراده الله سبحانه حين خاطب آدم عليه السلام بهذه الكلمة.
فلا يلام آدم(ع) إذن إذا حمله على معنى ظلم النفس، بإرهاقها في أمر تكون نتيجة المعاناة فيه محققة لا محالة لآماله وطموحاته. كنبي. وهي التخلص من كل الغرائز والدواعي التي قد يجد فيها عائقاً عن الوصول إلى الله، ثم الخلود على صفة الملائكية في طاعته وعبادته سبحانه، لا الخلود من حيث هو شهوة بقاء فقط خصوصاً إذا حصل على القدرات، والملك الذي لا يبلى الذي من شأنه أن يوصله إلى الطاعات بصورة أيسر وأكبر وأكثر.. وإلى الأبد، وليس إلى مدة محدودة.
9. ثم إن الله سبحانه قد قال لآدم وزوجه: { لا تقربا هذه الشجرة } و { ألم أنهكما عن تلكما الشجرة } فكلمة هذه وتلكما.. تشيران إلى أن ثمة عناية إلهية في بيان أن المنهي عنه أمر محدود وخاص وجزئي بعينه، ولم يتعلق النهي بالطبيعة الكلية، ولا كان الحكم الصادر من قبيل الأحكام الشرعية العامة.
ولأجل ذلك ورد في الحديث الشريف عن الرضا(ع) أنه قال للمأمون: ({ ولا تقربا هذه الشجرة } واشار لهما إلى شجرة الحنطة { فتكونا من الظالمين } ، ولم يقل لهما: لا تقربا هذه الشجرة ولا ما كان من جنسها، ولم يقربا تلك الشجرة، وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة، وإنما نهاكما عن أن تقربا غيرها، ولم ينهاكما عن الأكل منها إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما من الناصحين، ولم يكن آدم وحواء شاهدا من قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، فدلاهما بغرور فأكلا منها ثقة بيمينه بالله)(1).

والنتيجة هي:
أولاً: فالشجرة المنهي عنها هي شجرة مخصوصة ومحددة، ولم ينههما عن جنسها، وهما إنما أكلا من غير التي حددت لهما.

---

(1) البرهان في تفسير القرآن ج3 ص46 وج1 ص83، والبحار ج11 ص64 عن عيون أخبار الرضا(ع) ص108 و 901.

ثانياً: وجود القسم ـ كما سنرى.
ثالثاً: وجود التعليل الذي ينسجم مع طموح آدم كنبي، كإنسان كامل.
10 ـ لقد كان الله سبحانه قد أعطاهما حياة تناسب الجنة، وتحمل الخصائص التي تحقق السعادة الواقعية { فكلا منها رغداً حيث شئتما } . ومن الواضح: أن الإنسان المتوازن والمدرك والعاقل، الذي هو في مستوى نبي، ويليق بأن يكون اباً للبشرية ويكون النموذج للكمال البشري، حين جعله الله في الجنة فإنه أهله بما يناسب الجنة من حالات وخصائص ومواصفات ولكنه حين أكل هو وزوجه من الشجرة ظهرت صفاتهما البشرية وغيّر من حالهما بصورة أساسية ما فاجأهما، حيث صارا يحسان بالجوع وبالعطش وبالصحة، وبالمرض والخوف والحزن والتعب والحرّ والبرد، واحتاجا إلى النكاح وغير ذلك، مع أن الله سبحانه حين أسكن آدم عليه السلام في الجنة قال له: { إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى } فهذه الآية الشريفة لا تريد حصر الوعد الإلهي بهذه الأربعة، بل هي تشمل كل ما هو من هذا السنخ، حتى الصحة والمرض والخوف والحزن و.. الخ، ولعل هذه الأربعة قد خصصت بالذكر.. لتكون مثالاً، أو لتكون هي الأصول التي ينشأ عنها كل ما يدخل في هذا السياق فإن الله حين يتعهد بأن يمنع عن الإنسان حتى ما يضايقه من حر الشمس، فهل يرضى له بالحزن والخوف والمرض.. وما إلى ذلك؟!!
فلم تعد الجنة هي المكان المناسب لحياتهما. فكان لا بد لهما من الهبوط إلى مكان آخر يناسب الجسد، وحالاته، حيث أضحى بحاجة إلى ما يسد الجوع ويشفي من المرض، ويرفع العطش، ويقي من الحر والبرد، ويؤمن من الخوف، ويدفع أسباب الحزن والتعب، وما إلى ذلك.
ولعل بعض الروايات قد قصدت هذا المعنى حيث أشارت إلى أمر الخلقة وتحولاتها، فقد روي عن الإمام الصادق(ع) قوله:

(فلما اسكنه الله الجنة، وأتى جهالة إلى الشجرة، أخرجه الله، لأنه خلق خلقة، لا يبقى إلا بالأمر والنهي، والغذاء، واللباس، والا.. والنكاح ولا يدرك ما ينفعه مما يضرّه إلا بالتوفيق من الله..)(1) ثم تذكر الرواية تفاصيل ما جرى له مع إبليس..
وفي نص آخر عن أبي جعفر، عن رسول الله (ص): أن آدم عليه السلام قال مخاطباً ربّه:
(وبدت لنا عوراتنا، واضطرنا ذنبنا إلى حرث الدنيا، ومطعمها، ومشربها)(2).
وعن الإمام الصادق(ع): (لما هبط بآدم(ع) إلى الأرض احتاج إلى الطعام والشراب، فشكا إلى جبرئيل إلخ)(3).
فتجد أن هذه الروايات تشير إلى أن أكلهما من الشجرة هو الذي اضطرهما إلى الطعام والشراب واللباس.. وأيقظ غرائزهما، فاحتاجا إلى النكاح..

وربما يكون في قوله تعالى: { ينزع عنهما لباسهما } إشارة أخرى إلى ذلك أيضاً.

11 . وأما بالنسبة لمعنى توبتهما التي تحدث عنها الكتاب الكريم، فلعلنا لا نبعد إذا قلنا: إن المقصود بها هو عودتهما إلى الله سبحانه بعد أن أحسّا أنهما الآن بأمس الحاجة إلى عونه، وإلى تدبيره فالتجأا إلى الله، وعادا إليه يطلبان منه أن يعود عليهما بإحسانه وفضله، وعونه في مواجهة هذه المشكلات الجديدة، ورفع تلك الحاجات، وخشعا إليه وخضعا، وابتهلا، فاستجاب لهما لأنه هو مصدر اللطف والرزق والشفاء وستر جميع النواقص، وسد سائر الثغرات.

ومن مظاهر هذه الاستجابة ما تجلى في قوله تعالى: { يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير } (4).

فهي إذن ليست على حد توبة العصاة والمتمردين، بل هي بمعنى الالتجاء من موقع الإحساس العميق بالحاجة إلى اللطف والعون.

---

(1) راجع تفسير القمي ج1 ص43، وتفسير البرهان ج1 ص80 وج2 ص80 وج2 ص6، والبحار ج11 ص161.

(2) تفسير البرهان ج1 ص84، والبحار ج11 ص183 عن تفسير العياشي.

(3) البحار ج11 ص217 عن الكافي.

(4) سورة الأعراف الآية 26.

12 . وبعد أن اتضح لزوم أن يبادر آدم عليه السلام إلى الأكل من سنخ الشجرة، وفقاً للمعطيات التي توفرت لديه.. فإنه يبقى سؤال آخر يلح بطلب الإجابة، وهو: أن الله قد حذره من إبليس، ومن أن يخرجه من الجنة. فكيف قبل منه قوله..

ونقول في الجواب:

أولاً: إننا نجد في الروايات، ما يدل على أن آدم وحواء عليهما السلام لم يعرفا أن مخاطبهما هو إبليس، لأن إبليس كان قد خاطبهما من بين لحييّ حيّة وكان آدم(ع) وحواء يظنان أن الحية هي التي تخاطبه، وأن إبليس قال لهما: إن الله قد أحل لهما تلك الشجرة بعد تحريمها عليهما، لما عرف سبحانه من حسن طاعتهما، وتوقيرهما إياه. وجعل لهما علامة على صحة قوله: إن الملائكة الموكلين بالشجرة لا يدفعونهما عنها كما يدفعون غيرهم عنها. ولم تدفعهما الملائكة عنها لأنهم كانوا موكلين بدفع من لا يملك اختياراً وعقلاً(1). فإذا صحت هذه الرواية فلا يبقى إشكال في القضية بمجملها.

ويلاحظ هنا: أنه تعالى قد قال لهما: { إن هذا عدو لك ولزوجك } فحدّد له العدو، وأراه إياه، وجسّده له. ولم يقل له: إن إبليس عدو له. فلما تخفّى عنه، فإن آدم(ع) لم يخاطب الذي أخبره الله بعداوته، بل

خاطب مخلوقاً آخر هو الحية.

---

(1) تفسير الإمام العسكري ص 222 و223 وتفسير البرهان ج1 ص80، والبحار ج11 ص190 و191 وراجع: تعليق العلامة المجلسي ص193 ومستدرك الوسائل ج2 ص 286 ح607.

وربما يؤيد ذلك: أن الله سبحانه وتعالى قال: فوسوس إليه الشيطان، قال: يا آدم.. الخ، فإن الآية تشير إلى وجود التفاف وتمويه في اسلوب التعاطي، ليصبح التعبير بالوسوسة التي تعني إلقاء الكلام من طرف خفي.. وليس الخفاء إلا في إخفاء إبليس لنفسه عنه بطريقة أو بأخرى.. ليصبح كلامه معه، وكأنه لا يحس بأن أحداً يدفعه إلى الأكل من الشجرة، فإن الحية بحسب الظاهر قد أخبرته بأن في هذه الشجرة ثلاثة خصوصيات، ولم تطلب من آدم(ع) أن يأكل منها بصراحة. وقد جاءت هذه الخصوصيات بحسب نتيجة التحليل الذي انطلق منه آدم عليه السلام من موقع إيثاره رضى الله سبحانه، وشوقه إلى مقامات القرب منه حسبما أوضحناه. جاءت لتمثل العناصر التي ارتكز إليها قرار آدم عليه السلام بالأكل من سنخ الشجرة المنهي عنها.

وثانياً: يقول الله عزوجل عن إبليس: { وقاسمهما إني لكم من الناصحين } وقد صرحت روايات عديدة عن الأئمة عليهم السلام، بأن آدم عليه السلام إنما تقبل قول إبليس لأنه أقسم له، قال آدم(عليه السلام): إن إبليس حلف بالله أنه لي ناصح، (فما ظننت أن أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً) وهذا المعنى قد ورد في عدة روايات(1).

ولعل السر في ذلك هو: أن الحلف بالله معناه إيكال الأمر إلى الله، وجعله في عهدته، والقبول بأن يكون سبحانه هو المتولي للتوفيق للصادق، ولإنزال العقوبة بالكاذب والتعويض على من يلحقه الضرر نتيجة ذلك..

---

(1) تفسير البرهان ج1 ص81 و83، وراجع تفسير القمي ج1 ص44 والبحار ج11 ص161 و163 و188 و206 و164، وعيون أخبار الرضا ص108 و109 وعلل الشرائع ص148 وعن الكافي (الفروع) ج1 ص215.

وقد جاء التعبير بـ: { قاسمهما } ربما ليشير بذلك من خلال إيراده بصيغة المفاعلة إلى مشاركة من قبل آدم (عليه السلام) وحواء في الوصول إلى هذا القسم ولو عن طريق اشتراطهما للعمل بالنصيحة أن يقسم لهما على صدقه وصحة ما يقول.. في محاولة منهما لإلجائه إلى جعل الأمر بين يدي الله سبحانه، والقبول بتحمل كامل المسؤولية أمام العزة الإلهية القادرة على ملاحقة المجرم في صورة ظهور

زيف ما جاء به..

13 . وعن دخول إبليس إلى الجنة فعلاً، قد يرجح بعض الأعلام، أن لا يكون إبليس ممنوعاً من الاقتراب منها فاقترب منها وبقي في خارجها، وألقى الكلام إلى آدم(ع) وهو في داخلها قرب الباب، فلما كان منه في حق آدم(ع) ما كان، أهبطه الله عن هذا المقام، وحرمه من الإقتراب من الجنة عقوبة له. كما أنه قد أهبط آدم(ع) وزوجه منها، لكن لا على سبيل العقوبة لهما، وإنما بسبب عدم ملائمة حالهما لها بعد أن ابتليا بما ابتليا به، من ظهور حالات البشر في طبيعة التكوين، حسبما أوضحناه.

كما أن هناك من يقول: إن آدم(ع) كان في جنة من جنان الدنيا، ولعلها هي المكان الذي تكون فيه أرواح المؤمنين، ولم يكن دخولها حتى ذلك الوقت ممنوعاً على إبليس، فلما كان منه ما كان في حق آدم عليه السلام حرمه الله سبحانه حتى من دخول جنان الدنيا.

14 . ويتضح من جميع ما ذكرناه هنا وفي الجزأين الأول والثاني من هذا الكتاب أن تفسير الآيات التي تحدثت عما جرى لآدم عليه السلام لا يفرض نسبة المعصية الحقيقة إليه.. وأن ثمة إشارات في الروايات وفي الآيات نفسها إلى وجوه من التفسير الصحيح، والمنسجم مع قداسة هذا النبي الكريم ومع الضوابط العقلية والإيمانية.. فلماذا الإصرار إذن على نسبة النقائص له صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وآله؟!

603 . جو النبي قد يعيش نوعا من الإهتزاز والضعف فلا يؤثر كثيراً في عائلته.

604 . ضغط الدعوة قد يشغل النبي في بيته.

605 . قد ينغلق النبي عن أهله.

606 . المجتمع المنحرف قد يأخذ من النبي أهله دون مقاومة، لأن مقاومته كانت متجهة للمجتمع الكبير.

607 . المرأة تدخل الإنحراف الى بيت النبي، بحيث تحاصر النبي.

608 . قد تملك الزوجة فعاليات لا يستطيع النبي أن ينقذ نفسه منها.

609 . الفرق بين إسماعيل، وإبن نوح أن إبراهيم عزل إبنه عن ضغط البيئة.

610 . اسماعيل عاش في بيئة لا يضغط عليها الإنحراف لأن أمه كانت صالحة.

611 . فساد وصلاح البيئة مكن من حماية التجربة في اسماعيل ومنع من ذلك في ابن نوح.

سئل البعض:

في قبال صورة إبراهيم واسماعيل طرح القرآن صورة نوح وابنه، هناك دعوة للذبح، وهنا دعوة للنجاة... هناك إمتثال وطاعة، وهنا رفض وتمرد.. ماذا نستوحي من ذلك؟..

فأجاب:

"إن أبناء الأنبياء والأوصياء والعلماء هم بشر كبقية البشر يتأثرون بالأجواء الإيجابية كما يتأثرون بالأجواء السلبية.. وقد يعيشون في ساحة الصراع عندما تتدافع العوامل الإيجابية والسلبية لتكسب هذا الإنسان أو ذاك، بحيث يعيش في صراع داخلي من خلال الصراع الخارجي بما فيه من مؤثرات وإيحاءات، وعلى هذا الأساس فليس من الضروري أن يكون إبن النبي صالحاً، أو أن يكون ابن الوصي أو العالم أو المجاهد مثله، لأن الأب يمثل جزءاً من البيئة وهو واحد من العوامل الكثيرة التي تؤثر في شخصيته، وقد يعيش جو الأب نوعاً من الإهتزاز، والضعف الذي قد لا يستطيع فيه أن يترك التأثير الكبير على عائلته بفعل العوامل المضادة الأخرى أو بفعل الضغط على مواقع حركته، إنها قد تكون مشكلة الكثيرين من الدعاة سواء كانوا أنبياء أو أوصياء أو علماء و ذلك أن ضغط الدعوة في تعقيداتها وتحدياتها ومشاكلها قد يشغل الإنسان عن بيته بحيث يعيش منفتحاً على العالم ومنغلقاً عن أهله من خلال طبيعة ما يفرضه هذا الإنفتاح من إبتعاد عن مواقعه الذاتية باعتبار أن أهله يمثلون أحد هذه المواقع.

ومما يجدر بالذكر أن المجتمع المنحرف قد يأخذ من النبي أهله دون مقاومة على اعتبار أن مسألة المقاومة كانت موجهة للمجتمع الكبير، وربما تكون المسألة أن القوى المضادة تملك من القوى المادية والتحدي ما لا تستطيع العناصر الرسالية أن تصمد أمامها بفعل الظروف الطبيعية الطارئة بحيث لا يصمد الرسول في حركه أمام هذه القوى الكبيرة لأن الرسول، أي رسول كان، لا يملك كل الوسائل، وإنما يملك بعض الوسائل المنطلقة من معطيات قدراته الذاتية فعالم الرسالة ليس هو عالم الغيب، وإنما عالم القدرة البشرية التي يطل الغيب عليها في بعض مواقعها الى حد معين، وقد لا يطل عليها بالكامل بالمعنى الحركي لهذه الإطلالة.

وفي هذا الجو يتحول المجتمع الى قوة ضاغطة حتى على بيت النبي أو بيت الوصي أو بيت العالم، على اعتبار أنه يملك من عناصر الضغط ما يستطيع معه أن يجتذب جوانب الإنحراف لدى هؤلاء بالمستوى الذي يمكن أن يهزم فيه الحركة الرسالية، وقد يبتلى بعض الأنبياء أو العلماء أو الأولياء بزوجات تقف في الموقف المضاد من حركة الرسالة بحيث أنها تقف ضد حركة النبي، وهذا ما حدثنا القرآن عنه بالنسبة لإمرأة نوح وإمرأة لوط : { ضرب الله مثلاً للذين كفروا إمرأة نوح وإمرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين } {التحريم:10}.

إننا نستطيع أن نستوحي من ذلك ان الخيانة ليست خيانة العرض في الجانب الجنسي، ولكن الخيانة خيانة الرسالة، وخيانة الأمانة الرسالية .

ومن الطبيعي أن مثل هذا يترك تأثيراً سلبياً على أولاد الأنبياء، أو أولاد الأوصياء أو أولاد العلماء، وأن للأم تأثيرها الكبير إذا كانت خاضعة في أفكارها، وسلوكها للتيار الكافر المنحرف المضاد حيث إنها تدخل كل التيار الى بيتها على نحو يجد النبي فيه نفسه محاصراً كما أنه محاصر في مجتمعه لأنه لا يستطيع أن يحمي بيته على أساس أن امرأته جزء من هذا البيت، وقد تملك من الفعاليات ما لا يستطيع أن ينقذ نفسه منها.

كما اننا لا نجد إشارة في القرآن الى تاريخ إبن نوح لكننا نلاحظ أن أباه خاطبه أن يركب معه، وأن لا يكون من الخاسرين: { إركب معنا ولا تكن مع الكافرين } {هود: 42}.

ولكنه لم يستجب لوالده: { قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء } {هود: 43}، فأجابه نوح الذي فقد الأمل في تلك اللحظة: { لا عاصم اليوم من أمر الله } {هود: 43}، وعندما نادى ربه فإنه لم يناد ربه معترضاً، ولكنه كان متسائلاً لأن الله سبحانه وعده بأن ينجي إبنه: { قال: رب إن إبني من أهلي وإن وعدك الحق قال: يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح } {هود: 46}.

وهكذا نستطيع أن نربط قرآنياً بين إمرأة نوح، وابن نوح فنجد أنه كان خاضعاً لتأثيرات تربية أمه أكثر من خضوعه لأبيه لقربه أكثر منها وتعلقه بمجتمعها.

وبهذا نستطيع أن نفهم الفرق بين مسألة اسماعيل وبين مسألة إبن نوح من أن اسماعيل عاش في بيئة استطاع إبراهيم أن يعزل فيها الولد عن ضغطها، بحيث عاش في بيئة لا يضغط عليها الإنحراف بقوة في الوقت الذي كانت أمه صالحة ايضاً، وبذلك أمكن حماية التجربة هنا، ولم يمكن حماية التجربة هناك"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

قد ذكر هذا البعض: "أن دور البيئة في صنع شخصية إبن نوح كان قوياً الى درجة يعجز النبي نوح عن مواجهة تأثيراتها، حتى كانت النتيجة هي الهلاك والبوار لولده.."

---

(1) المعارج: ص 610 . 612.

وذكر هذا البعض أيضاً أن ضغط الدعوة على النبي والوصي والعالم في تعقيداتها وتحدياتها ومشاكلها قد يشغل الإنسان عن بيته، بحيث يعيش منفتحاً على العالم ومنغلقاً عن أهله.. وان المجتمع المنحرف قد يأخذ من النبي أهله دون مقاومة، بإعتبار أن مسألة المقاومة كانت موجهة للمجتمع الكبير.

ثم مثل لذلك بإمرأة نوح، وإمرأة لوط، وبإبن نوح، الذي تأثر بتربية أمه أكثر من خضوعه لأبيه، لقربه منها أكثر من قربه من أبيه..

ونقول له:
إن كلامه هذا يعطينا كل الحق في أن نرفض ما قاله في حق الزهراء (عليها السلام) من أنه لا يجد فيها، ولا في أمها خديجة الكبرى، وإبنتها زينب _ لا يجد . خصوصية إلا الظروف الطبيعية التي كفلت لهن إمكانيات النمو الروحي والعقلي، والإلتزام العملي بالمستوى الذي تتوازن فيه عناصر الشخصية طبيعي في مسألة النمو الذاتي، ولا نستطيع إطلاق الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادي، لأن ذلك لا يخضع لأي إثبات قطعي.
وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل في الجزء الأول من هذا الكتاب ص 167 . 171 فراجع.
وكلامه هنا يثبت صحة ما فهمناه من كلامه، وأنه لا يرى للزهراء عصمة، إلا بمقدار ما حققته ظروفها الطبيعية لها، بحيث أنها لولا تلك الظروف لكان سبيلها سبيل ابن نوح، وغيره من الجناة والعصاة.
2 . إن بيت النبي والوصي يعتبر جزءاً من المجتمع الذي بعث لهدايته ورعايته، وتربيته، وإقامة الحجة عليه.
فلا معنى لأن ينغلق عنه . على حد تعبير هذا البعض . ولا لأن يشغله المجتمع الكبير عن الصغير..

كما أن على النبي المبعوث أن يقاوم الإنحراف أينما كان، وحيثما وجد، فلا معنى لأن يوجه مقاومته الى جهة، ويترك جهة أخرى، وإلا لكان مقصراً . والعياذ بالله . في اداء مهماته الرسالية، أو غير قادر على القيام بها، فلا مبرر لبعثته، بل اللازم هو بعث سواه، أو إرسال رسول آخر معه ليعينه، كما كان الحال بالنسبة لهارون وموسى (عليهما السلام) وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام..
إن هذا البعض يقيس الأنبياء على الناس العاديين، سواء أكانوا علماء أو غير علماء، فيصفهم بأوصافهم فالحق الذي لا محيص عنه هو أن امرأة نوح ولوط (عليهما السلام) وكذلك إبن نوح (عليه السلام) كانوا غير مستعدين للهداية ولا للصلاح، ولا شك في أن نوحاً ولوطاً قد بذلا مختلف المحاولات في سبيل هدايتهم وإصلاحهم، ولكن قد ران على قلوب أولئك الكفرة ما كانوا يكسبون، وغرتهم الحياة الدنيا، وراقهم زبرجها .
3 . والغريب في الأمر مقارنته اسماعيل (عليه السلام) بإبن نوح، حيث استطاع إبراهيم (عليه السلام) أن يعزل ولده عن الضغط لقوى الإنحراف في البيئة التي عاش فيها، مع كون أمه صالحة أيضاً، وبذلك أمكن حماية التجربة هنا، ولم يمكن حماية التجربة هناك، على حد تعبيره..
مما يعني أنه لو كانت أم إسماعيل غير صالحة لما أمكن حماية التجربة، ولكان اسماعيل قد اتخذ سبيل الكفر والإنحراف . والعياذ بالله . كما فعل إبن نوح.
وهذا ما يؤكد طبيعة ما كان يرمي إليه هذا البعض حين تحدث عن أنه ليس في الزهراء أي خصوصية إلا الظروف الطبيعية التي كفلت لها إمكانات النمو الروحي والعقلي والإلتزام العملي.. وأنه ليس فيها أي

عنصر غيبي مميز يخرجها عن مستوى المرأة العادي..

4 . إننا لا نوافق على اعتباره ما يقوم به الأنبياء من واجبات، وتكاليف حتى في مجال التربية مجرد تجارب تخطئ وتصيب، بل هي إنجازات جاءت وفق التكليف الإلهي الشرعي الصائب لكبد الحقيقة، دون أي تقصير أو ضعف في ذلك..

وقد أشرنا الى هذا الأمر أكثر من مرة في نظائر المقام.

5 . ما الدليل على ان امرأة نوح قد حاصرت النبي في فعالياتها فإن التصويرات التي قدمها عن بيت نوح، وعن فعاليات زوجته، ومحاصرتها له.. وغير ذلك، ما هي إلا رجم بالغيب، لم يقدم عليها أي دليل مهما كان ضعيفاً وهزيلاً.. مع أنه يشترط في أحداث التاريخ الدليل المفيد لليقين كأن يكون متواتراً، ولا يكفي مطلق ما هو حجة حسب زعمه..

وكذلك الحال فيما ذكره بالنسبة الى إسماعيل عليه السلام، فقد أشرنا الى عدم مقبوليته أو معقوليته..

كما أن عليه . حسب ما قرره هو . أن يأتي بالدليل القاطع عليه.. وأين ذلك عنه، وأنى له...

612 . أنا أقول: إن آدم ساذج.

613 . أنا لا أقول: إن إبراهيم ساذج.

614 . قلنا: إن آدم لم يكن عنده تجربة .

سئل البعض:

نريد منكم توضيحاً من أجل أن نطمئن، فالعلم حاصل والحمد لله، ولكننا نريد توضيحاً للبعض، والأمور التي نأمل توضيحها، والتي ينسبونها إليكم: أن إبراهيم ساذج؟

فأجاب:

"أنا أصحح، إنا نقول: إن آدم ساذج، وليس إبراهيم، ولكن هم يقولون إني قلت: إن إبراهيم كان كافرا في بداية حياته، وأما عن آدم كان ساذجاً، فنحن قلنا: إن آدم لم يكن عنده تجربة بعد، فقد خلقه الله بعلم أولي لكن بدون تجربة ميدانية يختبر فيها قوته، وقدرته وعزيمته..الخ"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . ان تصحيح هذا البعض غير صحيح، فإنه قد اتهم إبراهيم بالسذاجة أكثر من ثلاث مرات، بل خمس مرات، فراجع كتابه (من وحي القرآن ج 9 . ص 115 و 120 و 121 . الطبعة الأولى) فهل نسي هذا البعض ما كتبته يداه؟!.

2 . إن تأويله لمعنى السذاجة غير مقبول وذلك لما يلي:

أولاً: أنه هو نفسه قد طلب من الناس أن لا يكونوا ساذجين . يضحك الناس عليهم . وذلك في بعض

خطبه التي بثت من إذاعة تابعة له.

---

(1) الزهراء المعصومة: ص 48.

كما انه قد فسر السذاجة التي يقصدها في حديثه عن شيخ الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) بأنها النظرة الحائرة البلهاء(1).

وثانياً: لنفترض جدلاً أن تفسيره للسذاجة بالنسبة للنبي آدم يمكن غض النظر عنه، باعتبار أنه لم يكن لديه إطلاع على مكر إبليس.. فما هو مراده منها حين أطلقها خمس مرات على شيخ الأنبياء إبراهيم . عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام.

وثالثاً: لو أردنا أن نصف هذا البعض نفسه بالسذاجة، بأي معنى أراد، وبغير ذلك من اوصاف أطلقها على أنبياء الله وعلى الأوصياء، فضلاً عما وصف به مراجع الأمة وأساطين العلم فيها، ثم نثبت ذلك في مؤلفاتنا، لتقرأه الأجيال، وليتدارسوه ويتناقلوه، فهل سيكون راضياً هو ومحبوه ومناصروه؟ أم أنهم سوف يقيمون الدنيا ثم لا يقعدونها؟!!

ليس من التناقض:

وقد ذكر البعض:

في الفقرة السابقة والتالية: أننا قلنا عنه: إنه يقول: إن:

615 . إبراهيم كان كافراً في بداية حياته..

فيجيب: إنه لم يقل ذلك، بل ذكر احتمالين.. وقال:

616 . الأقرب: أن فعل إبراهيم كان طريقة ذكية للإقناع:

ونقول:

نعم إن هذا البعض يذكر بالنسبة لإبراهيم إحتمالين اثنين:

أحدهما: أنه لما رأى الكوكب بازغاً اعتقد أنه ربه على الحقيقة، ثم لما رأى القمر بازغاً غير رأيه، واعتقد أنه هو الإله، وعاش معه حالة روحية من التصوف والعبادة لهذا الرب، فلما أفل غيّر رأيه ثالثة فاعتقد أن الشمس هي ربه، فلما أفلت إتضحت له الحقيقة..

الثاني: ان إبراهيم قد قال ذلك على سبيل المحاكاة الاستعراضية، ليؤكد لقومه فساد آرائهم واعتقاداتهم. ثم اعتبر أن الاحتمال الثاني ربما يكون أقرب من الإحتمال الأول(2) وهذا يعنى أن الاحتمال الأول لا يزال موجوداً وقائماً.

---

(1) من وحي القرآن: ج9 ص 122 و 123، وراجع: خلفيات: ج1، ص 80.
(2) راجع من وحي القرآن: ج9، ص112 . 123، الطبعة الاولى.

وذلك يتنافى مع اليقين والقطع، والإعتقاد بالعصمة، وعدم كفر الانبياء، ولو قبل البعثة.. والغريب أنه وهو ينكر علينا ما نقلناه عنه قد عاد فقرر نفس ما أخذناه عليه فقال:
"يأتي الثاني ويقول: إن السيد يقول: إن إبراهيم كان يعبد الكواكب في بداية حياته، أنا أقول في تفسيري من وحي القرآن وهو مطبوع من 15 سنة وهو ليس جديداً، أنا أقول هناك تفسيران: بعض الناس يفسرون أن إبراهيم (عليه السلام) كان يسمع أناساً يعبدون الكواكب، فتدور الأفكار في رأسه وتحيره، فهو قد أراه الله ملكوت السموات والارض. رأى كوكباً، قال: هذا ربي، رأى قمراً، قال: هذا ربي، وبعدها انتهى الى نتيجة تلتقي بالدين الصحيح.
وهنا فكرة ثانية تقول: إن إبراهيم (عليه السلام) حاول أن يواجه قومه بطريقة ذكية، وبأسلوب منفتح. كيف ذلك؟ بأن يصور نفسه وكأنه واحد منهم، أي أنه يعبد الكواكب، ثم يجلس أمامهم وهم قاعدون ويقول: هذا ربي فيرتاحون لقوله..ولما أفل قال: لا أحب الآفلين، لا يمكن أن يكون الرب كوكباً، فالرب يجب أن يكون موجوداً دائماً، ولما رأى القمر بازغاً.. كذلك، لما رأى الشمس.. كذلك.. فهو حاول أن يرد على أفكارهم كما لو كان ممن يتبنى هذا الفكر ليحصل على فرصة مناقشته دون إثارة حساسياتهم.
أنا ذكرت هذين الإحتمالين في تفسير (من وحي القرآن) قبل خمسة عشر عاماً، وكل منكم يمكن أن يعود الى هذا التفسير ويراجعه، أنا قلت: الأقرب من هذين الاحتمالين هو أن هذا أسلوب من أساليب النبي إبراهيم (عليه السلام) من أجل أن يهدم هذه الفكرة بالطريقة الذكية.
حتى أني قلت: يجب أن نستفيد من هذا الاسلوب في مجال الرواية والقصة والمسرح.. إذا أردنا أن نثبت هذا المعنى.

فجاء من يقول: إن السيد يقول بأن إبراهيم (عليه السلام) كان كافرا، ونحن نعرف أن الانبياء (عليهم السلام) لا بد من أن يكونوا معصومين، وأنا قلت: إن إبراهيم (عليه السلام)، من الأساس تمرد على بيئته، تمرد على أبيه أو عمه"(1).
وسئل البعض أيضا:
في قوله تعالى: { وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض } {الانعام: 75} فهل كان إبراهيم (عليه السلام) غير مقتنع بظواهر الكون الدالة على وجود خالق منظم؟ أم هي واردة بمثابة الحجة؟.
فأجاب:
"الأقوى أن إبراهيم كان يستعرض العقائد الباطلة الموجودة في زمانه.. وكان يحاول أن يطرحها كما لو

كانت متبناة من قبله حتى يستمع الناس اليه وهو يناجي نفسه..الخ(2).

وقفة قصيرة:

وإننا ننبه القارئ العزيز الى أنه إذا كان يقصدنا بقوله "يقولون:..."، فإننا نعلن أننا لم نقل: إنه قال عن إبراهيم: إنه كان كافراً.. بل قلنا: إنه يقول: يحتمل أن يكون إبراهيم قد عبد الكوكب والشمس والقمر.. فراجع عباراتنا حول هذا الموضوع تجد صحة ذلك.

وخلاصة القول: إنه قد أنكر شيئاً لم يتهمه به أحد.

ثم إنه عاد وقرر نفس مقولته التي اعتبرناها خروجاً على الإعتقاد بعصمة الأنبياء عن الكفر والشرك، لما تتضمنه من احتمال ذلك في حق إبراهيم (عليه السلام)، فإن احتمال عبادة الشمس والقمر والكوكب لا ينسجم مع اليقين بالعصمة عن ذلك. وها هو نفسه هنا يعترف بما قلناه، وإن كان قد عاد وناقض نفسه من جديد في آخر كلامه الذي نقلناه عن: "الزهراء المعصومة".

617 . النبي يخاف لأنه يعيش الضعف البشري.

618 . لا مشكلة في الإستسلام للخوف.

619 . الملائكة لم يأتوا ليخلقوا عقدة الخوف والقلق لدى إبراهيم.

620 . الحالة فاجأت إبراهيم بما يشبه الصدمة.

يقول البعض:

---

(1) الزهراء المعصومة: ص 50 . 52.

(2) نشرة فكر وثقافة: عدد 167، ص3.

" { وأوجس منهم خيفة } نظراً للغموض الذي لف الموقف، فهو لا يعرفهم بأشخاصهم، والإمتناع عن الأكل يوحي . في عرف الناس آنذاك . بالعداوة وبإضمار الشر للمضيف، مما جعله يحس بالخوف والقلق، ولا مانع من حدوث مثل ذلك للأنبياء الذين يعيشون الضعف البشري الذي تخضع له المشاعر الذاتية، ولكن بالمستوى الذي لا يؤدي الى السقوط في المعصية، ولا يوحي بالانسحاق، ولا يمنع من العصمة.

ولعل سر عظمتهم في تمثلهم خط التوازن بين نقاط الضعف التي تؤكد بشريتهم، ونقاط القوة التي تنطلق من حركة الإيمان والرسالة في روحيتهم، فلا مشكلة في احساس الإنسان بالخوف، بل في الاستسلام له، وليس الخوف حالة سلبية في ذاته، بل قد يكونه حالة إيجابية بما يشكله من حماية للإنسان من الأخطار المهلكة التي تحيط به. ولذا كان إبراهيم خاضعاً لتأثير هذه الحالة الطبيعية من الإحساس بالخوف أمام

ظاهرة غامضة فاجأته بما يشبه الصدمة، ولكن الملائكة لم يأتوا ليخلقوا عقدة الخوف، وليثيروا في داخله القلق، { قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط } فلسنا من البشر، ولا نريد بك شراً، بل نحن مرسلون الى قوم لوط لأداء مهمة إلهية، تستهدف إهلاكهم بالطريقة التي أمرنا الله بها"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . لو قبلنا جدلاً أن الضعف البشري الذي تخضع له المشاعر الذاتية هو الذي يتسبب بحدوث الخوف لدى الأنبياء.. فإننا نسأل: من أين عرف هذا البعض : أن هذا الخوف لا يصل الى درجة يؤدي الى السقوط في المعصية، ولا يوحي بالانسحاق، ولا يمنع من العصمة؟! فهل هذا الا رجم بالغيب، وحديث في أمور لا سبيل للإطلاع على مقاديرها إلا لعلام الغيوب؟!

ويزيد الأمر إشكالاً أن هذا البعض نفسه يشترط الدليل المفيد للقطع في كل أمر هو من هذا القبيل، فأين هو هذا الدليل الذي قدمه على أن الخوف يكون بهذا المقدار أو ذاك؟!.

---

(1) من وحي القرآن ج12 ص.97

2 . من أين عرف هذا البعض: أن منشأ خوف نبي الله إبراهيم (عليه السلام) هو ضعفه البشري. ولماذا لا يقول: إن التكليف الإلهي لإبراهيم (عليه السلام) هو أن يقف موقف الحذر، وأن يحتاط لنفسه كما يحتاط الخائف في المواقع المماثلة.. حتى وإن لم يكن قد اختلج في نفسه أي خاطر؟!

3 . من أين عرف: أنهم قد امتنعوا عن الأكل.. فإن الآية الشريفة تقول: { فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم، وأوجس منهم خيفة.. } فإن ظاهر الآية أنه رآهم يتظاهرون بأنهم يأكلون، ويمدون أيديهم الى الطعام بحسب الظاهر . ولكن أيديهم لا تصل الى ذلك الطعام، فكان أمراً غير طبيعي، وهو يدعو الى الحذر.. وذلك هو الواجب الشرعي، وهو الحزم في مثل هذه الحالة.

4 . من أين عرف هذا البعض: أن ما جرى قد فاجأ إبراهيم بما يشبه الصدمة . وربما نجد في قوله تعالى { أوجس منهم خيفة } ، والخيفة هي نوع من الخوف.. . ربما نجد فيه . اشارة الى أنها خيفة ضعيفة استحقت الاشارة اليها بتنوين التنكير المفيد للضعف والوهن، نظير قوله تعالى عن اليهود: { لتجدنهم أحرص الناس على حياة.. } أو أنها كانت خيفة خاصة . وهي ذلك الإدراك لأمر خفي يدعو الى الحذر الحازم الذي هو واجب شرعاً..

5 . وأما قوله: "ولكن الملائكة لم يأتوا ليخلقوا عقدة الخوف.." فهو مما لا يمكن الموافقة عليه.. لأن ذلك يستبطن إمكانية إبتلاء أنبياء الله بالعقد النفسية، وهو أمر مرفوض جملة وتفصيلاً، بالنسبة لأي نبي كان، فكيف بشيخ الأنبياء الذي هو من أولي العزم، وأفضل رسل الله بعد نبينا الأكرم (صلى الله عليه

وآله وسلم).

6 . ونلفت النظر أخيراً.. الى أن ثمة عدة آيات تحدثت عن خوف حصل لبعض الأنبياء في بعض المواقع الحساسة، كقول الله سبحانه: { وأوجس في نفسه خيفة موسى } ، وقوله تعالى { قلنا: لا تخف إنك أنت الأعلى } ونحو ذلك..

فمن الواضح: أن خوفهم (عليهم السلام) ليس خوف الضعفاء والجبناء، وإنما هو خوف المسؤولية، حيث يخاف النبي على الرسالة، وعلى الدين، وعلى مستقبل الدعوة الى الله سبحانه، فيحزن لذلك، ويتألم، وهو يرى بطش الجبارين وكيد المبطلين، وقد تحدثنا عن ذلك في مكان آخر من هذا الجزء.

7 . وأما بالنسبة لقول هذا البعض: "ان إبراهيم أحس بالخوف أمام ظاهرة فاجأته بما يشبه الصدمة.." فهو كلام مرفوض، لأن الصدمة تعبير يختزن معنى العجز عن التصرف، والإستئسار للمفاجأة، وفقدان البصيرة تحت وطأة الحدث الصاعق، ولو للحظات، ولا يمكن قبول ذلك بالنسبة للأنبياء الذين يعيشون حالة اليقظة التامة، والتوازن في جميع الأحوال فلا تأسرهم المفاجآت، ولا تذهب بأحلامهم(1) مهما عظمت.

621 . إبراهيم يتحير في أمر نزول العذاب على القوم لوط فيهم.

622 . إبراهيم لا يعرف أن الله ينجي أنبياءه من عذاب الإستئصال.

623 . إبراهيم تصرف انطلاقاً من النظرة السريعة للموقف.

624 . التسرع سبب الإعلان المفاجئ عن تعذيبهم.

625 . إبراهيم تسرع في البشارة فاستغرب ذلك واستبعده.

626 . النبي لا يستحضر في نفسه كل ما يتصل بالاحداث.

627 . قد تكون فكرة هلاك لوط مع قومهو اردة عند إبراهيم.

628 . الرواية تؤيد الرأي المخالف.. الذي ناقشه ولا يأخذ بها.

يقول البعض:

---

(1) المقصود: عقولهم.

" { قال إن فيها لوطاً } فإذا كانوا ظالمين، فإن لوطاً ليس منهم، فكيف ينزل العذاب عليها وهو فيها، فإن عذاب الله إذا نزل على أهل بلد شمل الجميع، فلا ينجو منه أحد { قالوا نحن أعلم بمن فيها } فقد عرفنا وجود لوط، وقد خططنا لإخراجه منها مع أهله . ما عدا إمرأته . قبل إنزال العذاب، فإن الله قد أنزل العذاب عليهم لإستحقاقهم ذلك ولتمردهم على لوط واستخفافهم به، ولاستجابة دعائه بالنصرة عليهم،

فكيف يناله العذاب و { لننجينه وأهله، إلا إمرأته كانت من الغابرين } الهالكين الذين يضمهم غبار الموت لأنها كانت مؤيدة لقومها ضد لوط.

هل كان إبراهيم يعلم أن لوطاً يعذب؟

وهناك لفتة جيدة، ذكرها صاحب تفسير الميزان في تفسير كلام إبراهيم للملائكة { إن فيها لوطاً } قال: إن إبراهيم . عليه السلام .، لم يكن ليجهل أن الله سبحانه لا يعذب لوطاً وهو نبي مرسل، وإن شمل العذاب جميع من سواه من أهل قريته، ولا أنه يخوفه ويذعره ويفزعه بقهره عليهم، بل كان (عليه السلام) يريد بقوله: { إن فيها لوطاً } أن يصرف العذاب عن أهل القرية كرامة للوط لا أن يدفعه عن لوط، فأجيب بأنهم مأمورون بإنجائه وإخراجه من بين أهل القرية ومعه أهله إلا امرأته كانت من الغابرين.

والدليل على هذا الذي ذكرنا قوله تعالى في سورة هود في هذا الموضع من القصة: { فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط * إن إبراهيم لحليم أواه منيب * يا إبراهيم أعرض عن هذا، إنه قد جاء أمر ربك، وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود } {هود: 74 . 76}(1).

---

(1) تفسير الميزان: ج16، ص 128.

وقد نلاحظ على ذلك، أن الآية لا يظهر فيها ما ذكره، ولهذا كان جواب الملائكة بياناً لمصير لوط، لا لمناقشة مصير قومه، كما ذكر في سورة هود، ولا مانع من أن يكون إبراهيم . عليه السلام . قد اثار مصير قوم لوط معهم كما أثار مصير لوط، انطلاقاً من النظرة السريعة للموقف على اساس الإعلان المفاجئ عن تعذيبهم، تماماً كما كان رد فعله السريع على البشارة، باستغراب ذلك واستبعاده، وليس من الضروري أن يكون النبي مستحضرا في نفسه لكل الامور المتصلة بالاحداث، بحيث يفقد عنصر المفاجأة في كل شيء، فقد تكون فكرة هلاك لوط مع قومه واردة على اساس أن الامور التكوينية لا تفرق في بلاء الدنيا بين الصالحين، وغيرهم، والله العالم.

وقد جاء في الكافي ما ربما يؤيد التفسير السابق الذي ناقشناه، باسناده عن أبي زيد الحماد، عن أبي عبدالله جعفر الصادق . عليه السلام . في حديث نزول الملائكة على إبراهيم بالبشرى قال: فقال لهم إبراهيم: لماذا جئتم؟ قالوا: في إهلاك قوم لوط فقال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال جبرئيل لا، قال: فإن كان فيها خمسون؟ قال:لا، قال: فإن كان فيها ثلاثون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرون؟ قال: لا. قال: فإن كان فيها عشرة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها خمسة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها واحد؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها لوطاً؟ قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين، قال الحسن بن علي (عليه السلام): لا أعلم هذا القول إلا وهو يستبقيهم، وهو قول الله تعالى { يجادلنا في قوم لوط } (1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

إننا نلاحظ الأمور التالية:

1 . قوله: "إن قلق إبراهيم عليه السلام انما كان على مصير النبي لوط (عليه السلام) وذلك استناداً الى قول إبراهيم للملائكة: { إن فيها لوطاً.. } .."

---

(1) من وحي القرآن: ج18، ص 46 و 47 و 48.

غير صحيح فإن هذا القول لا يدل إلا على توقعه أن وجود لوط سيمنع من أن ينالهم العذاب.. ولا يدل على اعتقاده أن العذاب . لو نزل . سيحيق بلوط ايضاً.

2 . إن الله سبحانه قد صرح بأن جدال إبراهيم إنما كان في قوم لوط، قال تعالى: { فلما ذهب عن إبراهيم الروع، وجاءته البشرى، يجادلنا في قوم لوط، إن إبراهيم لحليم أواه منيب * يا إبراهيم اعرض عن هذا } أي عن رفع العذاب عن قوم لوط { إنه قد جاء أمر ربك، وإنه آتيهم عذاب غير مكذوب } (1).

3 . هذا بالاضافة الى الرواية المروية عن الامام الصادق، والتي أوردها هذا البعض نفسه حيث تدل . كما اعترف هو نفسه . على أن إبراهيم كان مهتماً برفع العذاب عن قوم لوط، وانه اتخذ من وجود لوط فيما بينهم ذريعة الى ذلك فلماذا يصر هذا البعض على مخالفة الرواية، بل الآية أيضا؟!

ولماذا أشار الى دلالة الرواية على خلاف ما يذهب اليه، مع مزيد من التضعيف، وإثارة الشك والإرتياب في تلك الدلالة، حيث قال: "ما ربما يؤيد".

4 . لماذا يتهم إبراهيم (عليه السلام) شيخ الانبياء، وأفضلهم بعد نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) بأنه كان متسرعاً في موقفه، وواقعاً تحت تأثير المفاجأة، حتى إنه حينما جاءته الملائكة بالبشرى استغرب ذلك واستبعده..

كما أنه قد عرّض به (عليه السلام) حين اعتبر أن ليس من الضروري أن يكون إبراهيم (عليه السلام) مستحضراً في نفسه لكل الامور المتصلة بالاحداث بحيث يفقد عنصر المفاجأة في كل شيء.

فإن هذا التعريض مرفوض جملة وتفصيلاً، إذ مهما كان وقع المفاجأة على إبراهيم (عليه السلام) قوياً، فإنه لا يمكن أن لا يمر في وهمه: أن الله سبحانه رحيم بالعباد، ولا يفعل إلا الحق، ولا ينزل العذاب إلا بمن يستحق.

---

(1) سورة هود: 74 . 76.

ولا يمكن ايضاً أن تختلط عليه الامور فيظن أن الله سبحانه ينزل العذاب بحيث يشمل حتى نبيه الذي ارسله.. فإن غضب الله سبحانه ليس عشوائياً بحيث لا تبقى ثمة ضوابط أو معايير لما يصدر عنه ومنه، وحاشا إبراهيم أن يظن بالله ذلك.

5 . وإذا كان هذا البعض قد أدرك هذه الحقيقة، وهي إساءة القوم واستحقاقهم نزول العذاب عليهم، ثم نزوله بالفعل، ونبي الله فيهم معناه هلاك ذلك النبي الأمر الذي لا بد أن يمنع من نزول العذاب . نعم إذا أدرك هذا البعض ذلك فكيف لم يدركه ابراهيم النبي . صلوات الله وسلامه عليه .؟!..

6 . وقد كان من المفروض : أن يثور احتمال لدى ابراهيم، ان يخرج الملائكة لوطاً من بين قومه، ثم يهلكونهم بما فعلت أيديهم.

7 . ومن الواضح: ان ابراهيم كان يعلم: ان للشفاعة تأثيراً في رفع العذاب، وهي من أسباب غفران الذنوب حتى الكبيرة..

وقد كان الموقف يحتاج الى إظهار وتجسيد حقيقة أن عذاب قوم لوط قد اصبح من المحتوم، وأن جرائمهم هي من الخطورة الى درجة أنها حجبت حتى عنصر الشفاعة عن التأثير في رفع العذاب عنهم.. وقد كان من واجب إبراهيم أن يبادر الى ذلك الموقف من أجل أن تستنفذ جميع الأسباب، من جهة، ومن أجل إظهار وتجسيد هذه الحقيقة بالذات من جهة أخرى..

8 . إن هذا البعض قد ادعى ان إبراهيم خاف على لوط، ولم يكن يعرف أن الله ينجي أنبياءه من عذاب الإستئصال.

ونقول:

إن العقل يرفض أخذ البريء بذنب المجرم، كما أن النصوص القرآنية قد ألمحت وصرحت مراراً وتكراراً بأن الله لا يظلم أحداً، ولا يعامل البريء والمذنب على حد سواء، { أفنجعل المسلمين كالمجرمين } (1).

وصرحت هذه الآيات ايضاً بأنه تعالى إنما يهلك أهل القرى بظلمهم، ويأخذهم بذنوبهم..(2) .

بل صرحت بأن الله ينجي المؤمنين، ويهلك من عداهم فقد قال تعالى:

{ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر، إذ يعدون في السبت، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون. وإذ قالت أمة منهم: لم تعظون قوماً الله مهلكهم، أو معذبهم عذاباً شديداً، قالوا: معذرة الى ربكم، ولعلهم يتقون. فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب، بئيس بما كانوا يفسقون، فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين } (3).

وبعدما تقدم نقول:

صحيح أن السنة الإلهية جارية على أن عذاب الإستئصال إذ نزل، فإنه يعم كل من انزل عليهم..
ولكن من الواضح أيضاً: ان العذاب إنما ينزل على خصوص المجرمين، إما لإرتكابهم الجرائم فعلاً، أو لأجل رضاهم بها وعدم قيامهم بواجبهم في رفعها، وعدم تحريكهم ساكناً في مواجهتها.
فيأخذهم الله بذنوبهم نفسها.. فهل يمكن إتهام لوط بأنه مقصر في واجباته، أو أنه مرتكب للجرائم أو راض بارتكابها؟! أو هل يمكن اتهام إبراهيم بأنه يجهل هذه الحقيقة أعني حقيقة أن الله لم يكن ليعذب نبيه بعذاب الاستئصال؟ بل ينجيه منه وينجي من آمن معه؟!

---

(1) سورة القلم: الآية 35، وسورة النساء: الآية 40.
(2) سورة القصص: الآية 59، والعنكبوت: الآية 31 و 34 و 40، وسورة الأعراف: الآية 100، وسورة النحل: 112 و 113، وسورة الإسراء:16، وسورة الانبياء: 11، وسورة الحج: 45 و 48.
(3) سورة الاعراف: الآيات 163 ـ 166.

ولأجل ذلك نجد أن الله سبحانه لم يغرق قوم نوح حتى صنع نوح السفينة،و حمل بها كل من آمن معه، فلماذا لم يتعلم ابراهيم ـ عليه السلام ـ من هذه القضية بالذات.
وقد سئل الرضا (عليه السلام): لأي علة أغرق الله عز وجل الدنيا كلها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال، وفيهم من لا ذنب له؟ فقال عليه السلام: ما كان فيهم الأطفال، لأن الله (عزوجل) أعقم أصلاب قوم نوح (عليه السلام)، وأرحام نسائهم أربعين عاماً، فانقطع نسلهم، فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله ـ عز وجل ـ ليهلك بعذابه من لا ذنب له.
وأما الباقون من قوم نوح (عليه السلام) فأغرقوا لتكذيبهم نبي الله نوح (عليه السلام)، وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين.
ومن غاب عن أمر، فرضي به كان كمن شهده وأتاه)(1)
وسأل سدير أبا جعفر (عليه السلام): أرأيت نوحاً (عليه السلام) حين دعا على قومه، فقال: يا رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا)؟.
قال (عليه السلام): علم أنه لا ينجب من بينهم أحد، قال: قلت: وكيف ذلك؟! قال: أوحى الله إليه: { إنه لن يؤمن قومك إلا من قد آمن } فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء(2).
وعن إبن عباس قال عزير: يا رب، إني نظرت في جميع أمورك وإحكامها، فعرفت عدلك بعقلي، وبقي باب لم أعرفه، إنك تسخط على أهل البلية، فتعمهم بعذابك، وفيهم الأطفال !
فأمره الله تعالى: أن يخرج الى البرية، وكان الحر شديداً، فرأى شجرة فاستظل بها ونام، فجاءت نملة فقرصته، فدلك الأرض برجله، فقتل من النمل كثيراً، فعرف أنه مثل ضرب، فقيل له:

(يا عزير، إن القوم إذ استحقوا عذابي قدرت نزوله عند قضاء آجال الأطفال، فماتوا أولئك بآجالهم، وهلك هؤلاء بعذابي)(3).

---

(1) علل الشرائع: ص22 وعيون أخبار الرضا: ج1، ص231 – والبحار: ج5 ص283.
(2) علل الشرائع: ص22 . والبحار: ج5، ص283.
(3) بحار الأنوار: ج5، ص286، عن قصص الأنبياء.

قال المجلسي: (إن الله تعالى كما أنه يميت متفرقاً، إما لمصلحتهم، أو لمصلحة آبائهم، أو لمصلحة النظام الكلي، كذلك قد يقدر موتهم جميعاً في وقت واحد لبعض تلك المصالح.
وليس ذلك على جهة الغضب عليهم، بل رحمة لهم، لعلمه تعالى بأنهم يصيرون بعد بلوغهم كفاراً، أو يعوضهم في الآخرة، ويميتهم لردع سائر الخلق عن الإجتراء على مساخط الله، أو غير ذلك.
مع أنه ليس يجب على الله تعالى إبقاء الخلق أبداً، فكل مصلحة تقتضي موتهم في كبرهم، يمكن جريانها في موتهم عند صغرهم، والله تعالى يعلم)(1).
وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (إن الله أوحى الى يونس حين دعا على قومه: إن فيهم الحمل، والجنين، والطفل، والشيخ الكبير، والمرأة الضعيفة، والمستضعف المهين، وأنا الحكم العدل سبقت رحمتي غضبي، لا أعذب الصغار بذنوب الكبار من قومك، وهم يا يونس عبادي، وخلقي، وبريتي، في بلادي، وفي عيلتي، أحب أن أتأناهم، ورأفق بهم، وأنتظر توبتهم... الخ)(2).
وهذه الرواية وإن كان فيها مواضع مشكلة، ولكن هذه الفقرة فقط هي موضع الحاجة، وليس في الأخذ بها محذور.. لأنها آتية وفق القواعد والأصول العامة العقلية وغيرها، كما أنها مؤيدة بسائر الروايات الآنفة الذكر.
وقد رأينا:
أن العذاب لم ينزل على قوم يونس حتى خرج عليه السلام من بينهم مغاضباً لهم.
وأخيراً، فقد قال الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم { وما كان ليعذبهم } أي أهل مكة { وأنت فيهم } . قال إبن عباس: إن الله لم يعذب قومه حتى أخرجوه منها، { وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون } ، أي وفيهم بقية المؤمنين بعد خروجك من مكة.

---

(1) المصدر السابق: ج5، ص 286 و 287.
(2) البحار: ج 14، ص 393، عن تفسير العياشي، والبرهان: ج 2، ص200 و 202.

وذلك أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما خرج من مكة بقيت فيها بقية المؤمنين لم يهاجروا لعذر، وكانوا على عزم الهجرة، فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفارهم، فلما خرجوا أذن الله في فتح مكة. وقيل: معناه: وما يعذبهم الله بعذاب الاستيصال في الدنيا، وهم يقولون: غفرانك ربنا. وإنما يعذبهم على شركهم في الآخرة(1).

8 . بقي أن نشير الى أن ثمة آية ورواية، قد يتوهم متوهم: أنهما تدلان على خلاف ذلك.

ألف: أما الآية فهي:

قوله تعالى: { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا: أن الله شديد العقاب } (2).

ولكن الحقيقة هي: أن هذه الآية ليست ناظرة الى عذاب الاستئصال، بل المقصود بالفتنة هو البلاء الناشئ عن المعاصي في الدنيا، كالفتنة، والأمراض، وما أشبه ذلك، فإن ضررها لا يقتصر على من يثيرها.

باء: وأما الرواية فهي: ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: ما عذب الله قرية فيها سبعة من المؤمنين..(3)

فالجواب: أنها لا يمكن الإستدلال بها على أن عذاب الاستئصال يمكن أن ينال المؤمنين، إذ لا تأبى أن يكون المراد أن القرية لا تستحق العذاب ما دام فيها سبعة من المؤمنين يقومون بواجبهم في إنكار المنكر، والأمر بالمعروف.. فإذا قلّ عدد المؤمنين عن هذا استحقت عذاب الإستئصال.. فيؤمر هؤلاء بالخروج منها، ويمهلون من أجل ذلك، فإذا خرجوا نزل عليها العذاب، تماماً كما جرى لقوم نوح، ولوط، ويونس، ومشركي مكة أعزها الله تعالى.

629 . يعقوب والصدمة وتأثيرها المؤلم فيه .

630 . يعقوب لم يفعل أي شيء يؤذي جسده.

631 . العوارض الطبيعية هي التي أوجبت عمى يعقوب.

632 . كان يعقوب يعيش الحزن الهادئ دون أن يؤثر على حياته.

633 . ظنوا أن أباهم قد نسي يوسف..

يقول البعض:

---

(1) بحار الأنوار ج18، ص 159.

(2) سورة الأنفال: الآية: 25.

(3) بحار الانوار: ج70، ص 383 عن الاختصاص، ص 30.

"ولكن يوسف أصر على موقفه، وعادوا الى أبيهم من دون أخيهم، وكم كان وقع الصدمة قاسياً على يعقوب . عليه السلام .، واجه الصدمة فأثرت به تأثيراً مؤلماً، لأنها أيقظت أحزانه وأثارت أشجانه وذكرياته، فتولى عنهم { وقال: يا أسفى على يوسف، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم } {يوسف:84}، وهنا ربما يتساءل البعض ويقول: كيف يجزع يعقوب، وهو نبي؟ نجيب على ذلك بأنه (عليه السلام) لم يفعل أي شيء يؤذي جسده، ولكن كان يعيش الحزن الهادئ حيث ابيضت عيناه من البكاء كنتيجة طبيعية للعوارض التي أوجبت فقدان بصره، لذلك عندما قالوا له: { تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين } {يوسف: 85} أجابهم بأنه لا يشكو لهم، ولا يسبب أي مشكلة معهم { إنما أشكو بثي وحزني الى الله } {يوسف: 86} فلست إنساناً يشكو أمره للعباد، فالقادر على قضاء حاجتي، وتفريج همي وكربي هو الله، فيعقوب (عليه السلام) كان يملك الإحساس العميق بعدم اليأس، فوهبه الله معرفة أن يطل على المستقبل، لذلك على الرغم من مرور السنوات الطوال على غياب يوسف ومحاصرته بكثيرٍ من المشاكل بقي منفتحاً.. الخ(1).

يقول البعض أيضاً:

---

(1) حركة النبوة في مواجهة الإنحراف: ص 253.

" { وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم } ورغم كل شيء فهو يحبس غيظه وحزنه في نفسه، ولم يتصرف تصوف الجازعين الذين يتمردون على إرادة الله، ولكنه يعطي للحزن دوره الهادئ في قلبه وإحساسه وشعوره، من دون أن يترك الحزن تأثيره على حياته وعلى دوره في رسالته وحركته في الحياة { قالوا تالله } لقد فوجئوا بذكره ليوسف الذي يقال بأنه غاب عنهم مدة ثمانية عشر عاماً، وظنوا أن أباهم قد نسيه، لأن الذكريات الماضية تذوب وتزول وتذهب { قالوا تالله تفتأ } أي لا تفتأ ولا تزال { تذكر يوسف حتى تكون حرضاً } أي مشرفاً على الهلاك قريباً من الموت { أو تكون من الهالكين } أو يؤدي بك ذلك الى الهلاك { قال إنما أشكو بثي وحزني الى الله } أنا لا أشكو بثي وحزني إليكم، فأنا لا أشكو لبشر، وأنا عندما أتذكر يوسف وآسف على غيابه، فإنما أجلس في حالة مناجاة مع الله، ولذا فإني أرجع شكواي الى الله وأقدم حزني بين يديه سبحانه، فهو الذي يملك إزالة حزني عني ويبدله الى فرح، وعندما أعبر عن حزني فليس لإثارة الإشفاق علي من الناس، أو لأفرض حزني عليهم { وأعلم من الله ما لا تعلمون } أعلم من الله أنه رحيم بعباده، فهو يعطي الأمل من قلب اليأس وهذا ما أعلمه من خلال معرفتي به تعالى، لذلك لم أفقد ثقتي بربي أو إيماني به، ولا أرى أن التعبير عن الحزن يتنافى مع استسلامي له، فالتعبير عن الحزن حالة إنسانية، والإستسلام الى الله هو حركة هذه الحالة بين يدي الله حتى تعين الإنسان على أن ينفتح على المستقبل أكثر من خلال الله، لا من خلال غيره(1).

وقفة قصيرة:

ونلاحظ:

---

(1) حركة النبوة في مواجهة الانحراف ص.341

1 . من الواضح: أن الجزع المذموم والمرفوض من قبل الشارع هو الذي يستبطن الإعتراض على الله سبحانه حين يعتبر الجازع أن ما حدث يمثل ظلماً، وتعدياً وتصرفاً غير سديد.. كما أن من الواضح أيضاً: أن إظهار الحزن الشديد لا يستبطن الإعتراض على الله بحيث لا ينفك هذا الإظهار عن ذلك الإعتراض، إذ كثيراً ما ينطلق الجزع من حب الله ومن شدة الإهتمام بالحفاظ على الدين ورموزه الكبرى، وهذا يكون جزعاً ممدوحاً، ومحبوباً له تعالى، ومندوباً إليه، وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (كل الجزع والبكاء مكره سوى على الحسين)(1).

وقد روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: (إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا إلخ..)(2).

وذلك يدل على أنهم عليهم السلام قد بكوا على الحسين حتى تقرحت جفونهم.. والقرح هو الجرح وذلك معناه أنهم عليهم السلام قد فعلوا أمراً قد نشأ عنه أمر لم يكن ليجوز لهم في الحالات العادية تماماً كما بكى يعقوب على فراق حتى ابيضت عيناه من الحزن..

وذلك يدل على جواز فعل ما يؤدي إلى مثل الجرح والعمى، فلا معنى للمنع من ضرب الرأس بما يدميه تفجعاً على الحسين (عليه السلام).. فإن عمى يعقوب أعظم وتقرح جفون الأئمة أعظم ضرراً من إدماء الرأس أو اللطم على سيد الشهداء (عليه السلام).

كما أن الحديث عن الأئمة (عليهم السلام) قد عد يعقوب من البكائين الخمسة، أو الثمانية(3).

ويروى أن الأمام الصادق عليه السلام: جزع على إبنه إسماعيل جزعاً شديداً(4) و أن آدم عليه السلام جزع على إبنه هابيل(5).

---

(1) بحار الانوار: ج45 ص 313وراجع علل الشرائع ص 264 ومصباح المتهجد، وغير ذلك.

(2) الأمالى للصدوق ص 11 المجلس 27 ح 2 والبحار: ج44 ص 284.

(3) بحار الانوار: ج 11 ص 204 وج 12 ص 311 وراجع ص 244 و264 و 305 وج 79 ص 86 وج 43 ص 35.

(4) بحار الانوار: ج 47 ص 249 و 250.

(5) بحار الانوار: ج 11 ص 240 و .264

2 . إن من الواضح: أن حبس الإنسان غيظه وحزنه في قلبه لا يوجب عمى عينيه، كما زعم هذا البعض.. ولم نسمع، ولم نر إنساناً حبس غيظه وحزنه في قلبه قد أصيب بالعمى رغم الكثرة الكاثرة في كل هذا التاريخ الطويل، لمن يصابون بأفدح المصائب ثم يكظمون غيظهم وحزنهم..

3 . ما معنى قوله: "إن يعقوب قد أعطى الحزن دوره الهادئ في قلبه وإحساسه وشعوره، من دون أن يترك تأثيره على حياته ودوره في رسالته وحركته في الحياة.."

ألم يصب يعقوب بالعمى في عينيه من شدة حزنه، وهل العمى ليس له تأثير سلبي على حياة الإنسان.

4 . ما معنى قول ابناء يعقوب له { تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً } أليس معنى الحرض هو (الإشراف على الهلاك قريباً من الموت) حسب تفسير هذا البعض نفسه، ثم قولهم له: { أو تكون من الهالكين } .

ألا يدل ذلك على أن حزن يعقوب كان ظاهراً قوياً، وليس هادئاً، ولا محبوساً في داخل نفسه . حسبما يدعيه هذا البعض . .

وهل ثمة من جزع أكبر من أن يشرف الإنسان على الهلاك من شدة الحزن، أو أن يهلك بالفعل بسبب ذلك؟!

إذا كان يعقوب قد حزن على يوسف الى درجة العمى، أو حتى اشرف على الهلاك، فما بال البعض ما فتئ يقبح الجزع على الإمام الحسين (عليه السلام) رغم ورود الرواية الصحيحة . عن أهل البيت العصمة في أنه لا محذور فيه..

ولماذا يعتبر أن مظاهر الحزن واللطم في عاشوراء غير حضارية ولا واعية، بل هي من مظاهر التخلف، ومن دواعي السقوط، كما أن بعض مفرداتها محرمة لأنها بنظره من مصاديق الإضرار بالنفس..

5 . ما معنى قول هذا البعض عن يعقوب: مجيباً على سؤال: كيف يجزع يعقوب، وهو نبي؟!

"إنه لم يفعل أي شيء يؤذي جسده، ولكن كان يعيش الحزن الهادئ حتى ابيضت عيناه من البكاء، كنتيجة طبيعية للعوارض التي أوجبت فقدان بصره".

فهل أن البكاء الذي صدر من يعقوب لا يدخل في دائرة الفعل أصلاً أم أنه فعل لكنه لم يكن من فعل يعقوب؟!

وإذا كان العمى قد نشأ عن البكاء الذي هو من فعل يعقوب، فكيف يقول: إنه لم يفعل أي شيء يؤذي جسده؟! وهل العمى بسبب البكاء لا يعد أذى للجسد؟!

وألم يكن العمى نتيجة لفعل البكاء؟

وكيف يمكن الجميع بين قوله: "إن العمى كان نتيجة العوارض الطبيعية" وقوله: "إنه قد عمي من

البكاء"؟!!

6 . إن التعبير بالصدمة بالنسبة لنبي الله يعقوب غير سديد جزماً، فإن هذا النبي المجاهد الصابر لم يفاجأ بما حدث، وقد حكى الله عنه: أنه أخبر أبناءه بخوفه على ولده، وأخذ عليهم المواثيق أن يأتوه به إلا أن يحاط بهم، وهم لم يأتوا بجديد عما كان يتوقعه، بل اقتصروا على شرح ما جرى لهم، وإنما تكون الصدمة في أمر لم يكن متوقعاً.

7 . من أين علم أن أبناء يعقوب (عليه السلام) قد ظنوا أن أباهم قد نسي يوسف (عليه السلام) فإن قولهم له: { تالله تفتؤ تذكر يوسف } يدل على أنه كان مستمراً على ذكره، مثابراً عليه، وأنهم كانوا يعلمون ذلك وينكرونه عليه فمن أين جاء ظنهم ذاك.. إن قوله هذا يحتاج الى إثبات قطعي . حسبما يقرر هذا البعض نفسه . وإن أي إثبات يأتي به سيكون مخالفا للقرآن، فلا بد من رده عليه..

634 . لعل يوسف نسي أهله بعد انقطاع أخبارهم.

635 . لعل أهل يوسف قد نسوه بعد انقطاع أخباره.

636 . رؤية يوسف لإخوته كانت بمثابة الصدمة له.

637 . ضغط الأحداث على يوسف، جعل ذكر أهله يغيب عن فكره.

وفي تفسير قوله تعالى: { وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه، فعرفهم وهم له منكرون }

يقول البعض:

"... ومرت الأيام.. وابتعد يوسف عن أهله.. وابتعدوا عنه.. وربما نسيهم بعد انقطاع أخبارهم عنه، وربما نسوه بعد انقطاع أخباره عنهم.. وتحول الجميع لدى بعضهم البعض الى ذكرى تغيب عن الفكر أمام ضغط الأحداث المتلاحقة(1).

ويقول:

---

(1) من وحي القرآن: ج 12، ص 234.

"أما بالنسبة ليوسف، فقد كانت ملامحهم في ذهنه، لأنهم كانوا كباراً عندما فارقهم، ولم يحدث في حياتهم تغيير يذكر، يبعد الصورة البارزة لديه. لهذا كانت رؤيته لهم، بمثابة الصدمة التي أعادته الى الماضي، وربما يكون قد ساهم في ذلك أنهم كانوا قد ذكروا أسماءهم، ومواقع بلادهم عند قومهم، فمن المتعارف لدى الناس، سؤال الغرباء عن هويتهم وبلادهم"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . ما المبرر لطرح احتمال نسيان يوسف لأهله.. وطرح احتمال نسيان أهله له، حتى تحولوا لدى

بعضهم البعض الى ذكرى تغيب عن الفكر أمام ضغط الأحداث المتلاحقة..
وإذا كانت الذكرى للأهل تغيب عن الفكر أمام ضغط الأحداث المتلاحقة فهل يصح اعتبار الأهل قد نسوا ولدهم، والولد قد نسي أهله في حالات الإنصراف الذهني حين الإنشغال بالعمل، وذلك يكون حتى حين يكون الولد جالساً الى جنب أبيه وأمه.
وهل الأنبياء كانوا يعانون من ضعف الذاكرة إلى هذا الحد؟! وما معنى أن ينسب مثل هذا الأمر إليهم؟!
2 . ما معنى تصويره لحالة يوسف حينما رأى إخوته، فعرفهم وهم له منكرون.. على أنها كانت بمثابة الصدمة له؟!! وهل يصح استعمال أمثال هذه التعابير في حق أنبياء الله سبحانه؟!
3 . من أين استنبط هذا الحدث حتى أخبر عنه على أنه حقيقة واقعة؟! ومن أين عرف أن ملامحهم لم يحدث فيها تغيير يذكر؟ وما هو الدليل القطعي الذي يثبت له ذلك؟! أو فقل: ما هي الأخبار المتواترة أو غير المتواترة التي تثبت هذا؟
4 . إننا نعتقد أن يوسف الذي كان يعيش آفاق النبوة لا يمكن أن ينشغل عن أهله، وأن ينساهم مهما طال الزمن، خصوصاً بلا نسبة لأبيه النبي العظيم(2) الذي يرتبط به روحياً وإيمانياً، قبل أن يرتبط به، وبصورة أعمق وأوثق من أي رباط آخر بنحو يتناسب مع الآفاق التي يعيشها الأنبياء، والمسؤوليات التي يحملونها.

---

(1) من وحي القرآن: ج 12، ص 235.
(2) وكذلك بنيامين، بناء على كونه نبيا.

كما أن يعقوب لا يمكن أن ينسى ولده لنفس السبب الذي اشرنا إليه، وقد طال حزنه عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن. وقد صرح القرآن بأنه لم يكف عن ذكر يوسف طيلة تلك المدة، حتى قال له ابناؤه: تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين .. فمن كان هذه حاله كيف يقال: إن أهله نسوه.. وإذا كان بعضهم يوشك أن ينساه فإن حزن يعقوب وبكاءه عليه يمنع من حدوث هذا النسيان.
5 . قد صرح هذا البعض: "بأن يوسف قد عرف أسماء اخوته ومواقع بلادهم من خلال اسئلته التي وجهها لهم، فساهم ذلك في تذكره لهم"، فهل يريد هذا البعض أن يقول: إن يوسف الذي أصبح على خزائن الأرض، وصار له هذا الشأن العظيم، إنما لم يستخدم موقعه ونفوذه، والوسائل المتوفرة لديه في السؤال عن أهله، ومعرفة أخبارهم، وكذلك لم يأت بهم من البدو قد تبين بسبب النسيان الذي طرأ عليه بسبب ضغط الأحداث المتلاحقة؟!
وهل يعقل أن لا يخطر له على بال أبداً طيلة سنين، وسنين أن له أباً وأماً، وأن له إخوة وأنهم قريبون

منه.. وأنهم هم الذين أوقعوه بهذه المصائب، والبلايا؟!.
ألم يمر في وهمه أي خاطر من هذا القبيل ولو حين يأوي إلى فراشه فيدفعه ذلك إلى السؤال عن منطقتهم، وعن أحوالهم، وعن مصيرهم؟! إن ذلك لغريب حقاً، وأي غريب!!
إننا نبادر الى القول بأن يوسف نبي اصطفاه الله لا يمكن أن ينسى مسؤوليته الشرعية تجاه أبويه على الأقل، ولزوم التعرف على أخبارهما، لآداء واجب البر بهما وصلة رحمهما، التي هي من الواجبات..
وإن ما جرى لم يكن يجري في صراط النسيان والغفلة . وحاشاه من ذلك وهو نبي الله سبحانه . ثم التذكر حين مواجهة الصدمة (!!)
على حد تعبير البعض بل كانت الامور تجري في نطاق الخطة الإلهية، والرعاية الربانية لأنبيائه ورسله، وتسديدهم فيما يعملون له من نشر راية الحق والهدى، والفلاح والصلاح بنجاح. وهكذا كان..
638 . يونس استنفد تجاربه في الدعوة الى الله.

639 . يونس لم يفكر بالمرحلة الجديدة من عمله.
640 . يونس لم ينتظر نتائج التجربة الأخيرة.
641 . يونس يعيش جو الحيرة.
642 . اراد يونس أن يخرج من جو الغم والحزن والحيرة ليجد ملجأ جديدا.
643 . ظن يونس أن لن يضيق الله عليه فجاءت النتيجة عكس ما كان يتصوره.
644 . يونس خرج من دون أن يستأذن الله في ذلك.
645 . يونس يقول ظلمت نفسي في تقصيري في أمر الدعوة من غير قصد.
646 . أنا عائد إليك يا رب لتكشف عني أجواء الحيرة.
647 . كان خروجه السريع سرعة انفعالية في اتخاذ القرار.
648 . قد لا يكون خروج يونس تهرباً من المسؤولية.
يقول البعض :
" ولكن المراد هنا من كلمة (نقدر) المعنى الذي يلتقي بالتضييق، أو بالتحديد كما في قوله تعالى: { وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه } {الفجر: 16} وهكذا يكون معنى الآية، إن هذا العبد الصالح خرج مغاضباً لقومه، وهو يظن أنه قد ملك حريته، بعد أن انتهت مهمته باستنفاد كل تجاربه في الدعوة الى الله وعدم تجاوب قومه معه، واستحقاقهم العذاب على ذلك، وقرب نزوله عليهم، فلم يفكر بالمرحلة الجديده من عمله، ولم ينتظر عودتهم الى الإيمان من خلال التجربة الأخيرة التي قد تحقق نتائج كبيرة على هذا الصعيد، وهي مسألة تهديدهم بالعذاب الذي ثبت . بعد ذلك . أنه كان الصدمة القوية التي

أرجعتهم الى عقولهم، فانفتحت قلوبهم على الإيمان بالله وبرسالاته من جديد. كما حدثنا الله عن ذلك في آية أخرى.

لقد كانت لحظة انفعال تختزن الغضب لله، ولكنها لم تنطلق للتفكير بالمستقبل في آفاق الدعوة الى الله، التي تعمل على أن تطل على الآفاق الواسعة من عقل الإنسان وروحه وقلبه لتنتظر منه انفتاحة إيمان، ويقظة روح، وخفقة قلب.. وفي هذا الجو كان خروجه السريع، سرعة انفعالية في اتخاذ القرار، وقد لا يكون ذلك تهرباً من المسؤولية، وحباً للراحة، وابتعاداً عن أثقال الرسالة ومشاكلها، فربما كان الجو يتحرك في حالة شديدة من الحيرة والغم والحزن، مما يريد معه أن يخرج من هذا الجو الخانق ليجد لنفسه ملجأً جديداً، أو موقعاً آخر للدعوة، أو لأي مشروع جديد، في هذا الإتجاه، وهو يظن أن الله لن يضيق عليه أمره، في رزقه، وفي حركته، وجاءت النتيجة غير ما كان يتصوره أو ينتظره، فالتقمه الحوت، بعد أن وقعت القرعة عليه، وعاش في ظلمات البحر، وجوف الحوت، وظلمات الهم والغم، وانفتحت أمامه من جديد، آفاق إيمانه الواسع، فعاش روحيته مع الله في ابتهال وخشوع، وبدأ يتذكر لطف الله به ورعايته، وتكريمه إياه من خلال ما اختصه به
من رسالته وما سهل له من سبل الحياة، وهداه اليه من وسائلها، وكيف خرج من دون أن يستأذن الله في ذلك، أو ينتظر ما يحدث لقومه، فانطلقت صرخته المثقلة بالهم الكبير الروحي والرسالي الذاتي، من كل أعماقه، في استغاثة عميقة بالله وحده لا سيما في مثل ظروفه التي لا يملك أحد فيها أن يقدم إليه شيئاً.

{ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت } فلا ملجأ لأي هارب أو ضائع أو حائر إلا إليك، ولا ملاذ إلا أنت، فأنت القادر على كل شيء، والرحيم لكل مخلوق، والعليم بكل الخفايا والمهيمن على الأمر كله و الغافر لكل ذنب، والمستجيب لكل داع، والمغيث لكل ملهوف، والمفرج عن كل مهموم ومكروب... وليس لي غيرك اسأله كشف ضري والنظر في أمري، فأنت ربي وسيدي ومولاي وملاذي في كل الامور، { سبحانك } إذ يختزن قلبي وعقلي ووجداني الاحساس بعظمتك في كل مواقع العظمة في مجالات التصور، وفي حركة القدرة في الواقع، في مظاهر الخلق والإبداع.. فيتحول ذلك الى تسبيح منفتح خاشع مبتهل الى الله، { إني كنت من الظالمين } فقد ظلمت نفسي في تحركي، أو تقصيري في سبيل الدعوة، من غير قصد، ولا عمد، وها أنذا . يا رب . راجع إليك بكل قلبي وعقلي وحياتي، لتتقبلني بكل لطفك ورضوانك ورحمتك، ولتكشف عني في كل أجواء الحيرة والغم التي تغمرني بالآلام والمشاكل، فهل تستجيب لي؟ إنك انت الذي تستجيب كل الدعوات لمن دعاك"(1).
وقفة قصيرة:
ونقول:

1 . إن ثمة إصلاحاً طرأ على عبارة هذا البعض وهو: أنه كان قد جزم في الطبعة الأولى من كتابه "من وحي القرآن" بأن الله سبحانه قد اعتبر ما فعله يونس كانت تهرباً من المسؤولية، لكنه في هذه الطبعة قال: قد لا يكون ذلك تهرباً من المسؤولية.

ولعله قد ظن أن الناس سوف يعتبرونه قد اصلح وتراجع عن مقولته السابقة، الظاهرة في الإخلال بالعصمة للأنبياء..

---

(1) من وحي القرآن: ج15، ص258 و 259.

ولكن الحقيقة هي أن ما فعله هنا قداظهر إصراره الشديد على الطعن بعصمتهم (عليهم السلام) حيث قد نبهنا في الأجزاء السابقة لهذا الكتاب . وربما أكثر من مرة . الى أن احتمال صدور المخالفة من النبي لا ينسجم ولا يجتمع مع اليقين بعصمته، مهما كان ذلك الاحتمال ضعيفاً، حتى ولو بنسبة واحد بالمئة..

فإن عبارة: "قد لا يكون ذلك تهرباً" تعني أن احتمال أن يكون أيضا تهرباً، لا يزال باقياً.. ولا يحتمل في حق المعصوم أن يتهرب من المسؤولية في أي من الظروف والأحوال، لأن احتمال ذلك في حقه معناه: أننا لسنا على يقين من عصمته.. وذلك واضح..

2 . من اين علم هذا البعض: أن يونس لم ينطلق للتفكير بالمستقبل في آفاق الدعوة الى الله، التي تعمل على أن تطل على الآفاق الواسعة من عقل الإنسان وروحه وقلبه، لتنتظر منه انفتاحة إيمان، ويقظة روح، وخفقة قلب . على حد تعبيره ...

فإن هذا الكلام يمثل إخباراً غيبياً عن ضمير يوسف، وعن خلجات قلبه، كما أنه يمثل إدانة خطيرة له، فلماذا يسيء الظن ولا يحسنه بهذا النبي الفاني في الله، والباذل نفسه، وكل حياته ووجوده في سبيله، أم أن الله أطلعه على قلب نبيه بعد آلاف السنين، فانبرى ليخبرنا بهواجسه واهتماماته، وبنجواه، وخلجاته، وما فيه إدانة بل إهانة له؟!

إننا نعتقد أن جميع الأنبياء لا يفكرون بمصالحهم كأشخاص، وإنما يفكرون في مستقبل الرسالة، ويخططون له، ويتحملون مسؤولياتهم في ذلك.

3 . أضف الى ذلك: أن هذا البعض قد جزم بأن يونس (عليه السلام) قد خرج من دون أن يستأذن الله في ذلك، أو ينتظر ما يحدث لقومه، ولا ندري من أين، وكيف جاز له الجزم بهذا الخبر التاريخي وهو الذي لا يقبل بخبر الواحد، بل يشترط التواتر أو كل ما يفيد الجزم واليقين بالأخبار التاريخية سواء من حيث السند أو من حيث الدلالة..

كما أننا قد قلنا في الجزء الأول من هذا الكتاب: إن قومه هم الذين كانوا يرونه آبقاً منهم وأننا لننزه ساحته وهو النبي المعصوم عن أن يعمل عملاً من تلقاء نفسه، ومن دون أن يتحقق من رضا الله سبحانه وتعالى فيه، فإن ذلك مما ينافي انقياده لله سبحانه، ويخلّ بأهليته لمقام النبوة والرسالة ..

4 . اننا نعتقد: أن الأنبياء لا يقومون بتجارب في حقل الدعوة الى الله سبحانه، لأن هذا التعبير (تجربة . تجارب)

له إيحاءات سيئة . وهو يؤمن بالإيحاءات، وكتابة موضوع على أساسها . لا مجال للإلتزام بها، من حيث أنه يختزن أن من يمارس التجربة لا يملك المعرفة التامة بجدوى ودقة ما يقوم به.. كما أنه يختزن معنى الخطأ في إصابة الواقع..

إن الأنبياء لا يقومون بتجارب، و إنما يعملون بوظيفتهم الشرعية التي لا يشكون في أنها المعالجة الصحيحة والدقيقة .. غير أن حالة استكبار قومه . كما هو الحال في استكبار ابليس . وجحودهم، هو الذي يمنع من أن يؤثر هذا البلسم الشافي أثره.

5 . وقول هذا البعض: "ان يونس (عليه السلام) لم يفكر في المرحلة الجديدة من عمله"، وأنه "لم ينتظر نتائج التجربة الأخيرة" ما هو إلا رجم بالغيب، لا يملك دليلاً قطعياً يثبته . حسب ما يشترطه هذا البعض . وهل يمكن أن يجد دليلاً يثبت على أنبياء الله القصور والتقصير في مسؤولياتهم؟!

أضف الى ذلك أنه هو نفسه يقول: "إن النفي يحتاج الى دليل، كما الإثبات يحتاج الى دليل".

6 . ان الله لم يضيق على يونس، بل كان الله الذي وثق به يونس هو الذي هون عليه المشكلات التي واجهها، وذلل المصاعب والمصائب التي حلت به وحفظه، ورعاه.. فكان الله معه في كل صغيرة وكبيرة، وكان ظن يونس علماً صحيحاً وقطعياً، قد تحقق كما أراد يونس . صلوات الله وسلامه عليه ..

7 . ان يونس لا يمكن أن يقصر في أمر الدعوة وهو النبي والمسؤول الأول منها، وذلك معلوم وواضح .

8 . ان كلام هذا البعض عن حيرة يونس لا يمكن قبوله، فإنه كان يعرف تكليفه الإلهي والشرعي بدقة، وينفذ ما يريده الله منه دون زيادة أو نقيصة.

9 . ان كلامه عن الخروج من جو الحزن والغم والحيرة ليجد لنفسه ملجأً آخر يعطي: أن يونس إنما كان بنفسه كشخص.. او على الأقل هو يحتمل ذلك في حقه . كما ويحتمل أن يكون بصدد البحث عن موقع آخر للدعوة.

الفصل الخامس:

النبي الأكرم (ص)..

بداية:

سيتضح للقارئ العزيز: أن كثيراً من المقولات التي أوردناها في هذا الفصل، يمكن أن تدخل في عدد من الفصول الأخرى أيضاً.. ولكننا لم نحاول الإشارة الى ذلك في تلك الموارد لأننا نعلم: أن القارئ الكريم يدرك ان ما يقوله هذا البعض بالنسبة لنبينا لا يمكن استثناء سائر الأنبياء منه، فإن ما يجوز على أكرم الخلق وأفضلهم لابد أن يكون جائزا على من عداه من أنبياء الله، الذين لم يدركوا مقامه، ولم يصلوا الى درجته.

كما أن القارئ الكريم قادر على الربط بين الأمور، والإستفاده من المقولة الواحدة في المواقع المختلفة التي تناسبها.

وعدا عما قدمناه في هذا الجزء، وفي الأجزاء السابقة، فإننا نقدم للقارئ الكريم الأمور التالية:

649 . النبي لا يعرف اللغات.

650 . النبوة لا تقتضي التفوق المطلق في كل شيء.

651 . لا مانع من التفوق كميزة شخصية لا كميزة نبوية قيمة.

652 . التفوق الشخصي في أكثر الصفات لا في جميعها.

يقول البعض:

"وتتحدث بعض الآيات عن موضوع العلم باللغات، لتشير الى أن ذلك وارد بالنسبة الى النبي، وذلك في قضية اتهام الكفار للنبي، بأن هناك إنساناً يقوم بتعليمه، فيجيء الرد القرآني عليها حاسما، على أساس أن هذا الشخص الذي ينسبون إليه تعليم النبي من الأعجميين، بينما نجد القرآن عربيا مبينا.. فكيف يمكن أن تصح التهمة.. ومن الطبيعي أن هذا الرد لا يصلح لإفحام الكفار إلا إذا كان النبي لا يعلم لغة هذا الأعجمي.. لأنه . في هذه الحالة . لا يستطيع أن يفهم منه، أو يقوم بمهمة الترجمة لما يمليه عليه ذلك من أحاديث التوراة والإنجيل وغيرهما.

قال تعالى:

{ ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين } {103/16}

إننا نتحفظ في ذلك، في إطار الفكرة التي تربط النبوة بالتفوق المطلق في كل شيء، لأن النبوة لا تقتضي ذلك الذي يقررونه كله.. ولكننا لا نمانع في أن يكون للنبي أكثر الصفات المذكورة من ناحية واقعية موضوعية.. كميزة شخصية خاصة، لا كميزة نبوية حتمية في حساب الحكم العقلي القاطع . كما يقولون(1) .

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . إن الآية التي استدل بها لا ربط لها بمسألة معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) باللغات؛ لأنها إنما تتحدث عن دعواهم: أن هذا القرآن المعجز لهم في بلاغته الفائقة هو من صنع إنسان بعينه، فهو ليس وحياً من الله سبحانه، ولا هو من إنشاء النبي محمد (صلى الله عليه وآله)..

---

(1) المعارج: ص 656 و 657، والحوار في القرآن، ص 105.

وكأنهم لا يريدون نسبة ذلك إليه، لأن ذلك يستبطن الإعتراف له بالتفوق عليهم، حين قام بما عجزوا هم عنه، كما أنهم يدعون: إن منشئ القرآن هو رجل أعجمي . وربما يقصدون أنه من أهل الكتاب، لأنهم كانوا مبهورين بهم، ويعتبرونهم هم مصدر المعارف الدينية، وينظرون إليهم نظر التلميذ الى معلمه، وعلى هذا الاساس فإنهم ينسبون ما جاءهم به من معارف دينية، وتفصيلات إيمانية وغيرها إليهم، على اعتبار أنه لابد أن يكون قد أخذه من واحد من هؤلاء.

فجاء الرد القرآني الإلهي على هذه الدعوى الزائفة ليقول: إن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من إنشاء بشر، بل البشر يعجزون عنه، فكيف إذا كان هؤلاء البشر لا يعرفون اللغة العربية، وهذا القرآن لسان عربي مبين.

ولم تتحدث الآية عن أمر الترجمة لما يمليه ذلك الأعجمي على النبي (صلى الله عليه وآله) من أحاديث التوراة والإنجيل.

2 . ما هو المبرر لحكمه بأن النبوة لا تقتضي التفوق المطلق على سائر البشر من غير الأنبياء؟!، فإن النبوة إذا كانت اصطفاءً إلهياً، واجتباءً ربانياً، فما هو معنى أن يختار الله سبحانه . المفضول ويترك الفاضل؟! كما قرره هذا البعض . حسبما نقلناه عنه في هذا الكتاب . وكيف رجح ذاك على هذا؟!. ما دام أن من يرى لنفسه امتيازاً على غيره في أي مجال كان، ولو في مجال اللغات، سيجد في نفسه حالة من الترفع والإباء عن الإنقياد وإخلاص الطاعة لذلك الغير، ولن يكون ذلك السخي بكل شيء، حتى بروحه وولده امتثالا لأوامره.

بل سيجد نفسه غالياً ونفيساً لا يدرك الآخرون قيمته، ولذلك يفرطون فيه خصوصاً وان ذلك النبي سيكون معذوراً بجهله، الذي اذا فتح بابه فإن احتمالاته سوف ترد في مختلف الشؤون والحالات..

نقول هذا بغض النظر عما يستند إليه علماؤنا من أدلة قاطعة وبراهين ساطعة، ومنها الروايات الكثيرة، والمتنوعة بدرجة كبيرة، مما دل على أكملية الأنبياء والأوصياء على البشر جميعاً في جميع الحالات والشؤون، وعلى تفوقهم عليهم في مختلف العلوم والفنون، حتى ان الله سبحانه قد علم أنبياءه حتى منطق

الطير، والحيوان، وسخر لهم الريح، وعفاريت الجان.
ولهذا البحث مجال آخر..
3 . إن الآية إنما تنفي علم النبي باللغات من خلال تعلمه إياها من البشر.. فلو أنه (صلى الله عليه وآله) قد علم اللغات بواسطة التعليم الإلهي، فإن ذلك يكون دليلا على ارتباطه بالغيب.. وكفى في ذلك دليلا على أنهم مبطلون في ما يوجهونه إليه من اتهامات.
4 . يضاف الى جميع ذلك: ان العرب هم الذين ادعوا: أن أهل الكتاب قد علّموا النبي هذا القرآن، وإذا كان الذي قصدوه ذا لسان أعجمي، فإن الرد يكون عليهم، بأن هذا القرآن لسان عربي مبين، فكيف يحسن ذلك الأعجمي الترجمة بهذا المستوى من الإعجاز، ويعجز العربي نفسه عن إنشاء مثل هذا القرآن .
653 . مهمة الأنبياء هي . فقط . التبشير والإنذار .
654 . الله يعلم الأنبياء ما يحتاجونه في نبوتهم، لا أزيد من ذلك.
655 . لا دليل على لزوم كون النبي (ص) أعلم الأمة في كل شيء.
656 . قد يعلم الله نبيه ما يحتاجه في مهمته الرسالية . وقد لا يعلمه.
657 . ليس من الضروري أن يعلم النبي علم الذرة والكيمياء.
658 . علم الذرة والكيمياء و والفيزياء، لا صلة لها برسالات الأنبياء.
سئل البعض:
النبي أو الإمام إما أن يكون هو الأعلم أو لا يكون، فإذا لم يكن الأعلم، فهناك من يستحق هذا المنصب غيره لأنه أعلم وأفضل منه.
وإن كان هو الأعلم، فبناء على ذلك يجب أن يكون أعلم أمته، وأعلم السابقين واللاحقين، وذلك طبعا بلطف من الله، وهذا يعني أيضاً أن يكون مستوعباً لآخر العلوم والمكتشفات، وبالتالي يكون لديه علم الغيب، فكيف يكون ذلك ؟
فأجاب:

"نحن نتكلم استناداً الى القرآن، فالله أرسل الأنبياء مبشرين، ومنذرين { وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين } {الانعام :48}، { وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً } {الفرقان:65}، { يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً } {الأحزاب: 45 . 46}، والله يعلم نبيه، ويعلم أولياءه من الغيب، ما يحتاجونه في نبوتهم، وليس من الضروري أن يعلموا الغيب كله، كما يقول السيد المرتضى.. فليس من الضروري أن يعلم النبي علم الذرة، وعلم الكيمياء، وعلم الفيزياء، لأنها ليست ذات صلة برسالتهم، أما وجوب ان يكون النبي أعلم الأمة، في كل شيء حتى ما لا علاقة له بمهمته

الرسالية، ولكن الله قد يعلمه من ذلك ما يحتاجه فيه أو إذا أراد علم، فليس لدينا دليل على هذا."(1)

وقفة قصيرة:

ونلاحظ هنا ما يلي:

1 . اذا كان الله سبحانه قد أرسل أنبياءه مبشرين ومنذرين، فلا يعني ذلك أن مهمتهم محصورة في ذلك.. وما ورد من ذلك في بعض الآيات القرآنية لابد أن يتكامل وينضم الى ما ورد في الآيات الأخرى، كقوله تعالى:

{ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم، يتلو عليهم عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة } (2).

وفي هذا الكتاب تبيان كل شيء.

وقوله تعالى : { لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله لقوي عزيز } (3).

وقال سبحانه: { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً أو نذيراً } (4). والمراد بكافة للناس، أي من يكف الناس عن تجاوز الحدود..

وقال: { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } (5).

---

(1) الندوة: ج 1 . ص 360 .

(2) سورة الجمعة: الآية: 2.

(3) سورة الحديد: الآية: 25.

(4) سورة سبأ: الآية: 28.

(5) سورة النساء : الآية: 59.

وقال: { يسألونك عن الأنفال، قل الأنفال لله والرسول } (1).

وقال سبحانه: { كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، إن الله قوي عزيز } (2).

وكل ذلك يدل على أن مهمة الأنبياء لا تقتصر على التبشير والإنذار، بل فيها سلطة، وتحتاج الى نصرة بالغيب. وسيكون فيها غلبة من موقع العزة والقوة.. كما أن جعل الانفال والخمس لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، واعتباره كافة ومانعاً للناس عن تجاوز الحدود، واعطاءه مقام الشفاعة، وإعطاءه مقام الشهادة على الخلق.. ان كل ذلك وسواه مما يضيق المقام عن تعداده يعني أن النبي ليس مجرد بشير ونذير، وشهادته على الخلق تستدعي أن يملك قدرات يستطيع من خلالها أن يطلع على أعمال الخلائق الجوارحية والجوانحية، ومنها عقائدهم ونواياهم وأحاسيسهم ومشاعرهم من حب وبغض وحقد

وحسد ورأفة وقسوة قلب وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة الأمر والنهي.. وذلك ليستطيع أن يشهد عليهم، { رسولاً شاهداً عليهم } (3) { يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً } (4) وكذلك الإمام، وكذلك السيدة الزهراء . عليها السلام . بإعتراف هذا البعض، ولأجل ذلك فإننا لا نستغرب إذا سمعنا، وقرأنا أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يرى من خلفه، كما يرى من أمامه، وأنه تنام عيناه، ولا ينام قلبه.. وأنه يرفع للإمام عمود من نور فيرى أعمال الخلائق، وأنها تعرض عليه دورياً..

وأنه (صلى الله عليه وآله) كان يكلم النمل، والشجر والحجر، وأنواع الحيوانات، وكل قوم بلغتهم.. والى آخر ما هنالك مما يفوق حد الحصر والإحصاء .

---

(1) سورة الأنفال: الاية: 1.

(2) سورة المجالة: الآية: 21.

(3) سورة المزمل، الآية: 15.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 45، وسورة الفتح، الآية: 8.

ولو كانت القضية تنتهي عند حدود التبشير والإنذار اللذين قد يقوم بهما حتى غير النبي. أو حتى لو كان الأمر ينتهي عند حدود الشهادة، لم يكن ثمة حاجة الى أن يخلق الله أرواح النبي والأئمة قبل خلق الخلق بألفي عام، وأن يجعلهم أنوارا معلقين بساق العرش، فإن هذا وسواه كثير مروي في كتب الفريقين من سنة وشيعة.

ولم يكن ثمة حاجة الى المعراج.. ولا كان لدى وصي سليمان علم من الكتاب يأتي به بعرش بلقيس من اليمن الى بيت المقدس..

وكذلك فإن سليمان وداود (عليهما السلام) لم يحتاجا الى علم منطق الطير، ولا الى أن يلين الله الحديد لداود، ولا الى تسخير الريح وغيرها لسليمان..

فإن التبليغ والإنذار، وحتى حكومة الناس بالعدل لا تحتاج الى شيء مما ذكرناه.. لو كانت مهمة الأنبياء محصورة بذلك ومقصورة عليه..

2 . إن ما أوكله الله الى أنبيائه لا يعرف عن طريق العقل فلا بد من النقل فيرد السؤال: ما هي الآية أو الروايات المفيدة للقطع . حسب ما قرره ذلك البعض . التي دلت هذا البعض على أن النبي والإمام لا يحتاجان الى علم الذرة والكيمياء، والفيزياء؟! أو أن ذلك ليس ضرورياً لهما في مهماتهما التي أوكلها الله إليهما؟!، وفي معارفهما؟! وفي ما يرتبط بتكوين شخصية النبي والإمام؟!، وفي مقام إعدادهما لهذا المقام؟!.

3 . ما الدليل الذي أقامه هذا البعض على: أنه لا يجب أن يكون النبي والإمام أعلم الأمة في كل

شيء.. فإن النفي عنده يحتاج إلى دليل يفيد اليقين بالنفي ولا يكفي مطلق الحجة.
4 . إن غاية ما عند هذا البعض هو قوله: "ليس لدينا دليل على هذا" فالذي ليس لديه دليل على الإثبات هل يكون عدم دليله على الإثبات دليلا على النفي ؟!..
5 . ان هذا البعض يدعي أن علوم الذرة والكيمياء والفيزياء لا صلة لها برسالتهم..

ومن الواضح أن نفي الصلة بين الرسالات وبين العلوم المذكورة يحتاج إلى اطلاع على حقائق الكون، ومعرفة الغيوب بصورة مباشرة وذلك غير متيسر لنا نحن البشر على الأقل فهل هو متيسر لهذا البعض؟!
وعلى كل حال، فإن السؤال يبقى هو السؤال:
ما هو الدليل على نفي هذه الصلة، فإن هذا البعض نفسه يقول: إن "النفي يحتاج الى دليل كما الإثبات يحتاج الى دليل".
659 . النبي لم يكن ملما بتاريخ الأنبياء قبل النبوة.
660 . قلة وعي النبي للمشاكل التي تواجهه هي بسبب جهله بتاريخ الأنبياء.
661 . لو كان ملماً بتاريخهم لتصرف على سنة الله في رسله ورسالاته.
662 . لو كان ملماً لعرف كيف يخطط على ضوء تجارب الأنبياء.
663 . الله أراد لكل مرحلة أن تستفيد من التاريخ الرسالي للمرحلة السابقة.
664 . الاستفادة لكل مرحلة لا تتحقق الا بالوحي الإلهي الذي يقص عليه أنباء الرسل.
665 . الله لم يكن قد زوّد رسوله بكل تعليماته وتشريعاته وتوجيهاته.
666 . القرآن يؤكد جهل النبي بالأديان السماوية قبله.
667 . النبي كان له مستوى ثقافي عال.
668 . المستوى الثقافي للنبي هو من خلال تجاربه.
669 . المستوى الثقافي للنبي هو من خلال تأملاته.
670 . المستوى الثقافي للنبي هو من خلال ملكاته الفكرية والروحية .
ويقول البعض في تفسير قوله تعالى:
{ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت فيه فؤادك } {130/13}.
وقوله :
{ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك، ورتلناه ترتيلا } { 33/35}.
. يقول . ما يلي:

" وربما كان المراد به التقوية للروح النبوية في حركة التفاصيل ليواجه المواقف من خلالها بالصلابة الثابتة التي لا تهتز أمام التحديات من خلال الحديث عن تاريخ الأنبياء الذي لم يكن ملما به قبل نزول القرآن ليزداد بذلك وعيا للمشاكل التي تعيش في حركة الرسالة في الواقع، وليتصرف . من خلال ذلك . على سنة الله ورسله ورسالته ليعرف كيف يخطط الخطة في اتجاه الوصول الى الهدف على ضوء تجارب الأنبياء في واقع النبوات، لأن الله أراد للتاريخ الرسالي أن تقدم كل مرحلة تجربتها للمرحلة الأخرى، وأن يوحي كل نبي من خلال تاريخه بنتاج حركته للنبي الآخر، ولن يكون ذلك إلا بالوحي الإلهي الذي يقص عليه أنباء الرسل ما يثبت به فؤاده.

أما في الآية الثانية فإنها تتحدث عن جزئيات التحديات في التطورات السلبية أو الإيجابية التي تعيشها الرسالة، ويواجهها الرسل في التجربة الرسالية في الحرب والسلم، لتمنح كل موقف حكمه، ولكل مشكلة حلها، ولكل معركة سلاحها، ولكل تجربة درسها، لأن الله كان ينزل آياته تبعاً لحاجة الواقع الذي يبحث عن الأجوبة في أكثر من علامات الاستفهام ، ولم يكن قد زود رسوله بكل تعليماته، وكل تشريعاته وتوجيهاته له وللمسلمين، ولذلك كان النبي (ص) يردد كلمته المأثورة . عند إلحاح المسلمين عليه في إصدار الموقف الحاسم . (إني أنتظر أمر ربي) لأن ذلك هو الذي يعمق في نفوس المسلمين أن النبي لم يصدر فيما يبلغه أو يعالجه من موقف ذاتي، بل من وحي إلهي، حتى لا تختلط لديهم شخصية الذات في تصورهم للجانب الذاتي للرسل مما قد يملكون الحرية قي قبوله أو رفضه . كما يتخيلون . وشخصية الرسول في حديثه عن الله مما لا بد لهم أن يقبلوه من دون مناقشة على اساس الخط الشرعي الإسلامي الذي جاء في قوله تعالى:

{ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم } { 33/ 36 }.

ولذلك كانوا يسألونه . حسب رواية السيرة . عن كل ما يصدره: هل هو رأي ارتأيته أو هو وحي من الله ليحددوا موقفهم منه على أساس تحديد ذلك، لكننا نرى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن له شخصيتان في حركته الرسالية في الشؤون الخاصة والعامة، لأنه كان يمثل التجسيد الحي للرسالة فهو القرآن الناطق الذي يتمثل القرآن الصامت في كل سيرته قولاً أو تقريراً:

{ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى } ...

{ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيها شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً } {64/4}.

{ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } {31/33}

فهو القدوة والأسوة في كل شيء فكيف يكون له شخصيتان في سلوكه العملي مع الناس، لتختلف فيه شخصية الإنسان عن شخصية الرسول، أما تثبيت الله للذين آمنوا فإنه يحصل من خلال القرآن الذي

يعمق فيهم الإيمان بالله، ويفتح لهم آفاق المعرفة بالله، وبخلقه وبمنهجه ورسالته وشريعته..."(1).
ويقول في مورد آخر:
"وعلى ضوء ذلك كله لا بد لنا من استيحاء القرآن في سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لنبدأ من ثقافته قبل النبوة، هل درس الانجيل في تلك المرحلة ؟ وهل كان مطلعاً على التفاصيل التاريخية للأنبياء، وهل كان يقرأ أو يكتب؟
إن الصورة القرآنية تؤكد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن ملماً بذلك كله، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:
{ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة، وعلمك ما لم تكن تعلم } {113/4}"(2).
ويسأل هذا البعض أيضاً:
ما المستوى الثقافي الذي كان عليه النبي (ص) قبل نبوته ؟
فيجيب:

---

(1) المعارج: ص 558 و 559.
(2) المعارج: (مجلة) ص 545.

"لا بد لنا من استيحاء القرآن في سيرة النبي محمد (ص) لنبدأ من ثقافته قبل نبوته، فالصورة القرآنية تؤكد أن النبي (ص) لم يكون (كذا) ملماً بالاديان السماوية التي جاءت من قبله،و انه لم (يكون) يجيد القراءة أو الكتابة فقد جاء في القرآن الكريم:
{ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عظيماً } {النساء/113}.
{ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم } {الشورى: 52}.
{ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون } {آل عمران: 44}.
{ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون } {يوسف:102}.
{ وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين } {القصص: 86}.
{ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون } {يونس: 16}.
وهكذا جاء القرآن ليؤكد أن النبي (ص) لم يكون يمارس القراءة والكتابة: { وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون } {العنكبوت: 48}.
وقد كان ذلك كحجة على النبوة في عمقها الغيبي لأن هذه الشمولية الثقافية لا يمكن أن تكون منطلقة من الجهد البشري من إنسان لم تكن له أية تجربة ثقافية من خلال اطلاعه على مصادر المعرفة الكتابية

أو غيرها.

ولكن ليس معنى ذلك أن النبي (ص) كان لا يملك المستوى الثقافي العالي من خلال تأملاته وتجاربه والألطاف الألهية عليه في ملكاته الفكرية والروحية من خلال إعداد الله له للمهمة الكبرى في الرسالة الاسلامية"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

---

(1) المعارج: 604 و 605 .

1 . ان الصورة القرآنية تؤكد أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعرف ملة ابيه ابراهيم شيخ الانبياء (عليه السلام)، وكان متبعاً لها وملتزماً بها قال تعالى: { ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا، وما كان من المشركين } (1).

2 . إن الآيات التي استشهد بها على أقواله لا تدل على ما يرمي اليه، وذلك لأن بعضها . كآية سورة النساء: 113 وفيها: { وعلمك ما لم تكن تعلم } يدل على أن ما عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) من معارف إيمانية ومن حكمة وكتاب إلهي هو من الله سبحانه، وقد علم الله سبحانه نبيه بالإضافة الى ذلك أموراً لم يكن (صلى الله عليه وآله) عالماً بها.. وذلك لا يعني: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن ملماً بالأديان قبل أن يبعثه الله رسولاً، إذ أن قوله تعالى: { علمك ما لم تكن تعلم } لم تبين لنا متى علمه ذلك، كما انها لم تحدد الامور التي علمه إياها، فهل علمه الأديان السماوية التي سبقته؟!، أو أنه علمه التفاصيل التاريخية لحياة الأنبياء؟!، أو علمه أسرار الخلق والخليقة، وألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب.. وهي التي علمها (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام)؟!.

إن ذلك لم يتضح من الآية.. فكيف اتضح لذلك البعض أن المقصود هو هذا دون ذاك ؟!

على أن قوله(ص): (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين). وكونهم أنواراً معلقين بساق العرش قبل خلق الخلق بألفي عام يشهد بأن علمهم سابق حتى على خلق الخلق فلماذا العجب إذن إذا حدثت فاطمة أمها وهي في بطنها وما إلى ذلك؟!..

---

(1) سورة النحل: الاية: .123

3 . وأما آية سورة الشورى 52 فإن قوله: { ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان } لا يريد به نفي ذلك عنه قبل بعثته كرسول، وإلاّ لزم أن يكون (صلى الله عليه وآله) . والعياذ بالله . كافراً قبل البعثة، لأنه نفى عنه صفة الإيمان أيضاً.. وذلك لا يمكن أن يصح. مما يعني: أن المراد بالآية أنه (صلى الله عليه وآله) إنما تلقى الوحي بواسطة الروح من قبل الله سبحانه.. فقولهم: إنها أساطير الأولين اكتبتها، وقولهم: إنما يعلمه بشر، ونحو ذلك، باطل لا يصح.

فالمراد بالآية: أنك يا محمد لولا وحينا لك بواسطة الروح، وهو جبرئيل لم تكن تدري ما الكتاب. ولولا هدايتنا لك بالفطرة، وبحكم العقل الصر يح لم تكن تدري ما الايمان.

ويبقى سؤال: متى كان هذا الوحي له (صلى الله عليه وآله)..

ويأتي الجواب: أن الروايات قد دلت على أنه (صلى الله عليه وآله) قد كان نبياً قبل أن يكون رسولاً بل دلت الروايات على أن نبوته قد بدأت من حين ولادته (صلى الله عليه وآله وسلم).

4 . وأما آية سورة آل عمران /44: { وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم } ، فهي واضحة الدلالة على أن المراد أن الوحي هو الذي أعلمك يا محمد بأنهم قد ألقوا اقلامهم أيهم يكفل مريم ألخ.. ولولا الوحي فإنك لا تستطيع معرفة ذلك، أما متى كان هذا الوحي فقد أشرنا الى أن الروايات هي التي تحدِّد ذلك فقد يكون منذ الولادة وقد يكون بعدها.

5 . وكذلك الحال بالنسبة لآية (102) من سورة يوسف، وهو قوله تعالى: { ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك.. } فإنها دالة على أن معرفته (صلى الله عليه وآله) بتلك الأخبار الغيبية إنما كانت عن طريق الإنباء والوحي، لكنها لا تعين لنا متى كان ذلك، فلعله كان قبل سنوات من البعثة، لكنه لم يؤمر بإبلاغه الى أن يحين وقته، وقد حان وقته الآن...

6 . ونفس هذا الكلام يجري بالنسبة للآية (86) من سورة القصص: أعني قوله تعالى: { وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك } ، فإن المراد بها أن إنزال القرآن عليه كان رحمة من الله، فرجاؤه إنما هو سبيل رجاء الرحمة الإلهية.

ولا دليل يثبت أن حدوث هذا الرجاء كان حين البعثة، فلعل رجاءه هذا قد بدأ في أول حياته..

7 . أما آية سورة يونس: { قل: لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به } فإنها تدل على أنه إنما أذن الله سبحانه له في تلاوة القرآن عليهم بعد مضي عمر طويل قبل ذلك..، ولكن ذلك لا يعني أن القرآن قد نزل عليه في أول يوم بعثته إليهم، فلعله نزل عليه قبل سنين كثيرة، لكن الله لم يأذن له بتلاوته عليهم إلا في هذا الوقت..

8 . وأما آية سورة العنكبوت (48): { وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك } .. فلا تدل على أنه لم يكن يعرف القراءة، بل هي تتحدث عن التلاوة التي هي إلقاء الكلام ولو عن ظهر قلب.

فالمقصود: أنه لم يتل عليهم أياً من كتب السابقين.. كالتوراة والإنجيل ونحوهما.
بل هي لا تدل أيضاً على أنه لم يكن يعرف الكتابة، لأنها إنما تتحدث عن أنه (ص) لم يكن يخط الكتب السالفة بيمينه.. فكيف يتهمونه بأمر ما رأوه قد مارسه، ولا يوجد أي دليل على أنه اطلع على أي كتاب سابق.. لا من خلال تلاوته له، ولا من خلال كتابته لمضامينه، فما هو المبرر لإتهامه بأنه قد استفاد من تلك الكتب إلا مجرد الحدس والتخمين، والرجم بالغيب.
الأمر الذي من شأنه أن يسقط اتهاماتهم عن أية قيمة، لعدم وجود أساس معقول لها.
فاتضح مما تقدم: أن ما ذكره في معنى الآيات ليس هو المعنى النهائي، الذي لا محيص عنه فيها، بل إن هناك معان محتملة، وقريبة لها، فلا مبرر للإستدلال بها.
9 . العبارة الأخيرة لهذا البعض تشير الى أن مصدر معارفه (ص) قبل النبوة هو تأملاته، والألطاف الإلهية عليه في ملكاته الفكرية والروحية.

ومن الواضح أن ذلك لا يكفي في اعتباره (ص) مثقفاً، فضلاً عن أن يملك المستوى الثقافي العالي على حد تعبير هذا البعض رغم تحفظنا الشديد على مثل هذه التعابير بالنسبة للأنبياء (عليهم السلام) فإن التأمل، والملكات الفكرية والروحية للنبي لا تجعله عالماً بما جرى للسابقين، ولا مطلعاً على شيء من التفاصيل التاريخية لمن سبقه من الأنبياء، كما أن ذلك لا يجعله ملماً بالروايات وبالآيات السماوية التي جاءت أو نزلت من قبله..
بل يكون علماء أهل الكتاب والحالة هذه، وكذلك غيرهم أعلم منه في ذلك، لأنهم يملكون ولو مقداراً ضئيلاً من تلك المعارف مهما كان مشوباً بغيره من الأباطيل.
10 . ولو سلمنا: أن التأملات والملكات الفكرية تجعله عالماً، فإن علم الأنبياء يصبح منوطاً بمراتبهم االمعنوية، فهي التي تؤهلهم لخوارق العادات، حتى مثل الإتيان بعرش بلقيس، بإذن الله.. وما الى ذلك مع أن النص القرآني يقول: { عنده علم من الكتاب } مما يشير إلى أن هذا العلم الذي حصل عليه من الكتاب، لا من التأمل، هو الذي مكّنه من الإتيان بالعرش من اليمن إلى بيت المقدس.
11 . لا ندري لماذا فقد النبي (صلى الله عليه وآله) هذه المعرفة.. وقد كان حرياً بأن يكون عالماً بالشيء الكثير من ذلك، ولو من خلال معاشرته لجدّه عبدالمطلب، وعمه أبي طالب، وسواهما من الناس الذين عرفوا شيئاً من تواريخ الأنبياء السابقين، وما عرفوه وألموا به من تعاليم الأديان السماوية..
671 . عتاب يكشف عن الخطأ غير المقصود للتصرف.
672 . المصلحة الغالبة كانت في عدم الإذن لهم.
673 . النبي يخالف الأولى في التصرف.
674 . وسائل النبي في تعامله تخطئ وتصيب كوسائل القضاء.

675 . النبي يخطئ في رصد الأشياء الخفية.
676 . عدم وضوح وسائل المعرفة توقع النبي في الخطأ.
677 . الغيب محجوب عن النبي، إلا فيما يوحى إليه.
678 . القرآن يتحدث كثيراً عن مخالفة الأولى للانبياء.

679 . الأنبياء يخالفون الأولى بسبب غموض ظواهر الأشياء.
يقول البعض؛ في تفسير قوله تعالى: { عفا الله عنك لم أذنت لهم } (1):
"لأن مثل هذه الكلمة تستعمل في مقام العتاب الخفيف الذي يكشف عن طبيعة الخطأ الغير مقصود للتصرف، كما أن الحادثة لا تحمل في داخلها أية حالة من حالات الذنب، فالنبي يملك أمر الحرب، فيأذن لمن يشاء بالخروج أو لا يأذن، فليس للمسألة واقع خارج نطاق إرادته، وليست هناك أوامر إلهية في مسألة خروج هؤلاء، وعدم خروجهم، ليكون تصرفه (عليه السلام) مخالفة لها، بل كل ما هناك أن الله أراد أن يضع القضية في نصابها الصحيح من المصلحة الغالبة في ترك الإذن لهم ليفتضح أمرهم ويتبين زيفهم بشكل واضح، فيتعرف المسلمون على حقيقتهم، فيرفضوهم من موقع الحقيقة الداخلية التي تتكشف من خلال تصرفاتهم فالمسألة تدخل في دائرة مخالفة ما هو الأولى في التصرف، وليس في ذلك إنتقاص من عصمته وانسجامه مع الخط الذي يريد الله له أن يسير فيه. فقد ترك الله للنبي (صلى الله عليه وآله) مساحة يملك فيها حرية الحركة من خلال ما يدبِّر به أمر الأمة بالوسائل العادية المألوفة التي قد تخطئ في بعض مجالاتها، لا بالوسائل الغيبية التي لا يملكها بطريقة ذاتية، لم يكشفها الله له بشكل مطلق، تماما كما هي الحال في ممارسته القضاء بين الناس حيث قال: { إنما أقضي بينكم بالأيمان والبينات } (2).
معنى خطأ النبي:

---

(1) قد ذكرنا شطراً من كلام هذا البعض في الجزء الأول من هذا الكتاب ص 159، فراجع.
(2) الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية . طهران، ج 7، ص 414، رواية 1.

وليست هناك مشكلة أن يقع الخطأ، في ما هو الواقع في رصد الأشياء الخفية من خلال غموض الموضوع لعدم وضوح وسائل المعرفة لديه، ما دام الغيب محجوباً عنه، إلا في ما أوحى به الله إليه من أسرار علمه، وهذا ما أراد القرآن تأكيده في أكثر من آية في توضيحه لكثير من حقائق الامور بعد وقوعها وتحركها في دائرة خلاف الأولى، في ما كان وجه الصلاح غامضاً فيه من جهة ظواهر الأشياء، كما في هذه المسألة التي أراد الله أن يوحي من خلالها بالحقيقة الى نبيه، الذي أذن لهم في

عدم الخروج انطلاقا من سمو أخلاقه، وسعة صدره، ومواجهته الحالة بالرفق واللين، من خلال ما حدثنا الله به عن أسلوبه في الحياة، ولكن القوم لم يكونوا بالموقع الذي يستحقون فيه ذلك، وهكذا كان خطابه لنبيه بأسلوب العتاب المحبب { لِمَ أذنت لهم } في ترك الخروج، فقد اعتبروا ذلك حجة لهم أمام المسلمين الآخرين في تأكيد صدقهم في الإيمان، وانسجامهم مع خط الطاعة لله وللرسول"(1).

وقفة قصيرة

ونقول:

1 . ان الكثيرين حين لا يهتدون الى معرفة الوجه في تعابير الآيات القرآنية في العديد من الموارد التي تتحدث عن بعض مواقف الأنبياء وحركتهم وتصرفاتهم، يلجأون الى القول: بأن هذا التصرف المنسوب للنبي أو الولي هو من قبيل مخالفة الأولى في مقام التصرف، ومخالفة الأولى لا تنافي العصمة..

مع أن هذا الكلام غير سديد، فإن مخالفة الأولى إن كانت ناشئة عن الجهل بوجوه الحسن والقبح، وبما ينبغي أن يكون عليه.. فنحن نجل الأنبياء عن ان يكونوا غير قادرين على التمييز بين الأمور التي لا يحتاج التمييز ومعرفة الراجح منها الى أكثر من التدبر في جهات الحسن الظاهرة في هذا العمل أو ذاك، والموازنه بينهما..

وإن كان النبي والوصي يدرك رجحان هذا على ذاك، ولكنه يتبع هواه في الأخذ بالمرجوح منهما، فالمصيبة تكون أفدح، وأعظم، والخطب أمرّ، وأدهى.

---

(1) من وحي القرآن: ج11 . ص124 و 125.

وإن كان يأخذ بالمرجوح من دون سبب سوى الإستهتار، وعدم المبالاة.. فإن ذلك أيضاً مرفوض في حق الأنبياء، والأولياء، فلا يقبل في حقهم أن يكونوا يرجحون غير الراجح، أو يرفضون الأخذ بما هو أولى بالأخذ، فإن ذلك يكشف عن عدم وجود توازن في شخصية هذا الإنسان المعصوم، وعن أنه يفقد الضوابط والمعايير التي يفيده الإلتزام بها ومراعاتها في هذه الحياة..

وما أعظمها من كارثة، وما أخطره من نقص أن يكون الإنسان غير قادر على إختيار الأفضل والأمثل..

ومن يكون هذا حاله كيف يصح أن يختاره الله ليكون الاسوة والقدوة، والمربي، والحافظ... فقد يتخلى عما هو الأولى في أشد المواقف حساسية، وأعظمها خطراً، كما يذكرونه بالنسبة لآدم (عليه السلام).

وبعبارة أخرى: إن اختياره للمرجوح لا ينسجم مع حكمته، وعقله، ومع توازن شخصيته، كما أن الله سبحانه لا يمكن أن يختاره نبياً، ولا ولياً خصوصاً إذا كان ثمة من يختار الراجح والأولى ويترك المرجوح، فإن اختيار ذاك على هذا ينافي الحكمة، والتدبير، والرحمة بالبلاد وبالعباد.. تعالى الله عن

ذلك علواً كبيراً..

ومهما يكن من أمر فإن العلماء إذا غفلوا عن هذا الأمر، وتحدثوا عن إمكانية مخالفة النبي للأولى فإنهم بمجرد أن نلفت نظرهم إلى هذه المحاذير فإنهم يبادرون إلى التخلي عن قولهم ذاك لصالح القاعدة التي يلتزمون بها.

ولكن هذا البعض بملاحظة هذا الكم الهائل من المقولات قد اتخذ له منهجاً آخر، وتكوّنت لديه نظرة أخرى للأنبياء وقد جاءت مقولاته هذه منسجمة مع هذه النظرة وذلك المنهج، فلا يصح قياس أمره عليهم وما ذكرناه عنه في هذا الكتاب خير شاهد على ذلك.

2 . إن قياس هذا البعض سلوك الأنبياء، وتعاملهم مع الناس، ومع الله، ومع أنفسهم، وفي جميع المواقع، على أمر القضاء بين الناس قياس مع الفارق..

فإن الله سبحانه قد شاء أن يعتمد نبيه، ووليه وسائل معينة في القضاء، لأن الإعتماد على الغيب في القضاء وفقاً للتحليل التاريخي . حسب مصطلح البعض . من شأنه أن يفسح المجال أمام قضاة السوء، و حكام الجور لأن يدعوا على الناس ما ليس لهم بحق، وتكون حجتهم هي: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد فعل ذلك، ونحن خلفاؤه، ونجلس في موقعه، ونقوم بمهاته، فإذا كان هو يقتل القاتل، ويقيم الحد على السارق، استناداً الى علمه، ومن دون حاجة الى شهود فنحن أيضاً نفعل ذلك..

فيأخذون الناس بهذا الأمر، ويقتلون من يشاؤون، وينكلون بالناس حسبما يشتهون، ويستفيدون من هذا الغطاء الشرعي . بحسب ظواهر الأمور . لتأكيد سلطانهم، والقضاء على خصومهم ومعارضيهم، وابتزاز الناس في أموالهم، وأعراضهم و ومواقفهم، وما الى ذلك..

وقد يكون هذا مدخلاً للقضاء على كل عناصر الفضل والخير والدين، وإبادة قوى الصدق، والإيمان، والصلاح، والتخلص من كل ما يخافون منه..

3 . أما بالنسبة لمعنى الآية، فإننا قد بيّناه في الجزء الأول من هذا الكتاب ص 159 فراجع..

680 . النبي لا يملك أية مقومات ذاتية كبيرة.

681 . النبي لا يملك أية قدرات شخصية مطلقة.

682 . الدرس الفكري: أن لا نغرق انفسنا بالأسرار العميقة التي يحاول البعض إحاطة شخصية النبي بها.

683 . يحيطون النبي بالأسرار للإيحاء بأنه يرتفع فوق مستوى البشر.

684 . النبي ليس فوق مستوى البشر في إمكاناته الذاتية.

685 . النبي ليس فوق مستوى البشر في قدراته الكبيرة.

686 . هو فوق البشر بأخلاقه، وخطواته، ومشاريعه المتصلة برسالته.

687 . علينا أن نشعر أن النبي قريب منا بصفاته البشرية التي هي اساس التمثل والإتباع، والإقتداء.
688 . الأبحاث السائرة في هذا الإتجاه، إنحراف عن الخط القرآني في دراسة شخصية النبي.
689 . الله قد يطلع النبي على بعض غيبه، مما قد يحتاجه في نبوته من علم المستقبل، أو خفايا الأمور.

690 . التصور القرآني ينفي فعلية علم النبي للغيب من الناحية الوجودية.
691 . النبي ليس مجهزاً في تكوينه البشري بالقدرة على علم الغيب.
692 . الله يطلع رسله على الغيب بطريقة التعليمات التدريجية.
693 . ليس علمه بالغيب منطلقاً من قدرة تتحرّك بالفعلية، بحيث يعلم بالغيب كلما أراد من خلالها.
يقول البعض:
" { إن اتبع إلا ما يوحى إلي } وهكذا اراده أن يقف بينهم عبداً خاشعاً بين يديه، لا يملك أية مقومات ذاتية كبيرة، أو أية قدرات شخصية مطلقة، رسولاً أميناً على الدور الذي أوكله الله إليه، فهو ينتظر أمر الله ووحيه في كل صغيرة أو كبيرة ليتبعه، ويبلغه للناس، وربما كان الحديث عن الإتباع موحياً بالصفة المطيعة المتواضعة التي تجسدها شخصيته ليكون في ذلك بعض الإيحاء لهم بالطاعة لله، والإستغراق في دور العبد المطيع الذي يتمثل حركة العبد (النبي)، في شخصية العبد المؤمن، وإذا كان التوجيه الإلهي يفرض على الرسول أن يقدم نفسه الى الناس بهذه الصفة فقد نجد فيه الدرس الفكري الذي يريدنا أن لا نغرق انفسنا بالأسرار العميقة التي يحاول البعض أن يحيط بها شخصية النبي، للإيحاء بأنه يرتفع فوق مستوى البشر في إمكاناته الذاتية، وقدراته الكبيرة، بل بصفته الرسالية من حيث اخلاقه، وخطواته، ومشاريعه المتصلة برسالته.

وذلك هو السبيل للتعامل مع شخصية الأنبياء، والأولياء، بالأسلوب القريب الى الوعي الإنساني العادي، في ما يمكن للإنسان أن يعيشه، ويتصوره ويتمثله في نفسه، ليشعر بأن النبي قريب منه بصفاته البشرية المثلى التي يمكن أن تكون أساساً للتمثل، والإتباع، والإقتداء، وفي ضوء ذلك، نجد في الأبحاث السائرة في هذا الإتجاه إنحرافاً عن الخط القرآني الذي يرسم للناس في دراستهم لشخصية النبي (ص)، وهنا نقطة، وهي مسألة نفي النبي في حواره مع المشركين علمه بالغيب، فقد جاء في الميزان، قال: المراد بنفي علم الغيب، نفي أن يكون مجهزاً في وجوده بحسب الطبع بما لا يخفى عليه معه ما لا سبيل للإنسان بحسب العادة الى العلم به من خفيات الأمور كائنةً ما كانت(1).
وهذا هو التصور القرآني الصحيح الذي يؤكد نفي الفعلية لعلم الغيب من الناحية الوجودية بمعنى أن يكون مجهزاً في تكوينه البشري بالقدرة الخاصة لعلم الغيب بحيث يتحرك نحوه . في فعليته . بشكل

طبيعي، بل المسألة هي أن الله قد يطلعه على بعض غيبه مما يحتاجه في نبوته من أمور المستقبل، ومن خفايا الأمور كما في قصة عيسى (ع)، { وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم } {آل عمران: 49} ونحو ذلك، ولعل هذا هو الذي أشار إليه أمير المؤمنين علي (ع) في إخباره بالمغيبات عن سؤاله: (هل هذا علم بالغيب؟) في تصورهم للمعنى الذاتي من خلال القدرات الخاصة التي يملكها في ذلك.
فأجاب: (وإنما هو تعلم من ذي علم)(2) وهذا هو الذي عبر عنه بعض المفسرين (هو علم الغيب بالعرض) أي تعلم من عالم الغيب.

---

(1) تفسير الميزان: ج7، ص97.
(2) نهج البلاغة: الخطبة 128.

وخلاصة الفكرة: هي أن الله كان يطلع رسله بطريقة التعليمات التدريجية المحدودة على الغيب كما في قوله تعالى: { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا } {الجن: 26} ولم يكن علم الغيب منطلقاً من قدرة تتحرك بالفعلية ليعلم بالغيب كل ما أراد من خلالها بحيث إن الله أعطاه ذلك من خلال القاعدة المنتجة للعلم في نفسه.. والله العالم"(1).
وقفة قصيرة:
إننا نسجل هنا ما يلي:
1 . من أين؟ وكيف علم هذا البعض أن النبي لا يملك مقومات ذاتية كبيرة، أو قدرات مطلقة، أو أن الأنبياء ليسوا فوق مستوى البشر في قدراتهم الذاتية وإمكاناتهم.
فإن ذلك من الأمور التكوينية، ومن الغيبيات التي لا يعرفها إلا الله سبحانه..، وهو يشترط في معرفة الأمور التكوينية والغيبية وغيرها، قيام الدليل القطعي، الموجب لليقين التام، ولا يكفي فيها مطلق ما هو حجة..
2 . إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) أفضل من البشر، وإذا كان الله سبحانه قد خلقه هو والأئمة قبل خلق الخلق بألفي عام، وجعلهم أنواراً بعرشه محدقين، وإذا كانوا أنواراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهرة.
وإذا كان النبي شاهداً على الخلق يرى أعمالهم الجوارحية، والجوانحية، ويشهد عليهم بها وإذا كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، وإذا كانت تنام عيناه، ولا ينام قلبه، ثم ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أنه قال لعلي (عليه السلام): (يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك. وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري)(2). وما الى ذلك، وهو كثير جداً.
فإن النتيجة تكون هي أن هناك أسراراً عميقة تحيط بهم (عليهم السلام) لا ندرك كنهها، ولا ضير في أن

نغرق أنفسنا بها، إذا كان الله ورسوله، والأئمة الأطهار (عليهم السلام) هم الذين أخبرونا عنها في محاولة لشد أنظارنا إليها، وإطلاعنا عليها لحكمة هم يعرفونها.

---

(1) من وحي القرآن: ج9، ص114 و 115.
(2) مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 310 والبحار ج 39 ص .84

3 . إن شعورنا بأن النبي (ص) قريب منا بصفاته البشرية، وكون ذلك هو أساس التمثل، والإتباع، والإقتداء صحيح، ولكنه لا يمنع من إعتقادنا أيضاً بوجود قدرات، وإمكانات غير عادية لدى هذا النبي (صلى الله عليه وآله) في جهات أخرى من شخصيته، وحياته.
بل قد يسهم وعينا لهذه الحقيقة في الحرص على الإتباع له، والتأسي به.. في الجهات العملية، في دائرة السلوك، والأخلاق، والمواقف الرسالية، والإلتزام العقيدي، والإيماني، وغير ذلك..
4 . إن الخط القرآني في دراسة شخصية النبي يرتفع بهذه الشخصية الى مراتب لا تبلغها أوهام البشر، حين يأخذ نبيه في رحلة المعراج الى السماوات العلى، حتى بلغ (عليه الصلاة والسلام) سدرة المنتهى.
وأما الآيات التي يستند اليها هذا البعض في إبعاد الأنبياء عن مواقع الكرامة الإلهية.. فقد فسرها العلماء، وبينوا معانيها.. بطريقة صحيحة، ومنسجمة مع كل المقاييس التي ارتضاها القرآن، وأكدها، والتزم بها الإسلام، وأيدها.
5 . وأما أن الله سبحانه قد يطلع نبيه على بعض غيبه، مما قد يحتاجه في نبوته، فهو كلام صحيح.. ولكنه لا يمنع أيضاً من أن يطلعه على جميع غيبه، فإن قوله تعالى: { عالم الغيب والشهادة فلا يطلع على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول } لم يحدد فيه مقدار الغيب الذي يطلع الله عليه بعض رسله، بل إن سياق الآية . على غيبه . ظاهر في إمكانية أن يطلع الله بعض رسله على كل غيبه.
فمن أين أتانا هذا البعض بالتخصص بخصوص ما يحتاجه النبي في نبوته؟!، ومن اين جاء بكلمة (بعض) في قوله: (بعض غيبه)؟!.
6 . وأما أن التصور القرآني ينفي فعلية علم النبي للغيب من الناحية الوجودية، أي أنه ينفي وجود قدرة ذاتية تمكنه من العلم كل ما أراد، وساعة يشاء.. فذلك أيضاً غير صحيح، فإن التصور القرآني يعطينا إمكانية أن يعلم الله نبيه بجميع غيبه كما ألمحنا إليه آنفا.

ولكنه ينفي أن تكون النبوة من حيث هي نبوة تقتضي علم الغيب بصورة ذاتية..
ولا ينفي إمكانية أن يكون الله قد جهز نبيه بقدرة يستطيع بها الإطلاع على الغيب ساعة يشاء، وفي كل ما يريد.. وقد دلت الأخبار الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) على ذلك..

7 . من أين علم هذا البعض: أن الله يطلع أنبياءه على الغيب بصورة التعليمات التدريجية، فإن هذا يحتاج الى دليل يقيني، ولا يكفي فيه مطلق الحجة.. كما يقول هذا البعض نفسه.

إذ لعل الله قد أطلع رسوله على غيبه كما هو مفاد الآية، لكي يرفع بهذا العلم مقامه، ويكرمه.. لكنه منعه من إخبار الناس به، فصار ينتظر أمر ربه في إبلاغ كل حدث يريد إبلاغ الناس به.

8 . على أن نفيه وجود قدرة تمكن النبي من علم الغيب يحتاج الى دليل.. حسبما قرره هذا البعض نفسه، فأين هو دليله القطعي . حسب رأيه . الذي أقامه على هذا النفي؟

694 . إمكانية أن تثير التحديات ضعفاً في النبي.

695 . قد يكون النبي يبحث دائماً عن الهروب.

696 . قد يحطم هذا الضعف شخصية النبي.

697 . قد يسيء هذا الضعف الى موقع النبي.

698 . إمكانية أن يتعقد النبي بسبب ضعف تثيره التحديات.

699 . إمكانية أن يتحول النبي الى مخلوق مختنق بأزمته.

يقول البعض:

في تفسير قوله تعالى: { فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أو ضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل } (1).

"وهنا يكمن سؤال: ماذا تعني هذه الآية في تقييم شخصية النبي محمد (ص) فهل كان يضعف أمام التحديات، لتجيء هذه الآية وأمثالها من أجل أن تقوّي ضعفه، أو تُسند له موقفه، أو تخفف عنه أحزانه، وتطيب به نفسه، وتزيل عنه آلامه ؟ وهل جاءت في أجواء التأنيب الإلهي له، أو ماذا ؟.

---

(1) سورة هود: الآية:12.

والجواب عنه: إن الآية ليست في مورد الحديث عن الحالة الواقعية الفعلية التي كانت تحيط بموقف النبي (صلى الله عليه وآله) أو تمثل شخصيته، بل كانت في مورد تقييم الطبيعة الموضوعية لما يمكن أن تثيره التحديات التعجيزية في الحالة الإنسانية من ضعف يبحث دائماً عن الهروب، مما يمكن أن يحطم شخصيته أو يسيء الى موقعه، أو يتعقد من ذلك، فيتحول الى مخلوق مختنق بأزمته، وربما كان هذا السبب هو السر في الإتيان بكلمة (لعل) التي توحي بإمكانية الموضوع، لما تختزنه مثل هذه الأمور من نتائج على مستوى الإنفعالات الإنسانية، في مواجهة عوامل الإثارة.

وبذلك يمكن أن تكون الآية عاملاً وقائياً يريد الله به حماية النبي (ص) من الوقوع في مثل هذه التجربة، أو الخضوع لهذا الإنفعال، أو تكون عملية إيحائية للعاملين . من خلال النبي . ألا يستسلموا لهذه الحالة،

لو واجهوا مثلها، إنطلاقا من فهمهم لطبيعة الدور الذي اوكله الله إليهم من الدعوة الى سبيله بالوسائل الواقعية المألوفة و مما يجعلهم لا يعيشون الضعف في مواجهة هذه التحديات، لأنهم لا يعتبرونها تحدياً لدورهم أو لقدرتهم الطبيعية، بل كل ما هنالك، أنها التحدي لما يتوهمه أولئك من دور، دون ارتكاز الى علم أو إيمان"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . إن دلالات كلمات هذا البعض ترسم للقارئ طرفاً من الصورة التي تعيش في ذهنه لأنبياء الله . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .، وليس هذا المورد الذي نحن بصدد الحديث عنه إلا أحد المفردات الكثيرة التي تجسد هذا المعنى، وتؤكده.

فقد استهل كلامه بالإشارة الى أن الآية الشريفة: لا تتحدث عن حالة واقعية فعلية.. لكنه أكد على أن الآية تتحدث عن إمكانية حدوث ذلك لنبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله)، أي يمكن أن يتعقد أو أن يختنق بأزمته، واعتبر أن هذا هو السبب في الإتيان بكلمة لعل، في قوله تعالى: { فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك } .

---

(1) من وحي القرآن: ج12، ص31.

ولكن من الواضح: أنه حتى احتمال حصول ذلك للأنبياء مرفوض جملة وتفصيلاً.. فالنبي لا يتعقد، ولا يختنق بأزمته، ولا يضعف الى درجة أن يبحث دائماً عن الهروب الى آخر ما هنالك مما ذكره..

2 . إنه قد ذكر أخيراً احتمال أن يكون عملاً إيحائياً للعاملين من خلال النبي (صلى الله عليه وآله)، الا يستسلموا لهذه الحالة فيما لو واجهوا مثلها.

ونقول له:

إنه إذا كان هذا الإحتمال كافياً في إعطاء الخطاب في الآية قيمته، وحيويته، فلماذا تثار احتمالات فيها انتقاص لمقام النبي الكريم . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين . ؟!

3 . بل انه حتى لو لم يهتد هذا البعض الى هذا المعنى الذي تشير إليه الآية فإنه لا يحق له إبداء احتمالات لا يشك عاقل في أنها تتنافى مع حقيقة النبوة، ومع مقام النبي المعصوم.. بل عليه أن يعترف بالعجز عن فهم المراد من الآية، ويرجع علمها الى أهله، وهم الراسخون في العلم من أهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

4 . ولماذا لم يلتفت هذا البعض الى ما ذكره العلامة الطباطبائي، من أن هذه الآية تريد أن توبخ الكفار على إستمرارهم في العناد، والتحدي.. وضرب مثلاً لذلك، بملك تمرد عليه بعض ضعفاء رعيته، فبعث

إليهم عاملاً له برسالة يقرؤها عليهم تدعوهم الى السمع والطاعة، وتلومهم على تمردهم، واستكبارهم، فيردون على رسوله ما بلغهم إياه، فيكتب إليهم رسالة ثانية، ويأمره بقراءتها عليهم، وإذا فيها:
(لعلك لم تقرأ كتابي عليهم خوفاً من أن يقترحوا عليك أموراً تعجيزية، او أنهم زعموا أن الكتاب ليس من قبلي، وإنما هو مفترى منك؟!.
فإن كان الأول، فإنما أنت رسول ليس عليك إلا البلاغ.
وإن كان الثاني، فإن الكتاب بخطّي، كتبته بيدي، وختمته بخاتمي)..
والآيات القرآنية التي هي موضع البحث هي تماما في هذا السياق.. والآيات هي التالية:

{ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك، وضائق به صدرك أن يقولوا: لولا أنزل عليه كنز، أو جاء معه ملك، إنما أنت نذيرٌ، والله على كل شيءٍ وكيل.
أم يقولون افتراه؟ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين.
فإن لم يستجيبوا لكم، فاعلموا إنما أنزل بعلم الله، وأن لا إله إلا هو، فهل أنتم مسلمون } (1).
700 . لعل انفعال النبي لشخصه يتجاوز انفعاله لأجل الله.
701 . التسلية للنبي لعلها لتخليصه من حالة ذاتية ترهقه.
702 . قد يحزن النبي لمسألة شخصيته ككون التكذيب موجهاً إليه كشخص.
703 . قد يواجه النبي الموقف بالمشاعر الذاتية بدلاً من العقلية الواقعية.
704 . قد يواجه النبي الموقف بالمشاعر الذاتية بدلاً من الذهنية المرنة.
705 . تسلية النبي بالإيحاء إليه أن التكذيب موجه الى الله لا إلى شخصه هو.
706 . محاولة تأكيد الفكرة في ضمير النبي لكي يفرغ ذاته من الإنفعال.
707 . النبي يواجه صدمات انفعالية صعبة . شخصية . تثقل حركته في الدعوة.
708 . ردة الفعل لدى النبي يجب أن تبتعد عن الذات والذاتيات.
709 . التكذيب لله وهو فوق الإنفعال لا للنبي الذي ليس كذلك.
710 . النبي قد يرى العمل مرتبطاً بذاته لا بمسؤوليته.
711 . لو أن النبي اعتبر العمل مرتبطاً بمسؤوليته لا بذاته لعمل بموضوعية، وهدوء.
712 . النبي قد يفهم القضية أمراً شخصياً له.. ولا يفهمها مرتبطة بالنطاق العام للرسالة.
713 . هناك حالة بشرية في النبي تحب التمرد.
714 . هناك حالة بشرية في النبي تحب الهروب من المسؤولية.
715 . مواجهة حالة التمرد والهروب بمنطق الواقع.
716 . الواقع يفرض الهدوء النفسي، وحالة النبي البشرية ليست كذلك.

717 . الواقع يفرض الإتزان العاطفي، والحالة البشرية في النبي خلاف ذلك.
718 . الواقع يفرض الثبات العقلي، والحالة البشرية في النبي ليست كذلك.
يقول البعض:

---

(1) سورة هود، الآية: 12 . 14.

"هل كان الرسول يشعر بالحزن الروحي على ما يواجهه به قومه من تكذيب ؟ وهل كانت المسألة تمثل بالنسبة إليه حالة ذاتية ترهقه ليحتاج الى التسلية التي تبعد الموضوع عن التحدي الذاتي، وتجعله بمنأى عن النتائج السلبية المؤثرة على المشاعر الخاصة، وذلك بالإيحاء له بأن التكذيب ليس موجهاً إليه، بل موجه الى الله من خلال ما يكذب به الظالمون من آيات الله ؟
وهل أن مثل هذا الأسلوب يريح النبي محمداً (ص) ؟ وإذا كان الأمر على هذا الشكل، فهل يمكننا أن نفهم أن انفعاله الشخصي يتجاوز إنفعاله لله ؟ وأخيراً، هل ينسجم مع شخصية النبي في ما نعرفه عن إخلاصه لرسالته لربه ؟
هذه هي علامات الإستفهام التي قد ترتسم أمام القارئ لهذه الآيات عندما يواجه معانيها من خلال الفهم الحرفي لألفاظها.
ولكننا نفهم منها أسلوباً قرآنياً يتحدث عن تحليل الموقف الرسالي للرسول، ولكل الرساليين الذين يتبعون خطاه، في ما يمكن أن يخضع له البشر من نوازع ذاتية أمام التحديات، فهو يوحي بوجود شيء من هذا القبيل، كفرضية قابلة للحدوث، ولكن ليس من الضروري أن تكون قد حدثت بالفعل، لينتقل من خلال ذلك الى الإيحاء بأن الموضوع لا يتحمل أية صدمة إنفعالية صعبة، تثقل حركة الذات في الدعوة.
فإذا كانت صفة الرسالة هي التي تطبع شخصية الرسول فإن كل ردة فعل سلبية أو إيجابية ترتبط بتلك الشخصية يجب أن تكون بعيدة عن الذات والذاتيات.
وبهذا تكون القضية متعلقة بالله الذي لا يضيره شيء من تكذيبهم، وجحودهم كما لا ينفعه شيء من إيمانهم وتصديقهم، لأنه الغني عن ذلك كله، فلا مجال لأي إنفعال لأن الذات لا علاقة لها بالموضوع، والرسالة المنزلة من الله لا تتأثر بذلك، إن الله فوق الإنفعال، فماذا يبقى في الساحة ؟

إن المسألة . بكل بساطة . هي أن واجه الرسول الموقف بعقلية واقعية، وذهنية عملية مرنة، بعيداً عن كل الحالات الشعورية الذاتية، وبذلك تستمر القافلة الرسالية في سيرها الطبيعي، لتصل الى أهدافها الكبيرة في نهاية المطاف.
وفي ضوء ذلك، تتحول هذه الآيات الى خطة تربوية للعمل الرسالي، يواصل من خلالها ذاك العمل

طريقة بكل موضوعية وهدوء، تماماً كأي عمل يرتبط بمسؤوليته ولا يرتبط بذاته، حيث يتحرك الداعية على أساس المعطيات الواقعية، ومدى انسجامها مع خط المسؤولية في عمله، فيعيش التجرد من كل ما لا يرتبط بالعمل، مما يجعل للحركة فاعلية قوية، ويقود الموقف الى خطوات الواقع.

وهكذا تخرج القضية من النطاق الشخصي، لتتصل بالنطاق العام للرسالة، وللرسول، فلا تعود شيئاً شخصياً للنبي، بل تتحول الى قاعدة عامة لكل الرسل، والرسالات، ومن هنا تتساقط كل علامات الإستفهام أمام شمولية القاعدة وثباتها.

إن القرآن يريد أن يؤكد الفكرة . الخط في ضمير النبي . الداعية، ليفرّغ ذاته من الإنفعال، فهناك حالة بشرية تحب التمرد والمواجهة، والهروب من المسؤولية، فلا بد من مواجهتها من منطق الواقع الذي يبحث في الأرض عن الإمكانيات الحاضرة، والمستقبلية لانتصار الدعوة في حركتها الفاعلة، مما يفرض المزيد من الهدوء النفسي والإتزان العاطفي، والثبات العقلي.

فالدعوة تمثل رسالة الله، والتكذيب يواجه هذه الرسالة، فهو يواجه الله في النهاية"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول.

---

(1) من وحي القرآن: ج9 . ص82 و 83.

لقد طرح ذلك البعض أسئلته أولاً حول سبب حزنه لتكذيب قومه له، وأنه هل هو حالة ذاتية له، أو هل أن انفعاله الشخصي يتجاوز انفعاله لله وغير ذلك.. ؟ ثم قرر في إجابته عنها: أن ليس من الضروري أن يكون ذلك كله قد حدث بالفعل، ولكنها تبقى فرضية قابلة للحدوث عنده، واحتمال كونها كذلك يساوق القول بإمكانها، وذلك يعني أنه لا مانع من وقوعها.. ثم أفاض في تفاصيل عناصر هذا الأمر القابل للحدوث لكل من النبي، والداعية على حد سواء.. فجاء هذا السيل من التصريحات التي حاولنا أن نشير الى أكثرها في العناوين التي صدّرنا بها الفقرات المنقولة منه حرفياً فاقرأ، وأعجب ما بدا لك !!

. فهل يصح احتمال ذلك كله في حق الأنبياء ؟

. وهل يجتمع احتمال هذه الأمور مع الاعتقاد بعصمتهم ؟

. وإذا كانت عصمتهم إجبارية فما معنى إحتمال أمور كهذه في حقهم ؟!

. وأي نبي هذا الذي يخلط بين التكذيب لشخصه والتكذيب لله؟!

. وأي نبي هذا الذي يسلّيه، ويريحه أن يكذّب الناس الله ؟ ويخ نه أن يكون التكذيب موجهاً لشخصه.. ؟!.

إلى غير ذلك من الأسئلة التي لا بد أن تدور بذهن كل منصف عاقل.. وهل يصح بعد هذا كله أن

يدعي هذا البعض أنه يعتقد بعصمة الأنبياء، وبكفاءتهم العلمية والإيمانية لتحمل شمولية الرسالة؟!.

719 . المشاعر السلبية للنبي ربما تتحول الى عقدة.

720 . المشاعر تتحول الى تساؤل دائم عن سبب إعراض المشركين عن القرآن.

721 . المشاعر السلبية تتحول الى تساؤلات عن أشياء كثيرة تضغط على وجدانه.

يقول البعض:

" { فلعلك باخع نفسك على آثارهم } الخطاب لرسول الله (ص) الذي كان يعيش الألم والحسرة أمام بعد المشركين، وإعراضهم عن القرآن، وعن الدعوة الى الله، وهذه المواقف تمثل خطوات المشركين العملية على صعيد خط الرسالة، تماماً كما هي الآثار التي تتركها أقدامهم على الطريق في حالة السير.

وربما تؤدي به هذه المشاعر السلبية الضاغطة الى الهلاك، عندما تتعاظم أو تتحول إلى عقدة، وتساؤل دائم عن السبب في هذا الموقف المضاد، وعن الضعف الذي يحيط بشخصه، وبالساحة أمام قوة هؤلاء، وعن أشياء كثيرة قد تطوف في نفسه، وتضغط على وجدانه.. إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً.. الخ"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

إننا نجل مقام رسول الله (صلى الله عليهو آله) عن أن ينسب إليه إمكانية الإبتلاء بالعقد النفسية نتيجة لمشاعر سلبية ضاغطة، ولا بد أن نعطف كلامه هذا على حكاية الجوع العاطفي للحنان، فإن هذا يوضح ذاك، ويظهر عدم صحة ما يحاول أن يتخلص به من سلبيات ذلك القول العجيب، والغريب، وسيأتي توضيح ذلك حين الحديث عن مقولاته حول الزهراء (عليها السلام). في الجزء الخامس من هذا الكتاب.

كما أننا نجل مقام النبي (صلى الله عليه وآله) عن أن يكون . والعياذ بالله . جاهلاً الى درجة ابتلائه بالتساؤل الدائم عن أسباب الموقف المضاد للمشركين، وجاهلاً بأسباب ضعف الساحة الإسلامية أمام قوة أولئك.

وبعد ما تقدم نقول: إن إيغال هذا البعض في الخيال الذي لا مبرر له جعله يحتمل هذه الأمور الغريبة والعجيبة، مع أن الآية صريحة في أن حزن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الناشئ عن صدود الناس عن الحق كان حزناً عظيماً جداً، ولا غرو في ذلك فهو يرى الكفرو الشرك من أعظم الموبقات بمقدار معرفته بسلبيات هذا الشرك وآثاره البغيضة.

الفصل السادس:

علي عليه السلام في أدعيته وابتهالاته .

722 . لو أخذ الله علياً بما يناسب وضعه لما استحق إلا العذاب.
723 . لسان حال علي: أنا يا رب أهل للعذاب.
724 . لسان حال علي: أنا في مقام العاصي، والمذنب.
725 . علي يسأل الله أن يغفر له الذنوب التي تميت القلب.
726 . علي يسأل الله أن يغفر له الذنوب التي تضع القلب في التيه، والضلالة.
727 . علي يتوسل ليسأل الله مغفرة كل ذنب، وكل خطيئة.

---

(1) من وحي القرآن: ج 14 . ص .271

728 . علي يطلب السماح عن خطاياه، وذنوبه.
729 . علي يطلب مغفرة الذنوب التي تمس كيانه وشخصيته.
730 . علي يطلب مغفرة الذنوب التي تجعل شخصيته متهالكة، وضعيفة.
731 . يطلب مغفرة الذنوب التي تفقد شخصيته دورها الإيماني الفاعل.
732 . يطلب مغفرة الذنوب التي تحوله الى ركام هامشي لا دور له، ولا موقع.
733 . يطلب مغفرة الذنوب التي تجعله فارغاً مضطرباً سقيماً.
734 . يطلب مغفرة الذنوب التي تجعله فاشلاً وساقطاً.
735 . علي لا يثق بعمله.
736 . قد يكون في عمل علي غش كثير.

وعن لغة الحديث مع علي . عليه السلام . نذكر النصوص التالية:

يقول البعض:

"ويختم الإمام دعاءه بأن يسأل الله تعالى أن يتخذ بحقه ما يناسب ساحة قدسه تعالى من الرحمة، والعفو والمغفرة، لأنه تعالى ((أهل التقوى والمغفرة))، لا أن يأخذه بما يناسب وضعه، لأنه لو أخذه بما يناسب وضعه لما استحق سوى العذاب.

فلسان حال علي (ع) يقول: أنت، يا رب، ((أهل التقوى والمغفرة)) أي بيدك أن تغفر، وتتوب، وتسامح لا بيد أحد سواك، وحدك المؤهل لأن تتجاوز عن السيئات والأخطاء والمعاصي، فلأنك أنت الرب الرحيم، الرحمن، الحنان، المنان، المفضل المعطي، الجواد، الكريم، الشفيق، العطوف.. بينما أنا يا رب أهل للعذاب، استأهل العذاب، لأني في مقام العاصي، والمذنب، والمقصر بحقك وواجباتك. ولذا، يا رب، أسألك بحق محمد وآل محمد، أن تحاسبني بما أنت أهل له، لأن في ذلك نجاتي، ولا تأخذني بما

أنا أهل لأن في ذلك خسراني وعذابي، وصل على محمد والأئمة الميامين من آله وسلم تسليماً كثيراً"(1).

ويقول:

---

(1) في رحاب دعاء كميل: ص 275 و 276.

"هذا الشعور نتمثله في كلمات الإمام (ع): ((اللهم إني أسألك سؤال خاضع متذلل خاشع أن تسامحني وترحمني))، عندما يطلب الرحمة من الله، والسماح من الله، حول ما أسلف من خطايا وما قام به من ذنوب، إنه يقول لله: أنا أطلب منك يارب الرحمة والسماح بروح الإنسان الذي يشعر أن له عليك حقاً، ليس لأحد في الكون حق عليك، حقك على الناس كلهم"(1).

ويقول:

"فكيف يمكن لمن ابتعد ونأى بنفسه عن الله تعالى أن تصيبه رحمته برذاذها، أو يلامسه لطفه تعالى بأنامل الحب والحنان ؟ كيف يمكن لمن تحجر قلبه حتى بات صلداً أن ينفجر منه الماء، ماء الأمل والحياة.

ولذا يسأل علي (ع) الله سبحانه وتعالى أن يغفر له الذنوب التي تميت القلب، والتي تضع القلب في التيه، والضلالة، حتى يبقى على صلة الأمل بالله تعالى(2).

ويقول:

"ويبدو، من سياق سؤاله . عليه السلام . أن المراد بالخطيئة هنا هو المعنى الثاني لا المعنى الأول، أي المراد مطلق الخطأ.

فنحن نجد في سؤاله هذا . عليه السلام . توسعاً في الطلب، فبعد أن سأل . عليه السلام . الله أن يغفر بعض الذنوب كتلك التي (تهتك العصم) و (تغير النعم) و (تنزل النقم)، (وتقطع الرجاء).. توسع في سؤال المغفرة ليشمل كل ذنب، وكل خطيئة، وفي ذلك استبطان عميق، واستشعار مرهف لرحمة الله تعالى، وجوده، وكرمه، ولطفه، وإحسانه، فهو . عليه السلام . يدفع بأمله الى أقصى الحدود، هذا الأمل الذي ما كان ليتوقد ويسطع لولا التعلق برحمة الله تعالى، وعدم الوقوع في فخ القنوط واليأس من روحه تعالى، ولولا استحضار ما هو عليه الله سبحانه وتعالى من الجود، والكرم، والتجاوز، والمغفرة، فهو الرحمن الرحيم، وهو الجواد الكريم، وهو التواب الغفور"(3).

ويقول:

---

(1) في رحاب دعاء كميل: ص 108.

(2) المصدر السابق: ص 82.
(3) المصدر السابق: ص 86.

"يقول الامام . عليه السلام .: يا رب أنا ليس لي ثقة بعملي، لأنه قد يكون فيه غش كثير، فالدعاء ضمانة بيدي، كما أن كل شيء بيدك، يا الله، فافعل بي ما أنت أهله، ولا تفعل بي ما أنا أهله"(1).
ويقول:
"إن علياً . عليه السلام . يشرع في هذا المقطع من دعائه في تبيان ما من أجله كان يتوسل مقسماً بأسماء الله تعالى، وصفاته.
وهو يبدأ بسؤال المغفرة للذنوب التي من شأنها أن تمس كيانه وشخصيته، فتحليها إلى شخصية متهالكة، ضعيفة، لا حول لها، ولا قوة، فاقدة لأي اعتبار أو موقع، أو دور فاعل وإيماني في الحياة.
وفي قوله . عليه السلام . إشعار بأن هناك من الذنوب، ما من شأنه أن يفتك بكينونة الإنسان، ويحوله الى مجرد ركام ليس له من الحياة إلا صورتها، فهو يعيش على الهامش من دون أي حضور أو موقع أو دور، فهو إنسان تفتك به الأمراض المعنوية من كل حدب وصوب، فإذا به إنسان فارغ مضطرب، سقيم فاشل وساقط لا يكاد يلوي على شيء.
إن أخطر الأمراض وأفدحها هي تلك التي تصيب شخصية الإنسان، أي تصيب روح الإنسان لأنها تفتك بالبعد الرئيسي من أبعاد وجوده وتميزه، وتصيب محل كماله، ومستودع آفاقه وآماله، ومرتكز مصيره.
ولذا فإنه . عليه السلام . يسأل الله سبحانه وتعالى، أن يغفر له الذنوب التي لها أمثال هذه النتائج، لكي يصلح سره وعلانيته معاً، فيستعيد مكانته وموقعه في الحياة"(2) .
وقفة قصيرة:
إن هذا البعض حين تصدى لشرح بعض الأدعية . كدعاء كميل وغيره . قد أوقع نفسه في ورطة كبيرة، حين ظهر أنه يتعامل في تعابيره . على الأقل . مع الأنبياء والأوصياء . صلوات الله عليهم أجمعين .، من حيث التوقير والإحترام المطلوب . بما هو أقل مما يتعامل به مع بعض أولاده، أو سائر الناس العاديين.
وقد ذكرنا هنا وفي الجزء الأول من هذا الكتاب شطراً من كلماته التي تظهر هذا الأمر..

---

(1) في رحاب دعاء كميل: ص 270.
(2) في رحاب دعاء كميل: ص72 ورؤى ومواقف: ج1 . ص 148 و 149.

وكنا نتمنى له أن يوفق لإصلاح ظواهر كلماته.. خصوصاً.. وأن ما سجله في حق الأئمة (عليهم السلام) إذا رجع اليه من لا يعرف الإسلام، ولا الأنبياء، ولا الأوصياء، نعم.. إذا رجع إليه وقرأ ذلك

بهدف استخلاص ملامح الصورة عن الإمام علي (عليه السلام) إو عن غيره من الأئمة أو الأنبياء، بإعتبار أنه يرجع الى أحد أتباع تلك الشخصية والعارفين بأحوالها. فسيخرج بتصور مغاير تماماً للصورة الحقيقية لهم (عليهم السلام)، وذلك حين يجده يصورهم على أنهم يرتكبون من الكبائر ما ينقصم الظهر لكل واحدة منها.. وسيجد أن غرائزهم وأهواءهم تقودهم الى إرتكاب الجرائم الخطيرة.. وما الى ذلك.. ولكن . للأسف . فإن هذا البعض ليس فقط لم يبادر الى إصلاح ظواهر تعابيره . بل ذهب ليتلمس التأويلات البعيدة، وغير المقبولة.. والغائمة.. فكان أن زاد الطين بلة والخرق اتساعاً..

ولا نريد أن نقول هنا أكثر من هذا، ولبحث وبيان فساد تلك التأويلات والتوجيهات موضع آخر إن شاء الله.

كيف نفسر دعاء الأئمة (عليهم السلام):

إن هذا البعض قد أوقع نفسه . خصوصاً وهو يشرح دعاء كميل . في ورطة كبيرة، حين ظهر أنه لا يتعامل مع الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بما يليق بشأنهم من التوقير والاحترام، بل هو يتحدث عنهم بما هو أقل بكثير مما يتحدث به حتى عن الخدم والحشم، والمرافقين. فضلاً عن الأولاد أو الأحفاد.

كما أن ما يظهره من إكرام واحترام ومجاملة لأهل الضلال، ومن بشاشة ولطف وانعطاف تجاه الفساق والمنحرفين والمنحطين إلى الدرك الأسفل، ممن عملهم دائب في سبيل محق دين محمد.. نعم.. إن ذلك لا يقاس بما يظهر من ذلك تجاه أهل الإيمان، حيث أنه حين تصل النوبة إليهم، فإن الأمر يتخذ منحى خطيراً في نقده اللاذع والمغرق في القسوة والبالغ في الشدّة والحدة، بل إن هذه الشدة والحدة والقسوة البالغة منه لم يسلم منها حتى الأنبياء.

ومهما يكن من أمر، فإننا قد ذكرنا شطراً من كلماته تضمنت طائفة من تعابيره فيما يتعلق بأمير المؤمنين عليه السلام في الجزء الأول من هذا الكتاب وذكرنا هنا أيضاً بعضاً منها.

ويمكن بيان حقيقة الأمر فيما يرتبط بالدعاء الصادر عن المعصومين مما يتضمن توبتهم واستغفارهم من الذنوب التي تهتك العصم، وتنزل النقم، وتقطع الرجاء و.. الخ، مع أن شيئاً من ذلك لم يصدر منهم! إن ذلك يتضح في ضمن النقاط التالية:

أولاً: إن الله سبحانه حين شرّع أحكامه، وقد شرعها على البشر كلهم، على النبي والوصي المعصوم، وعلى الإنسان العادي غير المعصوم، وعلى العالم والجاهل، وعلى الكبير الطاعن في السن والشاب في مقتبل العمر، وعلى المرأة والرجل، وعلى العربي والأعجمي، وعلى العادل والفاسق.

فيجب على الجميع الصلاة والزكاة والحج، والصدق والأمانة، و.. الخ.. وقد رتبت على كثير من التشريعات مثوبات، وعلى مخالفتها عقوبات.. ينالها الجميع، وتنال الجميع بدون استثناء أيضاً. حتى لو

لم يفهموا معاني ألفاظها، ولم يدركوا عمق مراميها، كما لو كانوا لا يعرفون لغة العرب، أو كانوا أميين لم يستضيئوا بنور العلم.

فالثواب المرسوم لمن سبّح تسبيحة الزهراء(ع) هو كذا حسنة.. فلكل من قام بهذا العمل استحق هذه الحسنات.

كما أن لهذه العبادات آثار خاصة تترتب على مجرد قراءتها، حتى لو لم يفهم قارؤوها معاني كلماتها، فمن قرأ آخر سورة الكهف مثلاً، وأضمر الإستيقاظ لصلاة الصبح في الساعة الفلانية، فإن الإستيقاظ سيتحقق، كما أن من كتب نصاً بعينه يشفى من الحالة الفلانية، فإن الشفاء يتحقق.

كما أن المعراجية للمؤمن المترتبة على الصلاة في قوله(ع): الصلاة معراج المؤمن. أو القربانية في قوله: الصلاة قربان كل تقي. سوف تتحقق بالصلاة حتى لو لم يفهم المصلي معاني الكلمات، فإن نفس هذا الاتصال بالله سبحانه بطريقة معينة ومحدودة على شكل صلاة أو زيارة، أو تسبيح أو.. شرّعها الله سبحانه، يحقق هذه الآثار، ويقود إليها، إذا كان مع نية القربة وظهور الانقياد والتعبد لله سبحانه وفق تلك الكيفيات المرسومة من قبله تعالى، وذلك يحقق غرضاً تربوياً، وإيحائياً تلقينياً يريد الله سبحانه له أن يتحقق.

ولأجل ذلك نجد: أن النبي (ص) يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ويقول في الأذان والإقامة:

أشهد أن محمداً رسول الله.. ويقول ذلك غيره.. ولا يصح منه الأذان ولا الإقامة، ولا يحصل على ثوابهما، ولا على ثواب الصلاة بدون الاتيان بكل ما هو مرسوم فيهما.

والرجل والمرأة يقرآن في دعاء واحد: ومن الحور العين برحمتك فزوّجنا.. ولا يعني ذلك: أن تقصد المرأة مضمون هذه الفقرة بالذات وبصورة تفصيلية بل هي تقصد الإتيان بالمرسوم والمقرر.

وإذا سألت: هل يعقل أن تكون صلاة النبي(ص) والولي عليه السلام كصلاة أي إنسان عادي آخر من حيث ثوابها، وتأثيراتها؟

فإن الجواب هو: إن التفاوت إنما يكون فيما ينضم لذلك المرسوم من حالات الإخلاص "كالخشية" أو ما يصاحبه من تعب وجهد، فالثواب إنما هو بإزاء خصوصية إضافية "كالخشية" أنتجتها عوامل أخرى كمعرفة الله سبحانه، وكمال العقل، والسيطرة على الشهوات والميول.. أو أي جهد آخر أو إضافي بذل ووعد الله عليه بالمثوبة المناسبة له على اعتبار: أن أفضل الأعمال أحمزها..

فاتضح مما تقدم: أن إتيان المعصوم بالعبادات المرسومة، ومنها الأدعية لا يستلزم أن يكون قد أصبح موضعاً لكل ما فيها من دلالات، فلا يكون استغفاره دليلاً على وقوع الذنب منه.

ثانياً: يقول بعض المهتمين بقضايا العلم: إن أجهزة جسم الإنسان تقوم بوظائف لو أردنا نحن أن نوجدها بوسائلنا البشرية لاحتجنا ربما إلى رصف الكرة الأرضية بأسرها بالأجهزة: هذا على الرغم من أنه إنما يتحدث عن وظائف الجسد وخلاياه التي ربما لم يتم اكتشاف الكثير الكثير منها حتى الآن فضلاً عن سائر جهات وجود هذا الإنسان.

فالله سبحانه يفيض على كل أجهزة هذا الجسد وخلاياه لحظة فلحظة وأن هذه الفيوضات وطبيعة الفهم التي تنتج عنها، وكل هذا التنوع وهذه التفاصيل المحيرة تشير إلى عظمة مبدعها في علمه وفي إحاطته، وفي حكمته، وفي تدبيره، وفي غناه، وفي قدرته ووو..

فإذا كان النبي والولي المعصومين يدركان هذه النعم التي لولا الله سبحانه لاحتجنا إلى أجهزة تغلف الأرض بكثرتها.

ويعرف أيضاً: أنه هو المحل الأعظم لها، ثم هو يعرف النعم عليه في روحه ونفسه، وكيف أن كل ذرّة في الكون مسخرة لأجله، ولأجل البشر كلهم حسبما صرّح به القرآن الكريم، ويعرف الكثير من أسرار ملكوت الله سبحانه..

وخلاصته:

أن النبي والولي يحس أكثر من كل أحد بقيمة وعظمة واتساع النعم التي يفيضها الله عليه.

فلا غرو إذن إذا كان يرى نفسه ـ مهما فعل ـ مذنباً، ومقصراً في حق ذلك المنعم العظيم.. بل هو يبكي.. ويبكي من أجل ذلك، ولا يكف عن بذل الجهد.. ويقول لمن يعترض عليه:

يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً.

ونوضح ذلك بالمثال، فنقول: إن من يريد تقديم هدية لسلطان أو ملك، فإنه قد لا يجد فيما يقدمه ما يناسب جلال السلطان وأبهة الملك، فيرى نفسه مقصراً فيما قدّمه إليه.. بل ومذنباً في حقه.. تماماً كما كان لسان القبّرة التي أهدت لسليمان جرادة كانت في فيها، وذلك لأن الهدايا على مقدار مهديها.

وواضح أن حال المعصوم مع الله تختلف عن حالنا، فهو يعرف الله حق معرفته، ولأجل ذلك فإن عبادته له ليست خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، بل لأنه يراه أهلاً للعبادة، فهو يعبده عبادة العارفين، والعالمين.. كما أنه يعرف أيضاً أن موقعه يجب أن يكون موقع العبودية التامة، والخالصة، لأنه واقف على حقيقة ذاته في ضعفه، وفي واقع قدراته، وحقيقة قصوره وحاجته إليه في كل آن، كما هو واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.. ويرى نفسه مذنباً في هذا التقصير.. وقد يجر عليه ذلك فقدان لطف الله به، وهتك العصم التي يكون بها قوته وثباته، ثم قطع الرجاء، وحبس الدعاء.. الخ.

ثالثاً: وبتقريب آخر نقول: إن نسيج الأدعية والأذكار حين يراد له أن يكون دعاءً أو ذكراً مرسوماً للبشر

كلهم بجميع فئاتهم، ومختلف طبقاتهم ويلائم جميع حالاتهم، وتوجهاتهم، فإنه يكون ـ بما له من المعنى ـ بحيث يتسع لتطبيقات عامة ومتنوعة، ويجمعها نظام المعنى العام.

ويساعد على اتساع نطاق تلك التطبيقات، ويزيد في تنوعها مدى المعرفة بمقام الألوهية، ومعرفة أياديه ونعمه وأسرار خلقه وخليقته تبارك وتعالى وما إلى ذلك.. من جهة.. ثم معرفة الإنسان بنفسه، وبموقفه، وحالاته.. و.. من جهة أخرى. فبملاحظة هذا وذاك يجد المعصوم نفسه ـ نبياً كان أو إماماً ـ في موقع التقصير، ويستشعر من ثم المزيد من الذل والخشية، والخشوع له تعالى.

فالقاتل والسارق والكذاب حين يستغفر الله ويتوب إليه، فإنما يستغفر ويتوب من هذه الذنوب التي يشعر بلزوم التخلص من تبعاتها، ويرى أنها هي التي تحبس الدعاء وتنزل عليه البلاء، وتهتك العصم التي تعصمه، ويعتصم بها، وتوجب حلول النقم به.

أما من ارتكب بعض الذنوب الصغائر، كالنظر إلى الأجنبية، أو انه سلب نملة جلب شعيرة، أو لم يهتم بمؤمن بحسب ما يليق بشأنه.. وما إلى ذلك..

فإنه يستغفر ويتوب من مثل هذه الذنوب أيضاً، ويرى أنها هي التي تحبس دعاءه، وتهتك العصم التي تعصمه ويعتصم بها، وتحل النقم به من أجلها.

وهناك نوع آخر من الناس لم يقترف ذنباً صغيراً ولا كبيراً، فإنه حين يقصّر في الخشوع والتذلل أمام الله سبحانه، ولا يجد في نفسه التوجه الكافي إلى الله في دعائه وابتهاله، بل يذهب ذهنه يميناً وشمالاً.. فإنه يجد نفسه في موقع المذنب مع ربه، والعاقّ لسيده، والمستهتر بمولاه. وهذه ذنوب كبيرة بنظره، لا بد له من التوبة والاستغفار منها.. وهي قد توجب هتك العصم، وحلول النقم، وحبس الدعاء، وقطع الرجاء، وما إلى ذلك.

أما حين يبلغ في معرفته بالله سبحانه مقامات سامية، كما هو الحال بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام، أو بالنسبة لرسول رب العالمين، فإنه لا يجد في شيء مما يقوم به من عبادة ودعاء وابتهال: أن يليق بمقام العزة الإلهية.

بل هو بعد الالتفات إلى الأكل والمشرب والاقتصار على مثل هذه الطاعات تقصيراً خطيراً يحتاج إلى الخروج عنه إلى ما هو أسمى وأسنى، وأوفق بجلال وعظمة الله سبحانه، وبنعمه وبفضله وإحسانه وكرمه..

وهذا التقصير ـ بنظره ـ لا بد أن ينتهي إلى الحرمان من النعم الجلّى، التي يترصّدها، حينما لا يصل إلى درجات تؤهله لتقبلها، وكذلك الحال بالنسبة إلى نفوذ دعائه وحجبه عن أن يستنزل من العطايا الإلهية، أو يرتفع به إلى مقامات سامية مما يطمع به، ويطمح إليه أمثال الأنبياء والأوصياء.. كما أن النبي والوصي قد يجد نفسه غير متمكن من العصم التي يريد لها أن تكون منطلقاً قوياً يدفع به إلى ما هو

أعلى وأسمى، وأجل.
وبعبارة أخرى: إنهم يرون: أن عملهم هو من القلّة والقصور بحيث يوجب حجب الدعاء، ووقوعهم بالبلاء، وغير قادر على النهوض بهم بصورة أسرع وأتم ليفتح لهم تلك الآفاق التي يطمحون لارتيادها، ما دام أن شوقهم إلى لقاء الله يدعوهم إلى الطموح إلى طي تلك المنازل بأسرع من لمح البصر.

فما يستغفر منه الأنبياء والأوصياء، وما يعتبرونه ذنباً وجرماً.. إنما هو في دائرة مراتب القرب والرضا وتجليات الألطاف الإلهية.. وكل مرتبة تالية تكون كمالاً بالنسبة لما سبقها، وفي هذه الدائرة بالذات يكون تغيير النعم، ونزول النقم، وهتك العصم الخ.. بحسب ما يتناسب مع الغايات التي هي محطّ نظرهم عليهم السلام.
والخلاصة: إن كل فئة من هؤلاء إنما تقصد الاستغفار والتوبة تطبيقاً للمعنى الذي يناسب حالها، وموقعها وفهمها ووعيها، وطموحاتها وخصوصيات شخصيتها، وحياتها وفكرها وواقعها الذي تعيشه، أي أنهم يقرؤون الأدعية ويفهمونها، ويقصدون من تطبيقات معانيها ما يناسب حال كل منهم، وينسجم مع معارفهم، وطموحاتهم.. ولكنها على كل حال أدعية مرسومة على البشر كلهم، وللبشر كلهم.
لفت نظر:
وأخيراً.. فإننا نلفت القارئ الكريم إلى الأمور التالية:
أولاً: إن إنكار البعض أن يكون دعاء النبي (ص) أو الإمام (عليه السلام) تعليمياً، ليس في محله، فإن ثمة أدعية قد جاءت على سبيل التعليم للناس، وبالأخص بعض الأدعية التي تعالج حالات معينة كالأدعية التي لبعض الأمراض أو لدفع الوسوسة أو لبعض الحاجات، وما إلى ذلك.. أو تريد بيان التشريع الإلهي للدعاء في مورد معين وقد لا يكون النبي (ص) أو الإمام (عليه السلام) مورداً لذلك التشريع لسبب أو لآخر..
ثانياً: وأما قوله إن الإمام إنما يدعو الله من حيث هو إنسان، فهو لا يحل المشكلة، فإنه إذا كان هذا الإنسان لم يرتكب ذنباً، ولا اقترف جريمة، فلماذا يطلب المغفرة الإلهية؟ ولماذا يبكي و يخشع؟! فإن الإنسانية من حيث هي لا تلازم كونه عاصياً.
وإن كان قد أذنب و أجرم بالفعل، فأين هي العصمة؟ وأين هو الجبر الإلهي. المزعوم من قبل هذا البعض. في عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟!.

ثالثاً: إن من الواضح أن الذنوب المشار إليها في الأدعية لم يرتكبها الداعي جميعا، فكيف إذا كان هذا الداعي هو المعصوم كما اعترف به هذا البعض.. وذلك يشير إلى صحة ما ذكرناه في الوجوه التي أشرنا إليه فيما سبق.

رابعاً: إن المراد بالمغفرة في بعض نصوص الأدعية خصوصاً بالنسبة الى المعصوم، وهو مرحلة دفع المعصية عنه، لا رفع آثارها بعد وقوعها..

كما أن الطلب والدعاء في موارد كثيرة قد يكون وارداً على طريقة الفرض والتقدير، بمعنى أنه يعلن أن لطف الله سبحانه هو الحافظ، والعاصم.. ولكن المعصوم يفرض ذلك واقعاً منه لا محالة لو لم يكن الله يكفي بلطف منه، فهو على حد قول أمير المؤمنين (عليه السلام)..

(لست بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني)(1).

وقد شرحنا هذه الكلمة في بحث مستقل، بعنوان (لست بفوق أن أخطئ) فليراجعه من أراد..

الفصل السابع:

عودة الى أهل البيت

في القرآن

بداية:

قد ذكرنا في الأجزاء السابقة، العديد من الموارد التي تظهر كيف يحاول البعض التشكيك في نزول الآيات في أهل البيت (ع)، رغم أن العدو يروي ويعترف، فضلاً عن الصديق، بنزولها فيهم (عليهم السلام).

هذا عدا عن أنه في العشرات من الآيات الكريمة يتجاهل حتى الإشارة الى أن نزولها في أهل البيت مروي عند السنة والشيعة فيمر عليها بدون أدنى إعتناء بذلك.. رغم إظهاره إهتماماً ظاهراً بتسطير ما يقوله الآخرون عن نزول آيات في من عداهم، مع إنصرافه عن التصدي للتأييد أو للتفنيد، الأمر الذي يختزن معنى القبول، والتسليم.

ومهما يكن من أمر، فإننا نذكر هنا بعضاً من تلك الموارد التي يحاول فيها التشكيك في نزول آيات كريمة في أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم)..

فنقول:

738 . المراد بأولي الأمر المفهوم الأوسع.

---

(1) الكافي ج 8 ص 293 وبحار الأنوار ج 27 ص 253 و ج 41 ص 154 وج 74 ص 358 / 359 ونهج البلاغة ص 245 ط دار التعارف بيروت.

739 . إرادة الأئمة (ع) "من أولي الأمر" من باب التطبيق.

740 . إرادة المفهوم العام يمكننا من التمسك بالآية في ولاية أهل الشورى من المسلمين.

إن البعض حين يصل الى آية: { أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولى الأمر منكم } يذكر اتجاهات عديدة في تحديد المراد من { أولي الأمر } .

ويذكر أيضاً قول الشيعة: إن المراد بهم هم الأئمة المعصومون من أهل البيت (عليهم السلام).. وحين يواجه الأحاديث التي تعد بالعشرات الدالة على أن المراد بهم هم خصوص الأئمة نجده يقول:

"2 . إن من الممكن السير مع الأحاديث التي تنص على أن المراد من أولي الأمر، الأئمة المعصومون، مع الإلتزام بسعة المفهوم، وذلك على اساس الأسلوب الذي جرت عليه أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في الإشارة الى التطبيق بعنوان التفسير، للتأكيد على حركة القرآن المستقبلية في القضايا الفكرية والعملية الممتدة بإمتداد الحياة، لأن ذلك هو السبيل الأفضل لوعي الإنسان المسلم للفكرة، على أساس التطبيق الواضح من أجل أن يرتبط بالواقع بشكل مؤكد.

3 . إن هذا الاحتمال الذي يؤكده إطلاق الآية يجعلنا قادرين على التمسك بالآية، في ما يثار فيه الجدل كثيراً من أمر الولاية في حال غيبة الإمام، في ولاية الفقيه، أو في ولاية أهل الشورى من المسلمين، وذلك في الحالة التي يصدق عليهم أنهم أولو الأمر من ناحية واقعية.

إن هذه الملاحظات قد تستطيع أن تثير أمامنا بعض الأفكار حول الموضوع، من أجل الوصول الى نتيجة حاسمة في مجال التطبيق والإستنتاج، والله العالم."(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

---

(1) من وحي القرآن: ج7 . ص 325و326

1 . إن هذا البعض يتحدث عن الموضوع بطريقة توحي بأن هذه الآية إن لم تتسع لتشمل غير أهل البيت (عليهم السلام)، فلسوف نقع في ورطة حيث سنفتقد الوسيلة التي تعرفنا على موقف الإسلام من حكومة الولي الفقيه، أو حكومة أهل الشورى من المسلمين حين يصدق عليهم أنهم أولوا الأمر من ناحية واقعية..

مع أن موضوع ولاية الفقيه له أدلته الواضحة، ولا يتوقف حسم الموقف فيه على عموم هذه الآية أو خصوصها..

وماذا يعني لنا من التأكيد على حكومة أهل الشورى من المسلمين؟! ما دمنا ممن يلتزم خط الإمامة، ونيابة المجتهدين العامة عنهم (عليهم السلام) وفقاً لما أثبتته الأدلة..

2 . لا ندري ماذا يقصد هذا البعض بالحالة التي يصدق على أهل الشورى من المسلمين: أنهم أولوا الأمر من ناحية واقعية.. فإن هذه الحالة تبقى من المبهمات، والتي لا نعرف حدودها ولا مناشئها.

3 . ثم لا ندري ماذا يريد بالناحية الواقعية:
فهل يريد أنهم قد تسلطوا على الناس، وهيمنوا على أمورهم، ولو بالسلطان القاهر، وبقوة السيف الباتر، فجعلهم ذلك أولي أمر تجب طاعتهم . إن كان يقصد هذا . فمن الواضح: ان الإسلام يرفض حكومة المتغلبين، ولا يرضى إلا بحكومة من نصبهم الله حكاماً على الناس. إما على وجه الخصوص وهو الأئمة الطاهرون (صلوات الله وسلامه عليهم) أو على وجه العموم وهم نوابهم الفقهاء، رضوان الله تعالى عليهم.
أم أنه يقصد: أن عمرهم يصل الى حد يصبحون فيه من أهل الشورى.. أم أن ثقافتهم هي التي تؤدي بهم الى ذلك.. أم نسبهم، أم مكانتهم الإجتماعية أم موقعهم السياسي، أم ماذا ؟!
إن كل ذلك مما لا يقره الإسلام ولا يعترف به، بل تعيين أولي الأمر في الإسلام هو قضاء منه تعالى { وإذا قضى الله ورسوله أمراً ما كان لهم الخيرة من أمرهم.. } .

4 . وماذا يقصد "بأهل الشورى من المسلمين ".. فهل يريد بهم نفس ما يقصد به أهل السنة من مصطلح: "أهل الحل والعقد ".. وكيف يصبح الإنسان من أهل الشورى، ومن أهل الحل والعقد، وكيف يخرج عنهم.. وما هو عددهم، وما هي مواصفاتهم، وهل يستطيع أن يثبت شرعية إسلامية لحكومة هؤلاء؟!.
5 . وهل تحقق لدى هذا البعض أن نظام الحكم في الإسلام هو نظام الشورى، أو نظام أهل الحل والعقد، أم أنه نظام الإمامة وولاية الفقيه العادل الجامع للشرائط كما هو الحق من مذهب أهل البيت(عليهم السلام)؟.
6 . أم أنه يقصد بالترديد بين "ولاية الفقيه" وبين "ولاية أهل الشورى" هو الترديد بين ما عند الشيعة، وما عند السنة لتكون الآية مصححة لكلا النهجين، وبذلك يصبح الحكام، وعلى نهج أهل السنة واجبي الطاعة، إنطلاقاً من الآية الشريفة { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } ؟!
7 . إن الآية حين يتقيد مضمونها بما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويتحدد المراد منها لا تعود قادرة على تأييد احتمال عموم المفهوم، فضلاً عن تأكيده، بل تصير دليلاً على عدم صحة ذلك العموم، أو فقل: على أن الشارع لا يقبل به ولا يتبناه..
8 . إننا إذا أردنا ألا نغالي في تحديد سلبيات هذا الإتجاه فسوف تكون النتيجة هي على الأقل أنه لا يوجد نص على أمير المؤمنين . عليه السلام . أبداً حتى آية: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك } وآية { ويؤتون الزكاة وهم راكعون } .. فإنها تكون أيضاً عامة، وإرادة علي (عليه السلام) منها من باب أنه أبرز أو أفضل المصاديق.. بل حتى آية: { تبت يدا أبي لهب وتب } وآيات ذم إبليس وفرعون وو.. إنها كلها ستتخذ صفة العموم، وتصبح إرادة إبليس وفرعون، وأبي لهب منها من قبيل الإنطباق على أبرز

المصاديق أيضاً.

741 . النبي وأهل البيت هم الصفوة العليا للراسخين، والراسخين كثيرون.

742 . النبي وأهل البيت هم ممن أخذوا من العلم بقدر واسع.

743 . الراسخون في العلم لا تختص بأهل البيت (ع).. (وهو تكذيب للأحاديث بأنها فيهم فقط).

744 . تفسيره الراسخين بمن يفهم القرآن والدين والحياة، ولم يفسره بمن علمهم من الله.

745 . تفسير الراسخين بمن يعرف الحكمة في التجربة العملية لا بمن يهديهم الله ويسددهم وهم المعصومون.

يقول البعض:

".. { وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم } والمراد بهم الذين يملكون رسوخاً في العلم بالمستوى الذي يستطيعون بها أن يفهموا كتاب الله ودينه وشريعته وحقائق الحياة الدالة على وجوده، وتوحيده وحركة الحكمة في تجربتهم العملية في الحياة، وقد ورد هذا التعبير في آية أخرى وهي قوله تعالى: { لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك } { النساء: 162 }.(1)

وإذا كانت بعض الأحاديث قد تحدثت عن النبي محمد(ص) والأئمة(ع)، فإن ذلك وارد على سبيل أنهم أفضل المصاديق، لأن علم النبي مستمد من وحي الله، وإلهامه، كما أن علمهم مستمد من علم النبي (ص) وقد جاء في حديث النبي محمد(ص): (أنا مدينة العلم وعلي بابها(2)) وفي حديث الإمام علي (ع) قال: (علمني ألف باب من العلم، فتح لي كل باب ألف باب(3))

وقال الإمام جعفر الصادق (ع) في ما روي عنه ما مضمونه: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (ص)، وحديث رسول الله (ص) قول الله عز وجل) وهؤلاء هم الصفوة العليا من الراسخين في العلم وممن أخذوا من العلم بقدر واسع (يقولون آمنا به)"(4).

وقفة قصيرة:

إن كلام هذا البعض يعطينا:

---

(1) مجمع البيان: ج1، ص: 528.

(2) م. ن : ج1، ص: 528.

(3) البحار، م: ج10، ص:290، باب 8، رواية 1.

(4) من وحي القرآن: ج5، ص:240 و 241.

1 . إن هناك أناساً من غير أهل البيت (عليهم السلام) يملكون رسوخاً في العلم بالمستوى الذي يستطيعون به أن يفهموا كتاب الله، ودينه، وشريعته، وحقائق الحياة الدالة على وجود الله وتوحيده..
ومن الواضح: أن هذا يخالف الأحاديث الصريحة في أن من يفهم القرآن فهما حقيقياً، وعميقاً، وصحيحاً هم . فقط . النبي (ص) وأهل البيت . صلوات الله وسلامه عليهم .، دون كل أحد.
2 . إن هذا البعض يقول: "إن أهل البيت (ع) هم أفضل المصاديق للراسخين في العلم.." مع أن المعروف عن مذهب أهل البيت والمروي بأسانيد كثيرة هو أنهم (عليهم السلام) هم المعنيون بهذه الآية، دون كل أحد.
3 . إن القول بأن هذه الآية أو تلك قد أريد بها كذا يحتاج الى اليقين، والى الحجة، فإذا قال لك نفس صاحب القول مرادي من هذه الآية كذا.. لم يكن لأحد من الناس الحق في صرف الكلام بإتجاه آخر.. بأن يقول:
إن مراده من الآية هو المعنى العام الشامل لكل عالم.. وعلى رأسهم النبي (ص)، والأئمة الطاهرون (عليهم السلام).
4 . قد تكررت هذه المقولة من هذا البعض في موارد عديدة، مثل آية { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم.. } .
وذلك معناه فتح الباب للتشكيك في نصوص الإمامة، وفي النصوص التي تبين أن لأهل البيت مقاماً خاصاً يجعل لهم الحق دون سواهم بمقام الإمامة العظمى.
فإن لازم كلام هذا البعض أن آية { إنما وليكم الله ورسوله، والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وهم راكعون.. } (1) لا تختص بعلي (عليه السلام)، بل تشمل كل من يمكن أن يتصدق وهو راكع، ولكنه (عليه السلام) أفضل مصاديقها وهكذا الحال في أكثر الآيات المشابهة.. فهل نقبل ذلك منه !.
وهكذا يتضح: أن القول بعموم هذه الآيات النازلة في خصوص أهل البيت يراد به إنكار هذه النصوص الصريحة فيهم.. وإعطاء نصيب لغيرهم من الآيات الشريفة..

---

(1) سورة المائدة، آية: 55.

فهل ننتظر أن يصل الأمر الى الأحاديث الشريفة أيضاً حتى مثل حديث الغدير، وحديث إنذار العشيرة الأقربين، وحديث المنزلة.. وغير ذلك.. علماً بأن حتى حديث الغدير قد نال نصيبه من التشكيك من قبل هذا البعض..
746 . لا معنى أن يكون الباطن مخزوناً عند الراسخين في العلم.

747 . لا فائدة من إختزان المعنى الباطن عند الراسخين في العلم.
748 . الدلالة الذاتية للقرآن لا تدل على الباطن لعدم وجود ظهور في ذلك.
749 . مفردات التفسير، وتفاصيل العقيدة تحتاج الى اليقين.
يقول البعض:
"ومن جهة أخرى، ما معنى أن يكون المعنى الباطن مخزونا لدى الراسخين في العلم وما فائدة ذلك ؟ فإن كان ذلك من جهة أنهم حجج الله الذين لا بد أن يقبل قولهم في أسرار الدين، حتى لو لم يكن ذلك مفهوماً من اللفظ، فإن طبيعة الحجية تفرض ذلك من دون حاجة الى تضمين القرآن لذلك، لأن عصمتهم تؤكد صدقهم فتؤدي الى قبول تلك الحقائق الخفية منهم، وإن كان ذلك من خلال الطبيعة الذاتية للدلالة القرآنية، فإن المفروض عدم وجود ظهور للقرآن في ذلك."
ثم ان هذا البعض يطرح سؤال: كيف نفهم ذلك ؟
ثم يجيب عن ذلك: بضرورة التأكد من صحة الأحاديث المروية عن النبي، وعن الأئمة حول تفاصيل العقيدة، ومفردات الوجود، والتفسير.. سنداً ومتناً، ولزوم تحصيل اليقين أو ما يقرب منه بخلاف ما يتصل منها بالأحكام الشرعية(1).
وقفة قصيرة:
ونقول:
1 . قد تحدثنا عن دعواه لزوم تحصيل اليقين، أو الإطمينان في تفاصيل العقيدة في هذا الجزء في فصل " قواعد ومناهج ".
وتحدثنا عن ذلك أيضاً في الجزء الثاني من هذا الكتاب في الفصل الذي يتحدث عن قواعده، ومناهجه، وقد ظهر مما ذكرناه هنا وهناك: أن هذه المقولة لا تصح، ولا يمكن قبولها، وذلك لأمور كثيرة نذكر منها:

---

(1) تأملات في المنهج البياني: ص 11.

ألف: إنه لا دليل لديه على لزوم تحصيل الأدلة اليقينية في الأمور الكونية، والتاريخ، وملكات الأشخاص، والتفسير، واسرار الواقع، وجوانب الحياة، بل المهم هو أن تثبت بالحجة المعتبرة شرعا، وعند العقلاء.
نعم يجب تحصيل اليقين في خصوص الأمور العقائدية الأساسية الأولى، وهي التي يجب الإعتقاد بها على كل حال، وهي خصوص ما يتوقف عليه الإسلام، والإيمان كالتوحيد والنبوة واليوم الآخر، وهو ما يتوقف عليه حقن دمه، والحكم بطهارته وحل ذبيحته بصورة أوليّة، أي إذا لم يصاحب ذلك إنكار لأصل

عقيدي أو لضرورة دينية، وما إلى ذلك.. وكذا يطلب اليقين في المعجزة التي يتوقف عليها ثبوت أصول العقيدة.

أما ما عدا ذلك فيجب الإعتقاد به لو التفت إليه، لا مطلقاً. نعم لا يجوز له إنكاره، فلو أنكره لزمته تبعات الإنكار، وقد يكون منها خروجه عن دائرة مذهب أهل البيت (ع)، وهذا النوع من الإعتقادات لو ثبت له بحجة معتبرة وجب عليه الإعتقاد به، والإ فإنه ليس له أن يكذبه، ويرده فقد ورد النهي الأكيد عن رد الخبر على أهل البيت(عليهم السلام)(1)، فكيف بما يدخل في نطاق العقيدة والإيمان؟.

ب . إن إنكار هذا البعض لحجية الأخبار غير المتواترة والقطعية في ما عدا الأحكام سوف يفقده معظم معارفه الدينية، التي لم يزل يرددها هنا، وهناك، وتسقط بذلك عن الإعتبار، ويصبح بلا ثقافة دينية، وبلا معارف يعتد بها، لأنه لا يستطيع أن يدعي أنها متواترة تفيد اليقين.. بل هي أخبار آحاد، فإذا كان لا يرى هو لها أي اعتبار فكيف يثقّف بها الآخرين، ويدخلها في وجدانهم.

ج . إن أدلة حجية الأخبار سواء أكانت هي الآيات أو الروايات، بناء العقلاء الذي أمضاه الشارع . إن هذه الحجية . لم تخصص بخصوص الأحكام.

---

(1) الكافي ج2 ص 223، والبحار ج2 ص 186 وراجع: 187 و88، والمحاسن للبرقي ص30 و231.

د . إن من يقول بالأخذ بالخبر الموثوق . لا بخبر الثقة، لا يحق له القول بلزوم الأقتصار على الخبر الصحيح السند، هنا وعلى الموثوق ومطلق الحجة هناك.

هـ . إن قول هذا البعض بلزوم الإقتصار على القرآن، وعلى الأخبار المتواترة، والقطعية، وإلقاء كل خبر لا يقيد القطع أو الإطمينان معناه لزوم إلقاء كل حديث النبي (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته (عليهم السلام)، والإقتصار على بضعة أحاديث قد لا تتجاوز عدد اصابع اليدين.

فعلى الإسلام السلام.. وهذا يتوافق بصورة أو بأخرى مع مقولة: حسبنا كتاب الله..

2 . إن ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) من أن علم الباطن موجود عندهم، وأنهم هم الراسخون في العلم، حتى على تقدير لزوم تحصيل اليقين أو الإطمينان بالأخبار التي تتعرض لغير التشريع، إن ذلك ليس من أخبار الأحاد، بل هو مفيد لليقين سنداً، ومتناً، وليس من حق هذا البعض أن يرده..

3 . إننا نخشى أن يكون مقصود هذا البعض باليقين، أو الإطمينان هو خصوص الشخصي منه، وفي أي خبر كان، فإن كان هذا هو المقصود، فإن الدين يصبح ملعبة لأهل الأهواء والبدع، ولكل طامع وطامح.

4 . إن فائدة كون العلم مخزوناً لدى الراسخين في العلم هو نفس فائدة تعليم النبي (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام) ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب.. وهو نفس فائده تعليم آل داود منطق الطير، وهو نفس فائدة "علم من الكتاب" الذي كان عند آصف بن برخيا، الذي جاء بعرش بلقيس من اليمن الى بيت المقدس، وهو نفس الآيات الكبرى التى رآها رسول الله (ص) في رحلة المعراج { لقد رأى من آيات ربه الكبرى } (1) و { لنريه من آياتنا } (2) وهو نفس فائدة الغيب الإلهي . كله أو بعضه . الذي يطلع الله عليه من يرتضيه من رسول..

---

(1) سورة النجم، الآية: 18.

(2) سورة الإسراء، الآية: 1.

وحتى لو كان هذا البعض لا يدري الفائدة من ذلك، فإن ذلك لا يبرر له رفض الحديث.

5 . على أن من الواضح: أن هناك مرجعيات للناس يرجعون إليها في أمور دينهم، ولتحصيل معارفهم، كما أن لهم مرجعيات في سائر أمورهم الحياتية؛ ولو صحت مقولة هذا البعض فإنه لا تبقى فائدة من تعلم المهندس لعلم الهندسة والطبيب لعلم الطب، والرياضي لعلم الرياضيات، والفيلسوف للفلسفة، والفقيه للفقه، وما إلى ذلك.. فإن المقصود . على حد قول هذا البعض . إن كان هو حفظ تلك المعارف والقواعد، فإن المعارف والقواعد موجوده في ضمن الكتب، ومحفوظة فيها.. وإن كان المقصود هو إلزام الآخرين بها، فإن ذلك حاصل حتى وهي موجودة في ضمن الكتب.

وإذا أجاب هذا البعض بأن المهندس، والطبيب، والفقيه، والفيلسوف، والرياضي.. و.. و.. يمثلون مرجعيات للناس في أوقات حاجتهم الى علومهم، ولو لأجل تعلم جزئياتها ودقائقها لتقوية ملكات البحث العلمي في هذه الدائرة أو تلك، أو في علم هنا، وعلم هناك..

فإن الجواب: هو أن حفظ هذه العلوم القرآنية الباطنة لدى الأنبياء والأولياء إنما هو ليكونوا هم المرجعيات للناس عند الحاجة إليها..

وكذلك ليستخدموها في تربيتهم أو تعليمهم للناس وتثقيفهم بها، حينما يبلغون أو بعضهم . كسلمان . الدرجات التي يمكن أن تفيدهم في زيادة يقينهم، أو في غير ذلك من حالاتهم وشؤونهم، وحتى تصرفاتهم.. من خلال إطاعتهم لله التي تصل بهم الى مقام (عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون) كما اعترف به هذا البعض نفسه.

فاتضح بما ذكرناه عدم صحة الإستدلال الذي قدمه البعض لبيان عدم الفائدة في أن يكون المعنى الباطن محفوظاً لدى الراسخين في العلم.

6 . والأغرب من ذلك قوله: "فإن كان ذلك من جهة أنهم حجج الله الذين لا بد أن يقبل قولهم في أسرار

الدين، حتى لو لم يكن ذلك مفهوماً من اللفظ، فإن طبيعة الحجية تفرض ذلك، من دون حاجة الى تضمين القرآن لذلك"..

فإن قوله الأخير لا معنى له لأن كونهم حجج الله تعالى لا يستلزم أن لا يتضمن القرآن علومهم، ولا يستلزم أن لا يكون القرآن مرجعاً لهم يعرفون بواطنه، ويكتشفون أسراره بوسائل عرفهم الله إياها، وأوقفهم عليها.

كما ان كلامه هذا معناه: طرح الروايات الكثيرة التي تحدثت عن بطون القرآن(1)، وتصبح هذه البطون بلا فائدة.

7 . وأغرب من ذلك قوله: "وإن كان ذلك من خلال الطبيعة الذاتية للدلالة القرآنية، فإن المفروض عدم وجود ظهور للقرآن في ذلك".

فإن هذا الكلام يستبطن أن يكون هذا البعض قد عرف جميع وجوه الدلالات القرآنية.. مع أننا نلاحظ ما يلي:

ألف: إختلاف الناس في درجات فهمهم للمعاني القرآنية، وفي إكتشافهم لأسراره، وإدراك لطائفه وإشاراته..

ب . إن هذا البعض نفسه قد اعترف بأن ثمة أموراً لم يكن قد ادركها حين كتابته لكتابه المعروف "من وحي القرآن" وقد ذكر ذلك في مناسبة إنكاره لنزول الوحي مباشرة على نبي الله لوط، فراجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص 95.

ج . إن هذا البعض يسجل في نفس كتابه الآنف الذكر: أنه يخالف المفسرين في فهم كثير من الآيات القرآنية، وفي دلالاتها..

د . إنه إذا كانت معاني القرآن وخصوصياته التفسيرية لم تزل تتكشف عبر العصور، وقد تكشفت الكثير منها في هذا العصر، بسبب الثورة الكبيرة التي حصلت وتحصل في مجالات العلوم المختلفة.

فهل يستطيع هذا البعض أن يدعي مع ذلك أن ما سجله هو وغيره من معاني ادعوا أنهم قد استفادوها من الدلالات القرآنية قد أظهرت كل المعاني القرآنية وما على ذلك من مزيد في المستقبل؟، وان حركة إكتشاف المعاني القرآنية قد توقفت عند هذا الحد ؟! وكيف يمكن أن نوفق بين هذا التوجه، وبين ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): من أن هذا القرآن (لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا يشبع منه علماؤه.. وأن ظاهره أنيق وباطنه عميق).

---

(1) راجع الصحيح من السيرة: ج2، ص266. 268.

هـ . إن هذا البعض نفسه يذهب الى مقولة غريبة وعجيبة، بل وخطيرة جداً أيضاً، مفادها.. أن عالم الدلالات يتطور بتطور الزمن، وأنه يختلف من زمن الى آخر..

فهو يقول: "إن الكلمة لا تبقى في مدلولها اللغوي الوضعي جامدة لا تتحرك، بل تأخذ من حركتها التاريخية الكثير من الإشارات، والرموز، والإيحاءات، التي قد يفهم الناس منها الكثير خارج مدلولها الذاتي"(1).

فلماذا لا يطبق مقولته هذه على القرآن، ويفسح المجال لفهم جديد لهذا الكتاب الذي هو هدية الله الى الخلق.. ويقبل بإفتراض أن يكون النبي (ص) والأئمة (ع) قد عرفوا كل معاني القرآن هذه، بسبب أن الله قد علمهم كل العلوم التي يحتاج إليها البشر، وكل ما يتوصلون إليه من معارف في الكون والحياة..

بل لماذا لا يقبل بإمكانية أن يكون الله سبحانه قد رضي رسوله أهلاً، وفي مستوى لأن يطلعه على غيبه في كل شؤون الخلق والحياة، وأسرار الوجود.

أو بمستوى يفوق كثيراً ما يمكن أن يتوصل إليه البشر الذين أرسل اليهم، وهو نبيهم، وإمامهم وسيدهم عبر العصور والدهور..

وحيث إن الله سبحانه قد أطلعه على هذا المستوى الرفيع من علمه وغيبه، فإنه سيكون قادراً على فهم معاني القرآن، كأدق ما يكون الفهم، وفي مستوى لا يرقى إليه ما فهمه هذا البعض، بل كل من فسر القرآن سابقاً، وسوف يفسره لاحقاً.. بحيث لابد من الرجوع إليه (ص) في فهم دقائقه، وبواطنه وحقائقه.

750 . التشكيك بروايات أن في القرآن حديثاً عن أهل البيت وأعدائهم.

751 . هذه الأحاديث تبعد القرآن عن كونه الكتاب المبين.

752 . الأحاديث المذكورة جو خاص يضرّ بحجية القرآن.

753 . أجواء الروايات الخاصة تجعله لا يمنح الوعي الفكري.

754 . هذا الجو الخاص للقرآن جعله لا يمنح الوعي الشرعي.

755 . هذا الجو الخاص للقرآن يجعله لا يمنح الوعي الروحي.

---

(1) المعارج: العدد 28 . 31، ص.264

756 . هذا الجو الخاص للقرآن يضر بفهمهم له حسب القواعد التي تركز الطريقة العامة للفهم العام.

يقول البعض:

"هذه أسئلة توقف عندها الكثيرون في حركة التفسير، وأثاروا الكثير من الجدل حولها، حتى خيل للبعض أن القرآن كتاب رمزي لا يعلمه إلا الفئة التي جعل الله لها الميزة في فهم وحيه، فأنكروا حجية ظواهره إلا بالرجوع الى أئمة أهل البيت (ع)، وانطلق البعض ليتحدث عن تعدد المعاني للكلمة الواحدة بطريقة

عرضية أو طولية، واستفاد آخرون من الروايات أن القرآن، في مجمل آياته، حديث عن أهل البيت بطريقة إيجابية، وعن أعدائهم بطريقة سلبية، ليبقى للأحكام وللقضايا العامة وللقصص المتنوعة مقدار معين..

وهكذا كان التصور العام للقرآن خاضعاً للأجواء الخاصة التي تبعد به عن أن يكون الكتاب المبين الذي أنزله الله على الناس ليكون حجة عليهم، من خلال آياته الواضحة التي تمنحهم الوعي الفكري والروحي والشرعي، على أساس ما يفهمونه منها، بحسب القواعد التي تركز الطريقة العامة للفهم العام"(1).

وقفة قصيرة :

ونقول:

إننا نسجل هنا ما يلي:

1 . أنظر كيف يورد الكلام حول أمور وردت في الأحاديث الشريفة، عن المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) بطريقة تظهر سخفها وسقوطها.. موحياً بأن الناس هم الذين استفادوا ذلك من الروايات الصحيحة.. أو المعتبرة، مثل ما روي بسند معتبر عن الإمام الجواد (عليه السلام)، قال: (نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام)(2).

وقريب منه روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أيضاً(3).

---

(1) من وحي القرآن: ج1، ص6.

(2) تفسير البرهان : ج1، ص21 والكافي: ج2، ص459 وتفسير الصافي ج1 ص24، ومصابيح الأنوار ج2 ص294، وعدة رسائل للمفيد (المسائل السروية) ص225، وتفسير العياشي ج1 ص9 وفي هامشه عن البحار ج19 ص30.

(3) تفسير البرهان : ج1 ص21

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً(1) .

وعن أبي جعفر (ع): (يا خيثمة نزل القرآن ثلاثا: ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنة ومثل.. الخ)(2).

وثمة روايات أخرى عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فراجع(3)

ولعل الفرق بين الثلث والربع قد نشأ من ملاحظة أن ربع آيات القرآن قد نزل فيهم حقيقة..

أما الرواية التي حددت الثلث فقد لاحظت بالإضافة الى ما نزل فيهم عليهم السلام ما كان عاماً لكنهم عليهم السلام كانوا أبرز وأجلى، وأفضل مصاديقه، فصار المجموع ثلث القرآن.

2 . وما الذي يمنع من صحة هذه الأحاديث، فإن أهل البيت (عليهم السلام) هم مثال الإنسان الإلهي

المؤمن، الجامع لكل صفات الخير، والكمال، والذي هو محل الكرامة الإلهية..
وعدوهم (عليهم السلام).. هو على النقيض من ذلك، فكل ما ورد من أحاديث تلامس هذا النوع من الناس أو ذاك فهو حديث عنهم, وعن عدوهم، سواء أكان حديثاً عن الماضي، أو عن الحاضر أو عن المستقبل..
ولا ضير بعد هذا في أن يكون ما بقي، سنن وأمثال، وفرائض، وأحكام.
3 . لا ندري كيف تتسبب هذه الأحاديث في إبعاد القرآن عن أن يكون كتاباً مبيناً ؟!.
وهل ان الأخذ بهذه الأحاديث، واعتبار أهل البيت (عليهم السلام)، وأعدائهم أجلى مصاديق ذينك الصنفين من الآيات يسقطه عن الحجية على الناس؟!.
ولماذا كان خضوع القرآن لهذا الجو الخاص . يجعله غير قادر على أن يمنح الوعي الفكري، والروحي، والشرعي . على حد تعبير هذا البعض . الذي اختار لتطبيق كلامه هذا آية: { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم.. } وما شابهها من آيات نزلت في أهل البيت (عليهم السلام)؟!.

---

(1) تفسير البرهان : ج1 ص21.
(2) تفسير البرهان : ج1 ص21.
(3) تفسير البرهان: ج1 ص21 والكافي ج2، ص459، ومصابيح الأنوار ج2، ص295، تفسير العياشي ج1، ص9 . وعن البحار ج19، ص30 . وعن تفسير الصافي ج1 ص24.

وكيف ينشأ عن الأخذ بهذه الروايات التغيير فيما يفهمونه من آياته، بحسب القواعد التي تركز الطريقة العامة للفهم العام؟!.
4 . إن كل هذا الكلام الذي ساقه هذا البعض مجرد تهاويل لا أساس لها.. فإنه لا شك في أن هناك مناسبات إقتضت نزول كثير من الآيات في الحروب، وفي الأشخاص، وفي الأحداث.. وغير ذلك.. ولم يضر ذلك بالفهم العام للآيات وفق القواعد التي تركز الطريقة العامة للفهم العام.
إذ لا فرق بين أن يقال: إن الآيات قد نزلت لمعالجة هذه الحادثة أو تلك، وبين أن يقال إنها نزلت في هذا الفريق أو ذاك الفريق..
فإذا كان ذاك مضراً.. فهذا مثله.. وإذا كان غير مضر في فهم القرآن فهذا أيضاً كذلك.

خلفيات
كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام)

خلفيات
كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام)

الجزء الرابع

العلاّمة المحقق
السيد جعفر مرتضىالعاملي

دار السيرة
بيروت . لبنان

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم
تقديم:
والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.
ألف: يقول بعض الأخوة: إنك إذا تتبعت مقولات هذا البعض فستجد أنه قد تعرّض لمختلف الحقائق الإسلامية، وربما إلى درجة النفي القاطع أحياناً.. لكن الملفت . والكلام لذلك البعض . أنه لم يتعرض حتى الآن بالتشكيك في الموضوعات التالية:
1 . الخمس..
2 . الصدقات والمبرّات..
3 . المرجعية، وفقاً لبعض المواصفات المناسبة!!
ويضيف هؤلاء الإخوة أموراً أخرى، لا نحب أن نتعرّض لها، لأنها قد تصل إلى حد الإتهام..
ونحن لا نريد أن نتهم أحداً، لأننا نعتقد: أن الأهم من كل شيء هو إلفات نظر الناس إلى مقولات نرى أنها على غاية في الخطورة لأنها تمسّ جوهر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وتهدف إلى إثارة التساؤلات والشكوك حول أهم مفردات العقيدة، والكثير من حقائق الدين..
ب: إنه ربما يشعر البعض أن ثمة درجة من الجفاء، أو الجفاف في التعابير، الأمر الذي قد يفسح

المجال أمام التعللات الهادفة إلى التهرب من مواجهة الحقيقة، حيث يتمكنون من اثارة عواطف الناس، وتحريك مشاعرهم، وصرفهم عن حقيقة المشكلة حيث يصوّر أو يصورون لهم أنه مستهدف، وأنه مظلوم.. وأنه وأنه..

ونقول:

لا بد من ملاحظة الأمور التالية:

أولاً: إن اللغة العلمية هي بطبيعتها لغة جافة، لأنها تسعى إلى وضع النقاط على الحروف، بصراحة تامة، وبأمانة ودقّة.

ثانياً: إننا نرتاب كثيراً في صدقية كثير من الألقاب والمقامات والقداسات التي يحاط بها بعض الناس، ويتخذون منها ذريعة لمنع الناس من توجيه النقد، وحتى الإتهام المستند إلى الوقائع، وإلى الشواهد المكتوبة وغيرها.. التي يعطيها ذلك البعض لنفسه.. بل نقطع بما لا نحب التصريح به في هذا المجال..

ثالثاً: انه لا مجال لمجاملة من يجترئ على مقامات الأنبياء والأوصياء، ويسعى لاقتحام مسلمات الدين والعقيدة والمذهب، ولا يصح: تعظيمه وتبجيله، وهو يصف الأنبياء بكثير من أوصاف المهانة، ويصورهم بصورة، هي اقرب إلى صورة المتخلفين عقلياً منها إلى صورة الإنسان العادي حتى ان شيخ الأنبياء فيها عنده بدرجة من السذاجة انه ينظر إلى السماء نظرة حائرة بلهاء.

مع أنهم هم الذين اصطفاهم الله لرسالاته، وانتجبهم، واختارهم ليكونوا الأسوة والقدوة، والقادة، والهداة للعباد و.. وقدّمهم على انهم الإنسان النموذج، والأكمل والأفضل والأرقى، والأمثل..

إن الصورة التي يقدّمها هذا البعض للأنبياء قد تجعل الانسان العادي يعيد النظر في ما عرّفه وهداه إليه عقله عن الذات الإلهية، فيظن بالله الظنون . والعياذ بالله . فينسب إليه الجهل بمخلوقاته.. أو العمل على غشهم، وعدم النصيحة لهم. حيث يختار أناساً غير لائقين بما يختارهم له.

ولعل ما أسلفناه في الاجزاء السابقة من مقولات هذا البعض يوضح هذه الحقيقة بجلاء تام.

هذا كله.. عدا عما يصف به هذا البعض أئمة الدين، وأولياء الله وقد تقدم بعض من ذلك. وكذلك ما يصف به السيدة الزهراء عليها السلام، مما سيمر على القارئ الكريم بعضه أيضاً في جزء مستقل إن شاء الله تعالى..

ومهما يكن من أمر.. فإننا نقدم للقارئ الكريم في هذا الجزء طائفة أخرى من مقولات هذا البعض. على قاعدة:

{ قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي.. }

هدانا الله جميعاً الى سبيل الرشاد، ووفقنا للسداد إنه ولي كل نعمة، وقاضي كل حاجة، ومنتهى كل رغبة، بحق محمد وآله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين

جعفر مرتضى العاملي

القسم الثاني:

إعتقادات ومقولات صرح بها.

الفصل الأول:

عقائد.. وحقائق

بداية:

إن هذا البعض كان في بدايات ظهور مقولاته الى العلن، وتنديد مراجع الدين بها.. واعتراض علماء الأمة عليها، ورفضها وتفنيدها.. كان يقول: إنهم يقطّعون كلامي.. ويقول: إن ذلك مكذوب علي.. ويقول: إن الأشرطة مدبلجة مخابراتياً.. ويقول.. ويقول..

ولكن الذي شهدناه أخيراً هو تبدل قوي وملفت في السياسية مع المعترضين على هذه المقولات. حيث توجهت أنظاره هو ومؤيدوه الى الإعتراف والتسليم بأنها من مقولاته،و اتجهت هممهم وجهودهم الى إثبات: أن ثمة من يوافقه عليها من أهل العلم أو من المفسرين، أو ما الى ذلك.. وارتكبوا في هذا السبيل الكثير من جرائم التزوير، والتحريف، حتى لكلام نفس هذا البعض صاحب المقولات الذي يناصرونه، ويدافعون عنه.

ونحن إذ نشكر الله على هذا الإعتراف، فإننا نعيش أشد أنواع الأسى والألم تجاه هذه الفاجعة التي تحل بالدين من جراء هذا التزوير المتعمد والفاضح من قبل أناس يصح أن يقال فيهم: أنهم باعو دينهم بدنيا غيرهم.

ونرى في هذا الأمر خطورة قصوى لا تماثلها خطورة.. ولا ندري كيف نوقف زحف هذا التزوير، ولا كيف نكافحه، ونقضي عليه..

وهذا الأمر لا يختص بنوع من مقولات هذا البعض دون نوع، بل هو منتشر في كل اتجاه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ما في هذا الفصل:

وما نقدمه الى القارئ في هذا الفصل ذو ألوان مختلفة، فبعضه يدخل في علوم القرآن، وبعضه تاريخي، وبعضه يرتبط بالعقائد، وبعضه أغلاط فاضحة وواضحة.. وغير ذلك، وهو على العموم يظهر أنه لا

مجال للإعتداد بما يراد الترويج له، من أن ثمة درجة من الدقة والتحقيق والإطلاع وما إلى ذلك، ما لم يثبت ذلك بالأرقام وبالأدلة والشواهد. فنقول:

757 . لا مانع من أن تكون فواتح السور من كلام النبي (ص).

758 . فواتح السور ليس لها مدلول معين ولا مضمون واضح.

759 . كون الحروف المقطعة مزيدة في القرآن رأي معقول..

760 . الرأي بزيادة الحروف المقطعة منسجم مع أجواء العداء.

761 . المانع من تبني هذا الرأي هو: كون غالب السور مدنية.

يقول البعض وهو يتحدث عن الآراء المطروحة حول الحروف المقطعة الواردة في أوائل العديد من السور القرآنية:

"الرأي الثاني: إنها من كلام النبي (ص) لإثارة إنتباه الناس الى الآيات التي يريد أن يقرأها عليهم. فقد كان المشركون . في ذلك الوقت . يعملون على إثارة الضوضاء واللغو عند قراءة النبي للقرآن، ليمنعوا الآخرين من الإستماع إليه فجاءت هذه الكلمات غير المألوفة لديهم لتؤدي دورها في إثارة الإنتباه من خلال غرابتها على أسماعهم لأنها ليست من نوع الكلمات التي تعارفوا عليها، فليس لها مدلول معين ومضمون واضح، ومن هنا يبدأ التساؤل الداخلي الذي يهيء النفس لإنتظار ما بعدها لتستوضح معناها من خلال ذلك.. وتتحقق الغاية من ذلك في سماعهم لآيات الله.

ونحن لا نمانع في معقولية هذا الرأي وانسجامه مع الأجواء العدائية التي كان المشركون يثيرونها أمام النبي (ص) مما حدثنا القرآن الكريم عنه في قوله تعالى:

{ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه } {فصلت:26}.

ولكن ذلك كان موقف المشركين في مكة، بينما يغلب على السور التي اشتملت على هذه الكلمات الطابع المدني في نزولها على النبي (ص)، ونحن نعلم أن هذه الأجواء لم تكن مثارة في المدينة لأن المشكلة لم تكن مطروحة هناك، فلا يصلح هذا الرأي لتفسير هذه الكلمات"(1) .

وقفة قصيرة :

ونقول:

1 . إن هذا البعض لا يمانع في معقولية الرأي الثاني القائل بأن الكلمات المعروفة الواقعة في أوائل السور مثل:

{ ألم، كهيعص، المر، المص، حم عسق، الر، ق، ن } ونحو ذلك.. هي من كلام النبي (صلى الله عليه وآله) وقد وضعها وزادها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليثير إنتباه الناس الى الآيات التي يريد أن يقرأها عليهم..

فالنبي إذن قد زاد في هذا القرآن العظيم من عند نفسه ما ليس منه.. وبالتالي، فإن هذا البعض لا يمانع في معقولية هذه الزيادة، ووقوع التحريف بالزيادة في هذا القرآن.

ويرى أن هذا الرأي ينسجم مع الأجواء العدائية التي كان المشركون يثيرونها أمام النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله).

2 . إن هذا البعض يقول: "إنه يغلب على السور التي اشتملت على هذه الكلمات الطابع المدني في نزولها على النبي (ص).." وهذا هو الذي يمنعه من التأكيد على هذا الرأي الثاني وتبنيه.

فلو أن الأمر كان على عكس ذلك بأن كان الطابع الذي يغلب على السور التي اشتملت على هذه الكلمات في نزولها هو المكي، لكان هذا الرأي هو المعقول . بنظره . لتفسير هذه الكلمات، إذ أنه لا يمانع في معقولية هذا الرأي، لأنه حينئذ يكون منسجماً مع الأجواء العدائية، التي كان المشركون يثيرونها أمام النبي . على حد تعبير هذا البعض ..

وقد راجعنا تلك السور التي توجد هذه الكلمات في فواتحها، فوجدنا:

---

(1) من وحي القرآن: الطبعة الأولى . ج1 ,ص22 و23.

إن هذه الحروف قد وردت في تسع وعشرين سورة، ست وعشرون منها نزلت في مكة، وثلاث منها نزلت في المدينة حتى هذه السور التي نزلت في المدينة يلاحظ أن إثنتين منها وهما سورتا البقرة، وآل عمران قد نزلتا في أوائل الهجرة، وحيث كان الوضع الديني والإيماني فيها لا يختلف كثيراً عنه في مكة، ولا سيما مع وجود اليهود وشبهاتهم، ومؤامراتهم الى جانب المشركين فيها.

وواحدة منها، وهي سورة الرعد قد نزلت بعد أن كثر الداخلون في الإسلام رغباً أو رهباً، وكثر المنافقون حتى ليرجع إبن أبيّ بثلث الجيش في غزوة أحد عدا من بقي منهم في الجيش ولم يرجع معه.. وأصبح اليهود وغيرهم ممن وترهم الإسلام يهتمون بالكيد للإسلام من الداخل، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكرياً وفكرياً، وعقائدياً بشكل سافر.. فجاءت سورة الرعد لتكرر التحدي بهذه المعجزة: القرآن، كأسلوب أمثل لبعث عمق عقيدي وإيماني جديد في المسلمين، ومواجهة غيرهم بالواقع الذي لا يجدون لمواجهته سبيلاً إلا بالتسليم والبخوع والإنقياد له.

وهذا يفسر لنا السر في أننا نجد أسلوب وأجواء سورة الرعد لا تختلف كثيراً عن أجواء وأسلوب غيرها من السور المكية، وأن هنالك توافقاً فيما بينها في إدانة وضرب كل أساليب التضليل أو التزوير، والصدود عن الحق.

3 . إن هناك إجماعاً من المسلمين على عدم وقوع الزيادة في كتاب الله سبحانه بأي وجه.. وقد ذكر هذا الإجماع عدد من العلماء كالطوسي والطبرسي..(1)

(1) راجع: مجمع البيان ج 1, ص15 و تفسير الصافي ج1، ص55 عن الشيخ الطوسي، ونقل في أعيان الشيعة ج1 ص 51 و 46 ط دار التعارف إجماع الشيعة على عدم الزيادة، وراجع إظهار الحق ج2, ص 128.

أما النقيصة فالشيعة مجمعون على عدمها أيضاً(1)، ولا يعتد بمخالفة بعض الحشوية، وبعض أهل الحديث، لنقلهم أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها.

بل لقد قال إبن حزم عن الشريف المرتضى . رحمه الله . : إنه (يكفر من زعم أن القرآن بدِّل، أو زيد فيه أو نقّص منه، وكذا كان صاحباه: ابو القاسم الرازي، وأبو يعلى الطوسي(2)).

وعدا ذلك فإن الأدلة على سلامة القرآن من التحريف سواء من ناحية الزيادة، أو من ناحية النقيصة كثيرة، وقد استوفينا شطراً منها في كتابنا المعروف: (حقائق هامة حول القرآن) فليراجعه من يريد ذلك..

5 . وقد يعتذر البعض بأن مراده: أن الله قد حكى قول النبي (صلى الله عليه وآله) في القرآن، فتكون هذه الحروف من كلام النبي، ومن القرآن معاً.

وجوابه: أنه كلام لا يصح إذ أن الحروف قد نزلت على النبي (ص) قبل أن يبدأ بقراءتها، وقد حضر ليبلغهم إياها، لا أنه تفوه بها ليسكتهم، ثم شرع الوحي ينزل عليه حاكياً كلامه هذا..

762 . الإمامة من المتحول لا من الثابت.

763 . الإمامة تتحرك في النصوص الخاضعة للإجتهاد.

764 . نصوص الإمامة ليست صريحة بحيث لا يحتمل الخلاف فيها.

765 . نصوص الإمامة ليست بدرجة عدم إمكان الشك فيها.

766 . الحسن والقبح العقليان من المتحول.

767 . الحسن والقبح العقليين ليست موثوقة بدرجة لا شك فيها..

768 . نصوص الحسن والقبح العقليين ليست موثوقة لا يحتمل الخلاف فيها.

ويقول البعض، وهو يتحدث عن الثابت، والمتحول:

(1) راجع: الأيضاح لإبن شاذان، والإعتقادات للصدوق، وجواب المسائل الطرابلسيات للسيد المرتضى، ومجمع البيان ج1 ص15، وسعد السعود ص144و145و192و193، وآلاء الرحمن ص25و26، عن مصائب النواصب، وإظهار الحق ج2 ص129، والشيعة في الميزان ص314، وبرهان روشن ص113 (فارسي)، وكشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء.

(2) لسان الميزان: ج4 ص223، والفصل في الملل والأهواء والنحل ج 4 ص182.

".. في داخل الثقافة الإسلامية ثابت يمثل الحقيقة القطعية، مما ثبت بالمصادر الموثوقة، من حيث السند والدلالة، بحيث لا مجال للإجتهاد فيه، لأنه يكون من قبيل الإجتهاد في مقابل النص.
وهذا هو المتمثل ببديهيات العقيدة كالإيمان بالتوحيد، والنبوة، واليوم الآخر، ومسلمات الشريعة، كوجوب الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر وبالعروف والنهي عن المنكر، وحرمة الخمر، والميسر، والزنا .. واللواط، والسرقة، والغيبة، والنميمة، وقتل النفس المحرمة ونحو ذلك..
هذا بالإضافة الى الوضوح في الموقف السلبي أو الإيجابي من المفاهيم المتقابلة، من الظلم، والعدل، والكذب، والصدق، والخيانة، والأمانة، ونحو ذلك.
فلا مجال لتحريكها في مستوى رفض المبدأ، بل قد يثور الجدل فيها على مستوى التفاصيل في المؤدات الصغيرة المتناثرة في نطاق الظروف والطوارئ.
وهناك المتحول الذي يتحرك في عالم النصوص الخاضعة في توثيقها، ومدلولها للإجتهاد، مما لم يكن صريحا بالمستوى الذي لا مجال لإحتمال الخلاف فيه، ولم يكن موثوقا بالدرجة التي لا يمكن الشك فيه.
وهذا الذي عاش المسلمون الجدل فيه كالخلافة والإمامة، والحسن، والقبح العقليين، والذي ثار الخلاف فيه بين العدلية وغيرهم.. الخ"(1).
وقفة قصيرة:
إنني أعتقد أن القارئ الكريم في غنى عن التذكير بأن الإمامة هي من الثوابت القطعيّة التي لم يزل النبي (ص) يؤكدها قولاً وعملاً بالإشارة والتلميح، وبالكناية والتصريح، وبالقول والفعل.
1 . والنصوص الدالة على ذلك تعد بالمئات، بالإضافة الى الكثير من الآيات القرآنية التي أوضحت هذا الأمر بجلاء تام..
وإذالم يكن ذلك كله مما يوجب القطع واليقين، وهو عبارة عن توترات عديدة، وصريحة فأي شيء بعد هذا يمكن أن يوجب ذلك؟!

---

(1) مجلة المنهاج: العدد الثاني ,ص 61 سنة 1417 هـ.

2 . إن مجرد حصول الشبهة في الأمر البديهي لا يخرجه عن دائرة البداهة، ولا يجعله نظرياً، إجتهادياً، لدخوله في دائرة المشكوك في سنده وفي دلالته.. حسبما ورد في مقولة هذا البعض..
3 . ولو صح ذلك.. للزم اعتبار وجوب الصلاة، والصوم، وغير ذلك من العبادات، من المشكوك، فإنه يدخل في دائرة المتحول الإجتهادي المشكوك في سنده وفي دلالته، لوجود فِرَق يعتبرها نفس هذا الشخص فرقاً اسلامية . كالدروز مثلاً .، لا تجد ضرورة في ممارسة هذه الشعائر، ولا تعتبرها من الأحكام الثابتة والملزمة.

وقد كتب هذا البعض نفسه مقدمات لكتب صدرت عن اتباع تلك الفرق أيد فيها إسلاميتها، ومدحها بما تيسر له.. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

وأعتقد أن إلقاء نظرة سريعة على مقولات الفرق المعدودة في فرق المسلمين.. يثير العجب، والدهشة مما أثارته تلك الفرق والمذاهب من مقولات، وشبهات حول أبده البديهيات.. فهل تخرجها تلك الشبهات عن دائرة البداهة، وتجعلها من المتحول في عالم النصوص التي لا يقين بسندها، ولا بدلالتها ؟!.

4 . والأغرب من ذلك كله.. أنه جعل مسألة الحسن والقبح العقليين من المتحول الذي يتحرك في عالم النصوص التي لم تكن صريحة بالمستوى الذي لا مجال لإحتمال الخلاف فيه، ولا موثوقا بالدرجة الذي لا يمكن الشك فيه، مع أن المسألة عقلية كما هو صريح عنوانها.. فأين هذه المسألة من عالم النصوص المتيقنة أو المشكوكة.

769 . لا يتدخل أحد إلا بأذنه الذي يلقيه الله إليه فيما يريد، وفيما لا يريد.

770 . لا معنى لأن يتوجه الإنسان للشفعاء ولو عبر الواسطة.

771 . المطلوب هو التخلص من الإغراق في أسلوب الطلب من الأنبياء والأولياء.

772 . الإغراق في الطلب من النبي والولي الى حد ينسى الطالب ربه مرفوض.

773 . يستغرق في ذات النبي والولي حتى ينسى ربه.

774 . لا يملك أحد أن يتدخل في إنقاذ أحد من خلال موقع مميز خاص.

يقول البعض:

" { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } ليس هناك إلا كلمته وإرادته، فلا يملك أحد أن يتدخل في إنقاذ أحد من مصير محتوم، أو رفعه الى درجة عالية من خلال قوة ذاتية أو موقع مميز خاص، إلا بإذنه الذي يلقيه الى بعض عباده المقربين في ما يريد، وفي ما لا يريد، وبذلك يمكن لنا أن نقرّر مبدأ الشفاعة في نطاق الخط الذي يريد الله للشافعين أن يسيروا عليه في ما يريد الله أن يكرمهم بالمغفرة لبعض المذنبين، أو برفع الدرجة لبعض المطيعين من دون أن يتنافى ذلك مع مبدأ التوحيد في ما يتوسل به الناس من شفاعة.

وفي هذا الجو، يمكن لنا أن نستوحي طبيعة ما يملكه الشفعاء من ميزة الشفاعة من حيث ارتباطها بإرادة الله بإذنه، فالمغفرة التي تنال المذنبين من الله، والبلاء الذي يرفع عن المبتلين من الله، والمثوبة التي تحصل للمطيعين منه . جل شأنه . يمنحها لهذا ولذاك، بكرامة هذا النبي، أو هذا الولي التي أراد أن يكرمهم بها.

ولهذا فلا معنى لأن يتوجه العباد إليهم حتى عبر الواسطة، بل يكون التوجه الى الله بأن يجعلنا ممن يشفع بهم، لأنهم لا يملكون الشفاعة بأنفسهم، بل يملكونها من خلال وحيه وإذنه وتعليمه، وبذلك نتخلص

من هذا الإغراق في أسلوب الطلب من الأنبياء والأولياء بالمستوى الذي قد ينسى فيه الطالب ربه في استغراقه العميق في ذات النبي أو الولي، إذا لم يكن واعياً بالدرجة التي يستطيع من خلالها أن يضع الأشياء في مواقعها الصحيحة من العقيدة والشريعة"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1. لماذا حمل الشفاعة بإذن الله على معنى أنه لا بد من صدور الإذن الفعلي الذي يلقيه الى الشافع فيما يريد، وفيما لا يريد؟

ولماذا لا يكون معناها: أن من بلغ مقاماً يؤهله لأن يشفع للناس، فإن الله سبحانه يأذن له بذلك إذناً عاماً فيشفع لمن يشاء من خلق الله سبحانه.

---

(1) من وحي القرآن: ج5 ص32 و 33 الطبعة الجديدة.

وأما قوله تعالى: { لا يشفعون إلا لمن ارتضى } فإن معناه: ارتضى الله دينه، فلم يكن مشركاً ولا ظالماً . كما ورد في روايات أهل البيت (عليهم السلام) وقد تحدثنا عن الشفاعة في الجزء الثاني من هذا الكتاب (ص 312 . 333)، وكذلك في الجزء الأول (ص 219 . 225).

2 . إن هذا البعض نفسه قد اعترف بأن المسلمين إنما يمارسون التوسل بالأنبياء والأولياء "من موقع التوجه الى الله بأن يجعلهم الشفعاء لهم، وأن يقضي حاجاتهم بحق هؤلاء فيما جعله لهم من حق، مع الوعي الدقيق للمسألة الفكرية في ذلك كله، وهي الإعتراف بأنهم عباد الله المكرمون..الخ"(1).

إلى أن قال: "هكذا نرى ان الذهنية العقيدية لدى المسلمين لا تحمل أي لون من ألوان الشرك بالمعنى العبادي، كما لا يحملون ذلك بالمعنى الفكري، بل بختزن في دائرة التعظيم للأنبياء، والأولياء الشعور العميق بأن الله هو خالق الكون ومدبره إلخ"(2).

ويقول أيضاً: "إذا كان الله قادراً على أن يحقق ذلك من خلالهم في حياتهم، فهو القادر على أن يحقق ذلك، بعد مماتهم بإسمهم، لأن القدرة في الحالتين واحدة"(3).

فكيف يقول هذا البعض هنا: "إننا نحتاج الى أن نتخلص من الإغراق في اسلوب الطلب من الأنبياء، والأولياء بالمستوى الذي قد ينسى فيه الطالب ربه في استغراقه العميق في ذات النبي أو الولي.. الخ"، فإن المسلمين . باعترافه . واعون للمسألة الفكرية بدقة.

هذا عدا عن حديثه عن الصنمية اللاشعورية. التي تتمثل في الوقوف أمام قبر النبي والولي، وعن أن ثمة شركاً في العبادة حين يقول القائل يامحمد يا علي، فراجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص 200 . 204 و 218 . 225.

(1) من وحي القرآن: ج1 ص .62
(2) المصدر السابق: ج1 ص .63
(3) المصدر السابق.

3 . وما على من استغرق في ذات الولي والنبي من غضاضة إذا كان يعلم أن الله سبحانه قد منحه مقام الشفاعة وأصبح يقول للنار: هذا لي، وهذا لك، كما ورد عن الأئمة (ع) في تفسير قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) في علي (صلوات الله وسلامه عليه) (علي قسيم الجنة والنار).
4 . قد ظهر مما تقدم: أن قول هذا البعض: "لا يملك أحد أن يتدخل في إنقاذ أحد من مصير محتوم، أو رفعه إلى درجة عالية من خلال قوة ذاتية، أو موقع مميز خاص، إلا بإذنه الذي يلقيه الى بعض عباده المقربين فيما يريد، وفيما لا يريد".
قد ظهر أن هذا القول لا يستقيم إذ من الجائز أن يكون الله سبحانه قد منح بعض أوليائه وانبيائه قوة ذاتية تمكنهم من ذلك كما منح . بنص الكتاب . آصف بن برخيا قدرة الإتيان بعرش بلقيس من اليمن الى بيت المقدس { أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك } ، حيث نسب الإتيان به إلى نفسه.
كما أن من الجائز أن يبلغ أحدهم بفضل الله وكرمه موقعاً خاصاً يؤهله لأن ينقذ هذا أو ذاك، كما هو الحال بالنسبة لأمير المؤمنين، قسيم الجنة والنار الذي يقول للنار: هذا لي وهذا لك.
والحديث مع هذا البعض حول هذا الموضوع يطول، ويمكن الإكتفاء بما ذكره في مواقع عديدة في هذا الجزء، وفي الجزء الأول والثاني من هذا الكتاب إن في ذلك لذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد.
775 . تقاليد العوام في زيارة القبور قد تتّخذ منحى خطيراً في خط الإنحراف.
776 . لا يكفي في إستقامة العقيدة عدم الدليل على المنع من بعض الأعمال.
777 . الخلط بين مظاهر احترام الخالق والخلق ممنوع.. ولو لم يكن كفراً أو شركاً.
778 . ما يدعى به الله لا يدعى به غيره.
779 . يعقوب سجد ليوسف تحيّة وتعظيماً.
780 . سجود يعقوب ليوسف لأن ذلك كان هو التقليد الشائع في احترام السلطان.
يقول البعض:

"إن التقاليد المتّبعة لدى العوام من المسلمين في تعظيم الأنبياء والأولياء وفي زيارة قبورهم قد تتّخذ إتجاهاً خطيراً في خط الإنحراف في التصور والممارسات، وذلك من خلال الجانب الشعوري الذي يترك تأثيره على الإنفعالات الذاتية في الحالات المتنوعة التي قد تدفع إلى المزيد من الممارسات المنحرفة في

غياب الضوابط الفكرية التربوية، في ما ينطلق به التوجيه الإسلامي للحدود التي يجب الوقوف عندها من خلال طبيعة الحقائق الواقعية للعقيدة، لأنه لا يكفي، في استقامة العقيدة، أن لا يكون هناك دليل مانع من عمل معيّن، أو من كلماتٍ خاصةٍ، أو من طقوس متنوعة، بل لا بد من الإنفتاح على العناصر القرآنية للفكرة العقيدية، والأجواء المحيطة بها، والروحية المميزة المتحركة في طبيعتها، حتى لا تختلط مظاهر الاحترام بين ما يقدّم للخالق وما يقدّم للمخلوق، بقطع النظر عما إذا كان ذلك شركاً أو كفراً، أو لم يكن. ولا سيما إذا عرفنا أن الشعوب قد يقلّد بعضها بعضاً في الكثير من الطقوس والعادات في مظاهر الاحترام والتعظيم، مما قد يؤدي إلى التأثر الشعبي ببعض التقاليد الموجودة لدى بعض الشعوب غير الإسلامية التي قد تشتمل على العناصر الفكرية أو الروحية البعيدة عن فكر الإسلام وروحه.

إن هناك نوعاً من التوازن في الحدود النفسية للإ تباط الروحي بالأشخاص، من حيث الشكل أو المضمون، لا بد للمسلم من مراعاته من أجل الإحتفاظ بالأصالة الفكرية التوحيدية في خط الإنفتاح على الله بما لا يدعو به إلى غيره، لإبقاء الصفاء العقيدي في العمق الشعوري الروحي للإنسان المسلم، لأن ذلك هو السبيل الأمثل للاستقامة على الخط المستقيم، لأننا لا نريد أن نصل في استغراقنا العاطفي إلى لون من ألوان عبادة الشخصية في ما تتحرك به مشاعر العاطفة بعيداً عن رقابة العقل، الأمر الذي يدفعنا إلى أن نتحمل مسؤولياتنا في الساحة الفكرية، لنراقب طبيعة الأساليب الشعبية في ذلك كله؛ لنبقى من خلال المراقبة الدقيقة في مواقع التوازن الفكري والروحي في خط العقيدة"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . إن التقاليد المتبعة لدى العوام من المسلمين في تعظيم الأنبياء والأولياء تتمثل في تقبيل ضريح النبي أو الإمام، ووضع الخد عليه، ومسحه باليد أو بالثوب، والدعاء عنده وطلب شفاء مريض، أو قضاء حاجة، والصلاة إلى الله قرب ذلك الضريح، وقراءة القرآن والأدعية المأثورة، والبكاء إلى الله والطلب والإبتهال إليه بأن يغفر ذنوبهم ويرحمهم، وقد يقام مجلس عزاء يذكر فيه ما جرى على أهل بيت النبوة(ع) في سبيل هذا الدين..

وقد يحدث أن يؤتى بالمريض ليكون إلى جانب ضريح الإمام(ع) ويتعلّق بالضريح أو يعلّقه أهله به، في عملية إلحاح شديد على الإمام ليكون واسطتهم إلى الله سبحانه ليشفي هذا المريض.

وهو يقصد ذلك كله . فيما يظهره . وذلك لقوله: "لا يكفي في استقامة العقيدة أن لا يكون هناك دليل مانع من عمل معين أو كلمات خاصة أو من طقوس متنوعة".

(1) من وحي القرآن ج1 ص64 و65.

وقد اعترف هذا البعض نفسه بأن المسلمين يمارسون التوسل بالأنبياء والأولياء: "من موقع التوجه إلى الله بأن نجعلهم الشفعاء لهم وأن يقضي حاجاتهم بحق هؤلاء فيما جعله لهم من حق، مع الوعي الدقيق للمسألة الفكرية في ذلك كله"(1).

واعترف أيضاً بأنه "إذا كان الله قادراً على أن يحقّق ذلك من خلالهم في حياتهم فهو القادر على أن يحقّق ذلك بعد مماتهم باسمهم، لأن القدرة في الحالين واحدة"(2).

ويقول: "إن الذهنية العقيدية لدى المسلمين لا تحمل أي لون من ألوان الشرك بالمعنى العبادي" (3).

فما يعني أن يدّعي هذا البعض: "أن التقاليد المتّبعة لدى العوام من المسلمين في تعظيم الأنبياء والأولياء، وفي زيارة قبورهم، قد تتّخذ اتجاهاً خطيراً في خط الانحراف في التصور والممارسات".

2 . وقد يتذرع هذا البعض بأن هناك قلة جداً قد لا يصلون إلى الواحد بالألف حينما يصلون إلى مقام النبي أو الإمام فإنهم يسجدون على الأعتاب.. وهذا سجود لغير الله سبحانه، وهو اتجاه خطير في التصور والممارسات.

ونقول له:

أولاً: إن كلامه لم يشر إلى هذه الحالة النادرة بل جاء ليتحدث عن تلك الأمور المتعارفة والشائعة التي أصبحت تقاليد متّبعة لدى العوام من المسلمين، على حدّ تعبيره. والشيء الذي لا يحصل إلا نادراً، ومن قبل قلة من الناس، لا يقال له: تقاليد متّبعة.

ثانياً: إن هؤلاء الذين يسجدون على الأعتاب إنما يسجدون لله شكراً له على ما وفقهم إليه من زيارة قبر وليه، ولا يسجدون لا للنبي ولا للولي، فما هو المحذور في ذلك؟

(1) من وحي القرآن ج1 ص61.

(2) من وحي القرآن ج1 ص63.

(3) من وحي القرآن ج1 ص63.

ثالثاً: إن هذا البعض نفسه يقرّ بأن الملائكة قد سجدوا لآدم وهم العباد المكرمون. واللافت أن هذا الأمر جاء امتثالاً لأمر مباشر صادر من الله سبحانه ولم يكن بمبادرة منهم. واعتبر ذلك تحية وإكراماً له.. فلماذا لا يجد في هذا السجود أيضاً معنى التحية والإكرام. بل إن هذا البعض قد أقرّ بأن يعقوب وزوجته وأولاده قد سجدوا ليوسف، وقد رضي يوسف وهو نبي، وقد رضي بسجود إخوته وحتى بسجود أبويه له،

رغم أنه مأمور بإكرامهما وبإعزازهما والبرّ بهما. كما أن يعقوب نفسه وهو نبي مرسل قد سجد لولده باعتراف هذا البعض.
ويزيد الأمر حساسية أن هذا الأب لم يزل يعيش ويعاني من الآلام والأحزان حتى ابيضت عيناه من الحزن على نفس هذا الولد، الذي وجده بعد أن فقده.. وإذا به يجد أن هذا الولد النبي ليس فقط لا يعترض على سجود إخوته له، بل هو لا يعترض حتى على سجوده هو له أيضاً.
ومن الواضح أن الأنبياء لا يقومون بأي عمل خصوصاً إذا كان من هذا القبيل إلا إذا عرفوا رضا الله سبحانه وتعالى به.
علماً بأن العلماء يقولون: إن السجود عبادة بذاته.
نعم وقد أقر هذا البعض واعترف بأن السجود في قصة يعقوب ويوسف كان ليوسف مباشرة. وقد برّر ذلك بأنه من "التقليد المتّبع في احترام صاحب العرش الذي يملك السلطة..".
فهو يقول:

"ربما نلاحظ أن الصورة الشكلية، في ما تعارف عليه الناس من طقوس في مظاهر العبادة، لا تمثل . بمجرّدها . معنى العبادة، بل لا بد من أن ينضم إليها الإستغراق في الذات التي يوجّه إليها الفعل المعيّن، في ما يشبه حالة الذوبان الذي يفقد الإنسان معه الإحساس بإرادته أمامها، أو في الالتفات إلى وجوده معها. ولذلك لا بد من وجود حالةٍ نفسية في مستوى الانسحاق في إنطباق مفهوم العبادة عليه. وهذا ما نستوحيه في مسألة أمر الله للملائكة ولإبليس بالسجود لآدم (ع)، باعتبار ما يمثله ذلك من معنى الاحترام الناشىء من الإيحاء بعظمة خلقه . كما هو أحد الاحتمالات في ذلك . فإن من الطبيعي أن الله لم يأمر بذلك بمعنى العبادة لآدم (ع) حتى على مستوى المظهر؛ لأن الله لا يرضى بعبادة غيره وإن كان من أقرب خلقه إليه. ولذلك، لم يكن ردّ فعل إبليس على المسألة اعتراضاً على منافاة ذلك للإخلاص لله وللإيمان بوحدانيته، بل اعتراضاً على أن يكون عنصر التراب أفضل من عنصر النار، بحيث لا يتناسب ذلك مع سجود المخلوق من النار، التي هي أقوى من التراب، للمخلوق من التراب، لأن السجود يمثل التعبير عن التعظيم، باعتبار أنه صاحب القيمة الفضلى والمستوى الأرفع.
وهكذا، فإننا لم نجد من الملائكة إستغراباً للأمر، في ما يمكن أن يحمله، حسب هذا الفرض، من المنافاة للتوحيد في العبادة.

وهذا ما نستوحيه من سجود يعقوب(عليه السلام) وزوجته وأولاده ليوسف(عليه السلام)، وذلك قوله تعالى: { ورفع أبويه على العرش وخرُّوا له سُجداً } {يوسف:100} فإن الظاهر أن المراد منها هو سجود أبويه وإخوته له، لأنه قال . بعد ذلك .: { يأبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً } {يوسف:

100}؛ وكان، في ما قصّه على أبيه من رؤياه في بداية القصة، ما ذكره الله سبحانه: { إذ قال يوسف لأبيه يأبتِ إني رأيتُ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين } {يوسف: 4}، فهل يمكن أن يكون في سجود يعقوب (ع) وزوجته وأولاده لون من ألوان العبادة ليوسف عليه السلام الذي يعيش العبودية لله في أعلى مواقعها، كما عاشها أبوه عليه السلام في هذا المستوى؟

إن المسألة هي ـ في ما يبدو ـ مسألة التقليد المتّبع في احترام صاحب العرش، الذي يملك السلطة، في السجود له، تعبيراً عن الشعور بعظمته وعن التقدير لمقامه الرفيع.

وفي ضوء ذلك، لا بدّ من التدقيق في طبيعة الأشكال المتعارفة لدى الناس، التي تلتقي ـ بشكل أو بآخر ـ بالشكليات الطقوسية للعبادة، ودراسة خلفياتها الفكرية والروحية في شخصية من يمارسها، ومعرفة التقاليد الاجتماعية في مسألة الاحترام والتقدير، في ما تعتاده المجتمعات من طرق تعبير مختلفة، لنميّز بين ما يسيء إلى التوحيد في العبادة، عندما تكون الخلفيات مرتبطة بالإستغراق بالشخص أو الجهة، بحيث يفقد الإنسان الإحساس بوجوده معه، أو بحضور الله في علوّ موقعه في المعنى الإلهي التوحيدي فيه، وبين ما يسيء إلى التوحيد، لأنه ينطلق من حالة عُرفية تقليدية في ما هو الإحترام والحب والتعظيم، لكنها لا تغفل عن الإحساس بعظمة الله في مقام وحدانيته، في ما تمارسه من أعمالٍ وأقوال"(1).

والملفت للنظر هنا:

---

(1) من وحي القرآن ج1 ص58 و59.

أن عدداً من الروايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تصرّح بأن سجود يعقوب(ع) إنما كان إعظاماً وشكراً لله سبحانه(1)، وفي نص آخر: عبادة لله(2) وفي نص رابع: "إنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله وتحية ليوسف، كما كان السجود من الملائكة لآدم، ولم يكن لآدم، وإنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لآدم، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله لإجتماع شملهم"(3).

وبعدما تقدم نقول:

إن هذا البعض لم يلتفت إلى هذه الروايات، بل تجاهلها وحكم بأنهم إنما سجدوا ليوسف(ع) استجابة إلى تقاليد كانت شائعة عند الناس آنئذٍ.. رغم أن الروايات تؤكد أن السجود إنما هو لله سبحانه عبادة أو شكراً له، أو إعظاماً، أو طاعة لله، وتحية لآدم..

بل إن الرواية الأخيرة قد صرّحت بأن يوسف (عليه السلام) قد سجد معهم أيضاً..

فهل السجود على أعتاب مقامات الأنبياء والأئمة والأولياء إعظاماً أو شكراً، أو عبادة أو طاعة لله، أو حتى تحية للنبي أو الولي، بعد أن فعلته الملائكة والأنبياء قد يتّخذ اتجاهاً خطيراً في التصور

والممارسات؟!

3 . ما معنى قوله: "لا يكفي في استقامة العقيدة أن لا يكون هناك دليل مانع من عمل معين، أو من كلمات خاصة أو من طقوس متنوعةٍ، بل لا بد من الإنفتاح على العناصر القرآنية الفكرية العقيدية".

ألف: فمن الذي قال لهذا البعض: "إنه لا يكفي عدم وجود دليل مانع من عمل معين". وما هو دليله على هذه المقولة، فإنها محض ادعاء يحتاج إلى دليل يوجب اليقين، ولا يكفي مطلق الحجة، كما قرره هذا البعض.

---

(1) تفسير البرهان ج2 ص272 وراجع ص271.

(2) المصدر السابق 272.

(3) المصدر السابق ص271.

ب: إن الدليل على تلك الطقوس التي تزعج هذا البعض موجود، وهو مفيد لليقين.. فإن الدعاء والصلاة والإستشفاع، وقراءة القرآن، والبكاء إلى الله وطلب غفران الذنوب، وإقامة مجالس العزاء، والتبرّك بآثار الأنبياء والأولياء وزيارة قبورهم وتعظيمهم، كل ذلك قد دلّت الأدلة القطعية والمفيدة لليقين عليه.. بل وفوق اليقين.

وكذا السجود لله تعظيماً وشكراً، وعبادة له سبحانه في مقاماتهم..

بل وحتى لو كان السجود لهم تحيةً وتعظيماً وإكراماً فإن هذا البعض نفسه قد اعترف بأنه قد صدر عن الأنبياء والملائكة في السجود لآدم وليوسف (عليهما السلام).

فما بالك بما عدا السجود من طقوس ذكرناها أو ذكرنا القسم الأعظم والأهم منها مما يزعج هذا البعض ويثير حفيظته ويجهد للتشكيك بمشروعيته وتزيين عدم فعله للناس بمثل هذه الأساليب.

4 . ولا ندري ما المانع من أن "تختلط مظاهر الاحترام بين ما يقدّم للخالق، وما يقدّم للمخلوق". فإنه هو نفسه قد قرّر: أن نبي الله يعقوب(ع) قد سجد لنبي الله يوسف(ع). وكان يسجد أيضاً لله سبحانه.. فإذا جاز هذا الاختلاط في السجود الذي هو أجلى مظاهر التعبد، فإن الأمر يصبح لغيره من مظاهر الاحترام أيسر وأسهل. ما دام لا ترقى في عباديتها لمستوى السجود. ولا ندري أيضاً، ما المانع أن يدعو به إلى الله بما يدعو به إلى غيره. فهل إذا قال: (يا رب أعطني ويا رب اغفر لي ذنبي واقبل توبتي وإلخ..) وقال لإنسان ما: أيها الإنسان الغني أعطني وإذا ارتكب جـ ماً في حق أحد من الناس، فإنه يقول لذلك المجني عليه أو للقاضي اغفر ذنبي واقبل توبتي.

وهل يضرّ تشابه القولين بالصفاء العقيدي في العمق الشعوري للمسلم.

ويتأكد هذا الأمر حين يتأكد أن المسلمين يلتزمون خط التوحيد وأن ذهنيتهم لا تحمل أي لون من ألوان الشرك.

5 . وأما بالنسبة لتقليد الشعوب بعضها بعضاً، فإن الله سبحانه حين رضي من نبيه يعقوب(ع) أن يمارس السجود ليوسف(ع) كان يعرف أن الشعوب قد يقلّد بعضها بعضاً في الكثير من الطقوس والعادات.

6 . إن تقليد الشعوب لبعضها البعض.. واحتمال أن يؤدي ذلك إلى التأثر ببعض التقاليد غير الإسلامية يوجب تحريم الحلال، وإلا لزم أن يحكم هذا البعض حتى بتحريم ممارسة الصلاة إذا كان البعض قد يسيء فهمها، ويفسرها تفسيراً خاطئاً يجعله بعيداً عن خط الإيمان، ويثير فيه حالة العناد والعداء للدين وأهله.

7 . وأما التوازن الذي يدعي البعض: "أنه لا بد للمسلم من مراعاته من أجل الإحتفاظ بالأصالة الفكرية التوحيدية.." فإن الله سبحانه حين أمر الملائكة بالسجود لآدم ورضي بسجود يعقوب ليوسف عليهما السلام، كان يعرف هذا التوازن، ورأى أن السجود ليوسف(ع)، وأن التبرك بآثار الأنبياء والأولياء، والإستشفاع بهم وزيارة قبورهم ووضع الخد على القبر، وإقامة مجالس العزاء وطلب الحاجات من الله سبحانه بحق صاحب القبر، بل وطلبها من النبي والولي نفسه ليكونوا وسيلته إلى الله . مع علمه بأنهم أحياء يرزقون يرون مقامه، ويسمعون كلامه ويردّون سلامه وغير ذلك . إن ذلك كله يسير في خط التوازن، وهو الذي يرسّخ الأصالة التوحيدية ويحفظها ويرعاها.

781 . أدلة الرجعة لم يأت بها القرآن.

782 . أدلة الرجعة ليست قطعية.

783 . أدلة الرجعة هي الأحاديث المتواترة.

784 . أدلة المعاد قطعية لأنها من القرآن.

سئل البعض:

السؤال: هل تؤمنون بما يقوله الشهيد مطهري من أن أدلة الرجعة ليست كأدلة المعاد قطعية؟

فأجاب:

"صحيح ذلك، لأن أدلة المعاد جاء بها القرآن، وهي مما تسالم عليه المسلمون. أما الرجعة فقد دلت عليها الأحاديث وهي متواترة، وإن اختلفت(1)".

وقفة قصيرة:

ونقول:

(1) الندوة ج 6 ص .453

1 . إذا كانت أدلة المعاد قرآنية، فأدلة الرجعة أيضاً كذلك، فإن هناك آيات كثيرة تدل على الرجعة.. وتتحدث عنها.

وقد ذكرها العلماء في كتبهم التي تتحدث عن هذا الموضوع، حتى إن الحر العاملي . رحمه الله . قد أورد في كتابه: (الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة) أربعاً وستين آية قرآنية تدل على هذه القضية، وأن الأئمة المعصومين قد فسروها بها..

ومن هذه الآيات قوله تعالى { يوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآيات الله } .. وهي ظاهرة الدلالة على هذا الأمر، وقد فسرتها الرواية عن الأئمة (ع) بذلك أيضاً.

وأما تفسير هذا البعض لهذه الآية بقوله: "وذلك هو يوم القيامة الذي يحشر الله فيه الناس كلهم المؤمنين منهم والمكذبين بآيات الله"(1).

فلا مجال لقبوله، لأن كلامه هذا يناقض تصريح الآية بأن الحشر هو لفوج ممن يكذب، وليس لكل من يكذب ولا يكون ذلك إلا في الرجعة قبل يوم القيامة..

2 . إن أحاديث الرجعة تعد بالمئات، وقد ذكر العالم الجليل السيد عبدالله شبر: أنها قريب من ماءتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام، والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم، كالكليني، والصدوق، والطوسي، والمرتضى، والكشي، والنجاشي، والعياشي، والقمي، وسليم، والمفيد, والكراجكي والنعماني... الى أن قال:

(وإذا لم يكن هذا متواتراً، ففي أي شيء دعوى التواتر، مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف، وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين، ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين.

فيحتال في تخريب الملة القويمة، بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين، من استبعادات المتفلسفين، وتشكيكات الملحدين، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون..)(2).

3 . وقول هذا البعض: صحيح ذلك لأن أدلة المعاد جاء بها القرآن، وهي مما تسالم عليه المسلمون.

(1) من وحي القرآن: ج 17 ص 281.

(2) حق اليقين: ص 2 و 3.

يظهر منه: أن ادلة الرجعة ليست قطعية.. مع أن آيات القرآن قد دلت عليها..

كما أن الحديث المتواتر قد دلّ عليها أيضاً، فهل يكون ما دل عليه الحديث المتواتر ليس قطعياً؟.

إنه لأمر عجيب وغريب، فإن المتواتر يفيد القطع، واليقين بلا ريب، وهذا هو الفرق بين المتواتر، وبين غيره..

4 . ان البديهيات تختلف وتتفاوت، فالبديهيات الدينية، قد تكون عقلية كوجود الله وتوحيده وصفاته.. وقد تكون سمعية وهي التي جاء النص الصريح والقطعي فيها بحيث أن أي مراجع لذلك الدليل بعيدا عن الهوى والعصبية سيكون مضطراً للإنقياد للحق، والإنصياع له، كما أن البديهي قد يكون بديهياً عند فئة من الناس ولا يكون بديهياً عند فئة أخرى، فهناك بديهيات لدى الفقهاء، وبديهيات لدى علماء الكلام. وبديهيات لدى أهل الحديث وعلوم القرآن.. وهكذا، وهناك بديهيات في كل علم كعلم الفلسفة والنحو والطب وما إلى ذلك. فإذا لم تكن مسألة الرجعة من البديهيات العقلية، فلا يدل ذلك على أنها ليست من بديهيات الدين.

فإذا اختلف علماء الكلام مع علماء الفقه في أمر فقهي، فلا يعني ذلك أن الأمر ليس من البديهيات. وكذلك لو اختلف الناس العاديون أو الفقهاء مع علماء الحديث أو الكلام في أمر يختص بالحديث أو بالإعتقادات، فإن ذلك لا يخرج البديهي عن بداهته.

إذن.. ليس كل ما اختلف فيه المسلمون يكون ظنياً، فإن الإختلاف في البديهي لأجل الشبهة لا يجعل البديهي نظرياً.. وذلك ظاهر وما عليه إلا أن يرجع الى كتاب المنطق للشيخ محمد رضا المظفر ج1، ص 22و 23، ليعرف صحة هذا الأمر..

785 . آيات الخلود في النار تدل على الإستحقاق لا الفعلية.

786 . الإسلام قد يكون سبباً في العفو، فلا يخلد المسلم في النار.

وحول تفسير قوله تعالى:

{ ومن يعص الله ورسوله، ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها، وله عذاب مهين } .(1)

يقول البعض :

---

(1) سورة النساء: الآية 14.

"ربما توحي هذه الآية . كغيرها من الآيات التي تتحدث عن عذاب المتعدي لحدود الله في أجواء المعصية . بخلود العاصي في النار، وان المسلم يمكن أن يخلد في النار بفعل معصيته.

وهذا ما استدل به القائلون بأن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة مخلد في النار، ومعاقب فيها لا محالة . كما جاء في مجمع البيان"..

وبعد أن ذكر بعض المناقشات في ذلك قال:

"ولكن من الممكن أن تكون هذه الآية، وأمثالها واردة على سبيل تحديد الإستحقاق للعذاب الخالد، لا

على بيان الفعلية، فلا تنافي في ما دل على عدم خلود المسلم في النار، لأن إسلامه قد يكون سبباً في العفو الإلهي عنه.."(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . لقد قال الله سبحانه في كتابه الكريم { ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها } ، وهذا الحكم لا يختص بالكافر القاتل بل يشمل المسلم إذا قتل مؤمنا أيضاً.

2 . إن الذي قتل علياً أمير المؤمنين(عليه السلام)، والذين قتلوا الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأطفاله، وأصحابه، كانوا يتظاهرون بالإسلام، فهل يحكم هذا البعض لهم وليزيد بعدم فعلية خلودهم في النار وأن إسلامهم قد يكون سبباً في العفو الإلهي عنهم؟!!.

786 . لا حقيقة للألفاظ بذاتها يمكن أن يترتب عليها أثر.

787 . إذابة اسم الله في الماء لا يحدث الشفاء.

788 . إذا ذاب الإسم في الماء لا تعود له حقيقته.

789 . الذي يذوب في الماء هو الحبر وليس هو الإسم.

790 . نسبة أي فاعلية للإسم ستعود للحبر والى ما ليس له حقيقة ووجود وهذا محال..

يقول البعض:

"(يا من اسمه دواء وذكره شفاء).

علي (ع) في هذه الكلمات يقدم لنا حقيقتين مهمتين، الأولى: ان اسم الله دواء، والثانية: أن ذكر الله شفاء.

---

(1) من وحي القرآن: ج7، ص131، 132.

وليس المراد بالإسم هنا لفظ كلمة الله سبحانه وتعالى، فإن الألفاظ لا قيمة لها بنفسها، ولا حقيقة لها بذاتها يمكن أن يترتب عليها أثر، وإنما حقيقة اللفظ وقيمته، بما يحكي عنه ويدل عليه.

فالأسماء إنما توضع لتشير الى المسمى، وهي إن استحقت قيمة ما، فإن ذلك لا يعود اليها نفسها، وإنما تعود إلى المسمى الذي تدل، او تشير أو تكشف، وتحكي عنه.

من هنا يتبين لنا ان الإسم . كإسم . لا حقيقة ذاتية له يمكن أن تترتب عليها الآثار. إذاً، كيف يمكن أن نفسر قول علي بأن اسم الله تعالى تترتب عليه آثار كآثار الدواء أي كما أن الدواء له حقيقة ذاتية تتمثل في إشفاء الناس من بعض الأمراض التي هي، في الأصل، موضوع لها، فهل اسم الله كإسم من قبيل هذا الدواء، أم أن الأمر مختلف؟ بالتأكيد، إن الأمر مختلف فإذا كان تناول جرعة من الدواء مع الماء

يمكن أن يحدث الشفاء من المرض فإن إذابة إسم الله في كوب من الماء لا يمكن أن يحدث الشفاء، لأن الإسم متى ذاب لا تعود له حقيقة حتى حقيقة اللفظ المكتوب، كما ان الذي يذوب هو الحبر، وليس الإسم، وبالتالي اذا نسبنا أي فاعلية للإسم في هذه الحالة، إنما ستعود حقيقة وواقعاً إلى الحبر، والى ما ليس له حقيقة ووجود وهذا محال"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . إن مما لا ريب فيه: أن المعوذتين تـ لتا على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان (صلى الله عليه وآله) يعوذ بهما الحسن والحسين (عليهما السلام)، فللكلام الملفوظ تأثيره.. رغم أنه مجرد أصوات تصدر عن اللافظ، كما أن الصلاة هي مجرد ألفاظ وأصوات فلماذا لابد من الإلتزام بهذه الألفاظ لكي تتحقق المعراجية للمؤمن، ولكي يسقط واجب الصلاة عن المكلف؟!.

---

(1) في رحاب دعاء كميل: ص.270

2 . إن من الواضح أيضاً: أن رسم القرآن في المصحف هو عبارة عن حبر وضع على الورق على طريقة معينة، فلماذا يحرم تنجيسه، ويحرم وضعه في مواضع المهانة، ويحرم الوطأ عليه بالأقدام ؟ ما دام أنه ليس ثمة إلا ورق وحبر؟!..

3 . ولا يشك أحد ممن له أدنى إطلاع على الأحاديث، والآثار إذا لاحظ كثرتها الكاثرة وتنوعها فسيحصل له اليقين: بأن منها ما هو صادر قطعاً عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) مما يتضمن أوامر بقراءة أو كتابة آيات، أو أدعية، أو عوذات بعينها.. ليحصل الشفاء للحالة الفلانية، أو ليتحقق الأمر الفلاني.. وتكذيب ذلك بأجمعه مجازفة كبرى لا يمكن الإقدام عليها من قبل أي مسلم مهما كانت ثقافته، أو موقعه.

4 . إن هذا البعض نفسه قد قرر في بعض الموارد: أنه ".. قد يحصل الشفاء لبعض المرضى نتيجة التوسل لله، بنبي, أو ولي أو بسبب دعاء أو عمل عبادي في جو نفسي معين قد لا ينسجم مع التفسير النفسي العلمي"(1).

فلماذا يناقض نفسه، ويقرر خلاف ذلك هنا؟!.

5 . قوله: "إن نسبة أي فاعلية للإسم ستعود حقيقة وواقعاً الى الحبر.." لا يمكن قبوله.. فإن الفاعلية إنما هي لما يرمز إليه الإسم الذي جسد الحبر له رمزاً كما يجسد اللفظ له رمزاً أيضاً، أي أن الذي يشفي هو المسمى الذي تجسد حضوره بالرموز والأشكال الدالة عليه بواسطة الحبر..

ولا يدعي أحداً أبداً أن الحبر بذاته ولذاته هو المؤثر في الشفاء أو في غيره..

791 . لا فضل للملائكة في فعل الخير.

792 . الملائكة يمارسون الخير تكويناً.

793 . النوع الإنساني هو المستخلف.

يقول البعض:

"وبهذا انطلقت مسؤولية الإنسان للقيام بدوره بالإنسجام بين طبيعة الحياة وبين إرادة الله، وتسخير القوى التي بين يديه في سبيل الخير لا في سبيل الشر.

---

(1) من وحي القرآن الطبعة الأولى ج 1، ص 23.

وهذا ما يرفعه الى المستوى الكبير لدى الله، فيكون أفضل من الملائكة الذين يمارسون الخير بشكل تكويني، فلا فضل لهم في ذلك(1).

ثم يذكر ان الذي جعله الله خليفة في الأرض هو:

"النوع الإنساني، لأن آدم الشخص، محدود بفترة زمنية معينة، ينتهي عمره بانتهائها، فكيف يمكنه القيام بهذا الدور الكبير الذي يشمل الأرض كلها ويتّسع لكل هذه المرحلة الممتدة. هذا أولاً.

وثانياً: إن الملائكة قد وصفوا هذا الخليفة بأنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء. وهذا الوصف لا ينطبق على آدم بل ينطبق على بعض الجماعات التى يتمثل فيها النوع الإنساني في مدى الحياة"(2).

وقفة قصيرة:

ونلاحظ هنا:

1 . إن كلامه يعني: أن الأنبياء والأوصياء لا فضل لهم فيما يمارسونه من فعل الخير.. لأن هذا البعض يقول: أن العصمة إجبارية.. اما مطلقاً، وإما في خصوص ترك المعاصي، حيث اختلفت أقاويله في هذا المجال..

ومن المعلوم: أنه حين تكون العصمة إجبارية، فإنهم يؤدون الواجبات، ويمتنعون عن المعاصي، بشكل تكويني، لأنهم لا يقدرون على ترك تلك، ولا على فعل هذه، لأن ترك الواجب معصية لا يقدر عليها المعصوم، فلا فضل للمعصوم إذن لا في هذا ولا في ذاك، وفقاً لمقولات هذا البعض.

2 . إن الملائكة، وإن كانوا لا يعيشون الشهوات، كما يعيشها الإنسان، ولكنهم لا يمارسون الخيربشكل تكويني، كما يقول هذا البعض بل هم خلق مختارون يمارسون الخير بملء إرادتهم.

وقد يختارون الإستزادة فيه، فترتفع بذلك مقاماتهم، ويزيد فضلهم، ولأجل ذلك كان بعضهم أفضل من بعض وأكرم، ولجبريل فضله العظيم فيهم، والمراجع للروايات الكثيرة جدا يجد صحة ما ذكرناه.

3 . من أين علم هذا البعض أن الملائكة يمارسون الخير بشكل تكويني، فلا فضل لهم فيه.. إن ذلك يحتاج الى القطع واليقين، لأنه يرتبط بحقائق المخلوقات.. وهذا البعض يشترط القطع واليقين في كل ما عدا الأحكام الشرعية..

---

(1) من وحي القرآن ج 1 ص 23.
(2) المصدر السابق

ويزيد الأمر إلحاحاً في مثل هذا المورد، الذي لا يحصل إلا بالإخبار عن الله سبحانه عن طريق النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام).
4 . أما بالنسبة لاستخلاف النوع الإنساني أو آدم. فإنه قد استظهر أنه النوع الإنساني.. رغم وجود روايات عن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) تصرح بأن المقصود هو خصوص آدم (عليه السلام)..
5 . إن ما استدل به على أن المقصود هو النوع الإنساني لا يصلح لإثبات ذلك..
فأولاً: إن وصف الملائكة للخليفة بأنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء، إنما هو استنتاج منهم . فقد روى هذا البعض نفسه رواية عن العياشي تقول: (إنهم قاسوه على من سبقه من الذين استخلفهم الله في الأرض، فأفسدوا فيها) ولم يكونوا على معرفة بنبوة آدم (عليه السلام)، لينزهوه عن الإفساد وسفك الدماء.. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (ما علم الملائكة بقولهم: { أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء } لو لا أنهم كانوا رأوا من يفسد فيها ويسفك الدماء)(1) .
ثانياً: أضف إلى ذلك: أن الله سبحانه لم يخبرهم بعدد من يستخلفه، فلم يقل لهم: هل هو واحد أو شخصي أو نوعي، أو جماعة أو غير ذلك.. وذلك يدل على أن الملائكة قد فهموا ما فهموه من عند إنفسهم بحسب ما استخلصوه من أمور عرفوها سابقاً واستنبطوا منها أو قاسوا عليها.. وقد أظهر الله لهم أن ما فكروا فيه لم يكن صواباً..
ثالثاً: إن ما ما ذكره من أن آدم شخص محدود لا يمكنه القيام بهذا الدور الكبير إنما يدخل في دائرة الإستحسانات التي لا محل لها.. فإن الخليفة الحقيقي لله هو آدم (عليه السلام)، وليس هو العصاة والكفرة والجبارون.. فإن هؤلاء يفسدون في الأرض ولا يمثلون خلافة الله..

---

(1) من وحي القرآن ج 1 ص 229

إذ ليس المقصود بالخلافة هو التجارة والصناعة والزراعة وبناء القصور والدور.. وإنما معنى أسمى من ذلك وهو تجسيد إرادة الله سبحانه على الأرض، وإعمارها بالإيمان والتقوى والعمل الصالح. كما عمرها

رسوالله (صلى الله عليه وآله)، وعمرها سائر الأنبياء الله وأوصياء رسله..
رابعاً: لو كان المراد إعمار الأرض كلها كما ذكر هذا البعض، فالسؤال هو: متى تحقق هذا الإعمار للأرض كلها ياترى؟ بالطريقة التي قررها هذا البعض؟(1).
794 . قد يكون آباء النبي (ص) كفاراً.
795 . المهم أن لا يكونوا أبناء زنا.
796 . العقل لا يقبح كفرهم بشرط أن يكون النكاح شرعياً لا زنا.
سئل البعض:
السؤال: يدور كلام كثير حول ضرورة أن يتولد النبي عموماً، أو نبينا محمد (ص) خصوصاً من آباء مؤمنين موحدين، فما رأيكم بهذه المسألة ؟
فأجاب:
"هناك كلام للشيخ المفيد بإجماع الشيعة، على أن آباء النبي الى آدم (ع) كانوا موحدين على الإيمان بالله.. ويستند الشيخ المفيد في كتابه تصحيح الإعتقاد في الإحتجاج لذلك الى قوله تعالى { .. الذي يراك حين تقوم، وتقلبك في الساجدين } { الشعراء: 218 . 219} قال: يريد به تنقله في أصلاب الموحدين.
ولكننا نلاحظ: أن الآية لا تدل على نفي تقلبه في غير الساجدين من آبائه لأنه يكفي في صدق ذلك أن يكون بعضهم من الساجدين.
مع ملاحظة أخرى، وهي أن ظاهر الآية هو الحديث عن قيام النبي (ص) لعبادة الله، وتقلبه في الساجدين من عباد الله، بإعتبار استغراقه في السجود لله سبحانه.

---

(1) المصدر السابق.

وإذا كانت بعض الأحاديث تدل على إرادة خلاف الظاهر، مما ذكره الشيخ المفيد، فإنها تتحدث عن تقلبه في أصلاب النبيين، كما جاء في رواية محمد بن الفرات عن الإمام الباقر (ع)، وفي رواية أبي الجارود، عن الباقر (ع) قال: (سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله . عزوجل .: { وتقلبك في الساجدين } قال: يرى تقلبه في أصلاب النبيين، من نبي الى نبي، حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم).
ومن المعلوم أنه ليس المقصود بذلك . على تقدير صحة الحديث . ان أجداد النبي بأجمعهم أنبياء، فيكون المقصود به أنه تقلب في أصلاب الأنبياء، من دون أن يكون نافياً لتقلبه في غيرهم.."
الى أن قال:

"أما الإجماع فقد يكون مدركه كلام المفيد، فلا يكون تعبدياً. ولا قبح من ناحية العقل في كونهم كفاراً، إذا كان النكاح شرعياً، لا زنا"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . إننا لا نريد أن نتصدّى في هذه العجالة لبحث هذا الموضوع فنأتي بالروايات التي رويت في كتب الفريقين، مما يدل على إيمان آباء رسول الله (صلى الله عليه وآله).. فإن هذا الكتاب ليس كتاب بحث واستدلال، وإنما هو مخصص لبيان أقاويل جاء بها البعض.. لا مجال لقبولها في نفسها، أو في سياقها الذي وضعت فيه.

ويكفي أن نشير هنا الى أنه حتى أهل السنة، فإنهم قد ألفوا كتباً في هذا الموضوع، وذكروا فيها الروايات التي تفيد في بيان هذا الأمر..

ومنها:

الف: مسالك الحنفا في والدي المصطفى.

ب: الدرج المنيفة في الآباء الشريفة.

ج : المقامة السندسية في النسبة المصطفوية.

د: التعظيم في أن أبوي رسول الله (ص) في الجنة

هـ: السبل الجلية في الآباء العلية.

وكلها مطبوعة بعنوان الرسائل التسع . للسيوطي في الهند . حيدر آباد الدكن سنة 1380هـ.

---

(1) المسائل الفقهية: ج2 ,ص 449 و .450

2 . إنه إذا كان هذا البعض يلتزم بأن النفي يحتاج الى دليل، كما الإثبات يحتاج الى دليل.. فأين هو دليله على النفي، فإن غاية ما جاء به هو أنه علق على بعض أدلة المثبتين.. ولم يأت بدليل يثبت مقولته هذه..

3 . إن الدليل المطلوب من هذا البعض . على الخصوص . لابد أن يكون مفيداً لليقين، ولا يكفيه الإستدلال بالظواهر الظنية، وبالأدلة المعتبرة في خصوص الأحكام.. لأنه هو نفسه يقرر(1) لزوم هذا النوع من الأدلة فيما يرتبط بالتاريخ، وبالأشخاص، وبالتفسير، وفي مختلف شؤون الحياة، وسائر المعارف.. ويرفض الاستدلال عليها بالأدلة المعتبرة في الأحكام الشرعية الفقهية ويقول: هي حجة فيها دون سواها.

4 . إن هذا البعض قد ناقش الاستدلال بالآية، على أساس أنه يكفي في صدق تقلبه أن يكون بعض

آبائه من الساجدين.
ولكن من الواضح: انها مناقشة لا تصح.
فأولاً: اذا فرض أن هذه الآية واردة مورد الإمتنان على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فحملها على العموم والشمول يكون هو الأظهر، والأنسب بمقام الإمتنان الإلهي.. وبيان الرعاية الإلهية له (صلى الله عليه وآله)..
ثانياً: إن الجمع المحلى بالألف واللام يفيد العموم بإجماع العلماء كما هو مقرر في علم الأصول(2).
5 . إن دعواه أن ظاهر الآية هو تقلب النبي (صلى الله عليه وآله) بين عباد الله الساجدين بإعتبار استغراقه في السجود لله سبحانه.. لا مجال لقبولها.. فإن غاية ما هناك أن يكون ذلك محتملاً في معنى الآية بصورة بدوية.. فإذا جاء التفسير عن المعصوم ليعيّن أحد الإحتمالين.. فإنه يتعين، وينتفي الإحتمال الآخر.. لأن الأئمة أعرف بمقاصد القرآن من كل أحد.. فلا تكون الرواية المروية عنهم مخالفة لظاهر القرآن لمجرد أنها عينت هذا الإحتمال وأكدت أنه هو المقصود دون ذاك.

---

(1) راجع خلفيات كتاب مأساة الزهراء: ج2، ص233.
(2) راجع: مفاتيح الأصول.

فلا يصح قوله: "إذا كانت بعض الأحاديث تدل على إرادة خلاف الظاهر.. الخ"
6 . بقي أن نشير الى قوله: "ليس المقصود أن أجداد النبي (ص) بأجمعهم أنبياء.. بل يكفي في صدق الآية أن يتقلب في أصلاب بعضهم، دون أن تنفي تقلبه في أصلاب غيرهم.."
فقد ظهر: أن إرادة هذا المعنى لا تنسجم مع مقام الإمتنان، كما أن نفس الرواية ظاهرة في العموم والشمول لجميع أجداده (صلى الله عليه وآله)، حيث تقول: يرى تقلبه في أصلاب النبيين، من نبي الى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه.
فإن التعبير بحتى التي جاءت لبيان الغاية، قد أظهر.. أن تقلبه في الأنبياء قد استمر من نبي الى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه.. ولا يتناسب هذا التعبير مع إرادة الموجبة الجزئية..
7 . إن من الواضح: أن النبوة لها حالاتها، فهناك نبي مرسل الى الأمة وهناك من أرسل الى قوم، والى عشيرة، والى حيّ، وقد يكون نبياً يكلمه الملك، ويخبره عن الله، وليس مرسلاً لأحد.. بل يعيش هو حالة الصلاح في نفسه، ويكون الكمال المتجسد الذي يرى فيه الناس . دون أن يكون مأموراً بشيء تجاههم . الإنسان الإلهي المتوازن، والمرضي في كل حالاته.. فيهيؤهم ذلك لأجواء الإيمان، ويثير في فطرتهم كوامن الخير والصلاح، والإيمان والتقوى..
وعلى هذا الأساس، فلا ضير في أن يكون جميع آباء النبي الذين خرج من اصلابهم أنبياء الى آدم،

وإن لم تكن لهم دعوة، ولا رسالة تختص بهم، فيكون عبدالله والد النبي (صلى الله عليه وآله)، وعبدالمطلب وكذلك آباؤه جميعاً لهم هذه الصفة، وإن إختلفت مقاماتهم، ومهماتهم.. حسبما ذكرنا.

8 . ويؤيد ذلك أيضاً: ما ورد من أن الأرض لا تخلو من حجة، إما ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ومَن أولى من آباء رسول الله (صلى الله عليه وآله).

9 . ويبقى إجماع شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، الذي لم يقبل هذا البعض بأن يكون تعبدياً، لأن من المحتمل أن يكون مستندهم فيه هو أدلة الشيخ المفيد..

ونقول: إن حديثه عن تعبدية الإجماع هنا غريب وعجيب، فإن هذا الإجماع ليس على حكم شرعي، ليوصف بالتعبدية تارة وتنفي عنه أخرى.. بل هو إجماع يكشف لنا عن أن هذا الأمر الذي لا يُعرف إلا من أهله ولا طريق الى معرفته بالعقل، قد قرره أهله وهم الأئمة الطاهرون المعصومون، وتحدثوا عنه وذكروه للناس وصرحوا به، وقالوا: أن آباء النبي كلهم مؤمنون من آدم (عليه السلام) الى عبدالله أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأن العلماء لا يقولون ذلك من عند أنفسهم، فهو علم من ذي علم.

وواضح أن من يريد التعرف على أي مذهب، فإنه يرجع الى الأتباع الذين هم أعرف بقول إمامهم.

أضف الى ما تقدم: أنه لو كان الإجماع تعبّدياً للزم أن يكون الإجماع على الإمامة تعبّدياً أيضاً، فهل يحكم هذا البعض برده لكونه مستنداً الى الأدلة.. فهل هذا صحيح أيضاً..

10 . وقال هذا البعض في آخر كلامه: "لا قبح من ناحية العقل في كونهم كفاراً، إذا كان النكاح شرعياً لا زنا".

وظاهر كلامه هذا: أن القبح موجود فيما إذا لم يكن النكاح شرعياً..

فهل يريد أن يقول: إن شرك الآباء لا قبح فيه من ناحية العقل، أما الزنا ففيه قبح من هذه الناحية العقلية؟!

والسؤال هو: ما هو الفرق بين الأمرين؟ من الناحية العقلية البحتة؟! ولماذا قبح هذا ولم يقبح ذاك؟!

797 . التقلب في أصلاب الآباء الأنبياء لا يدل على أن أولئك الأنبياء كانوا مؤمنين!!

يقول البعض:

"استدل الشيعة الإمامية على أن هذه الآية من سورة الشعراء:

{ وتقلبك في الساجدين } تدل على أن جميع آباء النبي موحدون وأن معناها تقلبك في الساجدين الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً. وقد روي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالا: "يرى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم(ع).

ولكن ذكرنا في تفسيرنا (من وحي القرآن)، أن المراد من الآية بحسب الظاهر من السياق، وقد ذكره جمع من المفسرين: يراك في تقلبك في الساجدين المصلين الذين يصلون معك، أو يراك في تحركك في أجواء السجود مع الفريق الذي يسجد لله خشوعاً، في ما يمثله مجتمع الساجدين العابدين الذي تتقدمه أنت في الموقع الطليعي فيه، والله العالم. أما الرواية، فلا دلالة فيها إلا على طهارة الآباء من الولادة بالزنا"(1).

وقفة قصيرة:

ونذكر هنا:

1 . إن ما قدمناه في الفقرة السابقة يكفي لبيان عدم صحة ما ذكره هذا البعض هنا.. ولسنا بحاجة إلى التذكير بأنه إذا كان أهل البيت قد فسروا الآية الشريفة بأن المقصود بها: أن الله سبحانه يرى تقلب نبيه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه. فلا بد من قبول ذلك منهم؛ فإن أهل البيت أعرف من كل أحد بمعاني القرآن، وبأهدافه ومراميه..

وكما قال الإمام الصادق(ع): (فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا)(2)..

ولن نصغين ولن نقبل من أحد أن يقول لنا: قال الإمام الصادق عليه السلام. وأقول، فما ذكره هذا البعض في تفسيره لا بد أن يردّ عليه، وأن يؤخذ فقط بكلام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.

2 . والأعجب من ذلك قول هذا البعض هنا: "وأما الرواية فلا دلالة فيها إلا على طهارة الآباء من الولادة بالزنا".

مع أن الرواية صريحة في أن الرسول لم يزل يتقلب في أصلاب النبيين: من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه.

---

(1) بينات عدد 157 بتاريخ 11 شعبان1420هـ 19 تشرين الثاني 1999م.

(2) الكافي ج1 ص 51.

مما يعني: أن جميع آبائه صلى الله عليه وآله قد كانوا مؤمنين أتقياء أبراراً. بل كانوا من الأنبياء، حتى والده عبد الله.. ولا مانع من أن يكونوا كذلك، فقد كان ثمة أنبياء تقتصر نبوتهم على أنفسهم، وعلى المحيط المحدود الذي يعيشون فيه، وقد تمتد نبوتهم إلى العشيرة أو الحي أو البلد الصغير أو الكبير.. من أجل أن يحفظوا الحق والخير في الناس بالمقدار الممكن لهم، بحسب ما يوجههم الله سبحانه إليه، ويأمرهم به.

798 . كلمة (المؤمن) في القرآن لا يقصد بها الإثنا عشري.

وسئل البعض:

ما رأيكم فيما يقال من أن كلمة "المؤمن" في القرآن الكريم يراد بها المؤمن الإثنا عشري ؟

فأجاب:

هذا غير صحيح، لأنها وضعت في مقابل الكافر في أكثر من موضع، كما وضعت في مقابل الإسلام في سورة (الحجرات) وفي مقابل الكفر، وقد صرح بذلك السيد الخوئي (قده) في تقريرات بحثه"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

الملاحظ: أن هذا البعض يريد أن يقول: إن كلمة "المؤمن" في القرآن الكريم تشمل الشيعي وغيره. ولعله ليرتب على ذلك أحكاماً كثيرة، مثل جواز الصلاة خلف غير الشيعي الإمامي، وجواز إشهاده على الطلاق، وعدم جواز غيبته.. وما الى ذلك.

مع ان الأمر هو على عكس ما يقوله تماماً، فإن الذي كان في زمن الرسول هو الإسلام الصافي الصحيح، الذي هو حقيقة التشيع، فلم يكن يتصور سوى الإيمان، والكفر، والنفاق، والفسق.

---

(1) فكر وثقافة: بتاريخ 1998/1/2 م . والمسائل الفقهية: ج1، ص 312.

ولا يوجد سني وشيعي بالمعنى المصطلح للتسنن في هذه الأيام، بل كان المسلمون يأخذون عين الإسلام في عقيدته وشريعته، وسائر تعاليمه من المنبع الأصيل والصافي.. ولم يكن ثمة مذهب للأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك، وأبي حنيفة، وإبن حنبل، والشافعي، والظاهري.. وما الى ذلك، بل كان هناك مذهب أهل البيت (ع) الذي هو حقيقة الإسلام، ويقابله الكفر أوالنفاق، ولم يكن هناك شيء آخر، فالقضية معكوسة ولعل هذا هو مقصود السيد الخوئي (رحمه الله).

وإذا كان كذلك فلا يمكن إلا أن يكون المقصود هو المؤمن الصحيح الإيمان المعتقد بحقيقة الإسلام الذي جاء به الرسول.. كما أن الرسول قد أبلغ أصحابه بالأئمة الاثني عشر، فلابد أن يقبلوا منه ذلك، ويعتقدوه.

ويقابله الكافر، والمنافق.. وكلاهما لا يصح أن يكون مقصوداً، لأن المنافق كافر في واقع الأمر..

799 . الإسلام لم يعتبر مناسبة الميلاد قيمة في الخط التربوي ولا في الواقع الإجتماعي.

800 . هذه التقاليد ليست تقاليدنا.

801 . تاريخ الإنسان يبدأ من دوره لا من ولادته.

802 . الإسلام بشكل عام لا يهتم بمناسبة المولد.

سئل البعض:

ذكرتم أنه ليس هناك في في الإسلام احتفال منصوص عليه بمولد أحد حتى برسول الله (ص)، والسؤال: هل هناك حرمة أو كراهية للإحتفال في مواليد أولادنا ؟

فأجاب:

"قلنا إن الإسلام لم يعتبر مناسبة الميلاد قيمة يمكن أن يحتفل بها، لكن هذه التقاليد ليست تقاليدنا(1).

وبعد أن ذكر البعض: أنه قد تحدث عن ميلاد موسى، وعن ميلاد عيسى لبيان بعض الأمور، ككونها مظهراً لقدرة الله تعالى، وغير ذلك.

قال: "وإلا فإن الإسلام بشكل عام لا يهتم بمناسبات المولد"

وقال: "إن الإحتفال بالمولد النبوي كتقليد جاءنا من الغرب كمرور مئة سنة على ولادة فلان، أما في الإسلام فليس لدينا مثل هذا التقليد.

---

(1) فكر وثقافة: عدد 6، بتاريخ 1996/7/27 م.

ومن خلال ذلك فإن أعياد الميلاد لا تمثل قيمة في خط الإسلام التربوي وفي واقع الإسلام الإجتماعي.."

الى أن قال: " فتاريخ الإنسان يبدأ من دوره لا من ولادته"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . قوله : "إن الإحتفال بالمولد النبوي . كتقليد . جاء من الغرب"، غير صحيح، إذ أنهم يقولون: إن أول من إحتفل بالمولد النبوي هو الأمير أبو سعيد مظفر الدين الأربلي، المتوفي في سنة 630 هـ.ق(2).

وكان يفد الى هذا العيد طوائف من الناس من بغداد، والموصل، والجزيرة، وسنجار، ونصيبين، بل ومن فارس، منهم: العلماء، والمتصوفون، والوعاظ، والقراء، والشعراء، وهناك يقضون في إربل من المحرم الى أوائل ربيع الأول.

وكان الأمير يقيم في الشارع الأعظم مناضد عظيمة من الخشب، ذات طبقات كثيرة، بعضها فوق بعض تبلغ الأربع والخمس، ويزينها، ويجلس عليها المغنون، والموسيقيون، ولاعبوا الخيال حتى أعلاها(3).

---

(1) المصدر السابق.

(2) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ج2، ص299 عن الزرقاني ج1، ص 164، وراجع: التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين ص115، ورسالة حسن المقصد (مطبوع مع النعمة الكبرى على العالم) ص80و75و77، والبداية والنهاية ج13 ص137و 136 ولم يصرح بالأولية، والسيرة النبوية لدحلان ج1، ص24، ومنهاج الفرقة الناجية: ص 110، والإنصاف فيما قيل في المولد ص45و46 و50و57، وتاريخ إبن الوردي ج2، ص228، وجواهر البحار ج3، ص337، والسيرة الحلبية ج1 ص83,84.

(3) وفيات الأعيان ط سنة 1310هـ.ق ج1، ص436و437، وشذرات الذهب ج5، ص139و140

عنه وعن إبن شهبة، وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج1، ص24و25، والتوسل بالنبي وجهلة الوهابيين ص16 عن مرآة الزمان وحسن المقصد (مطبوع مع النعمة الكبرى) ص76، والبداية والنهاية ج 13، ص 137، وجواهر البحار ج3، ص337 و 338، والإنصاف فيما قيل في المولد ص50 و 51 عن الحاوي للسيوطي.

وقيل: أن الخلفاء الفاطمين هم الذين أبدعوها(1).

وقيل: غير ذلك(2).

والنصوص حول هذا الأمر كثيرة جداً لا مجال لاستقصائها، وقد ذكرنا طرفاً منها في كتابنا المواسم والمراسم فراجع:

2 . بالنسبة لما ذكره حول "ان الإسلام لا يعتبر المولد قيمة في الخط التربوي ولا في الواقع الإجتماعي، ولا يهتم لهذه المناسبة".

لا يصح أيضاً، فقد قال إبن أبي الحديد المعتزلي: ".. وقد روى أن السنة التي ولد فيها علي (عليه السلام) هي السنة التي بدئ فيها برسالة رسول الله . صلى الله عليه وآله . فاسمع الهتاف من الأحجار، والأشجار وكشف عن بصره، فشاهد أنواراً و واشخاصاً، ولم يخاطب فيها بشيء.

ذوهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتل والإنقطاع، والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، وأنزل عليه الوحي.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتيمن بتلك السنة، وبولادة علي (عليه السلام) فيها، ويسميها سنة الخير والبركة"(3)

---

(1) القول الفصل: ص18 و 68 عن كتاب: احسن الكلام ص44 و 45 للشيخ محمد بخيت المطيعي وعن المحاضرات الفكرية . المحاضرة العاشرة ص84، وعن الإبداع في مضار الإبتداع ص126 وعن كتاب المعز لدين الله ص 284، وراجع : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج2، ص299. وراجع: الخطط للمقريزي ج1، ص490، ومنهاج الفرقة الناجية ص.110

(2) القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ص205 عن الفتاوى ص.4

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4، ص.115

3 . ويقولون: إنه (صلى الله عليه وآله) قد أشار الى ذلك حيث سئل عن صوم يوم الإثنين، فقال (صلى الله عليه وآله) له: (ذلك يوم ولدت فيه(1)) وذلك يشير الى رجحان الصيام فيه لأجل هذه النقطة بالذات(2) .

4 . إنه لا شك في أن أيام المواليد لها ميزتها وأهميتها في الإسلام، إذ أن من يراجع كتب الزيارات المأثورة، وكذلك الأحاديث التي تتحدث عن مفردات العبادات في الأيام المختلفة يجد تركيزاً خاصاً، ومميزاً على الأيام التي روي أن النبي والأئمة (عليهم السلام) قد ولدوا فيها فنلاحظ:

ألف: أن هناك زيارات مأثورة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في السابع عشر من ربيع الأول و وهو يوم مولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد روى المفيد والشهيد في مزاريهما، والسيد إبن طاووس في الإقبال: أن الإمام الصادق (عليه السلام) قد زار أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم السابع عشر من ربيع الأول بزيارة خاصة، وقد علمها (عليه السلام) لمحمد بن مسلم الثقفي.

وقد قال المجلسي في زاد المعاد عن هذه الزيارة: إنها من أحسن الزيارات لفظا ومعنى، وهي منقولة بسند في غاية الاعتبار.

ب . وهناك الأعمال والزيارات المشروعة والمستحبة في ليلة النصف من شعبان وهو يوم ولادة الإمام الحجة قائم آل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.

وفي فضل هذه الليلة أحاديث كثيرة جداً تبين أهميتها وعظمتها، ومن جملة ما يستحب فيها دعاء ذكره الشيخ والسيد، جاء فيه:

((اللهم بحق ليلتنا هذه، ومولودها، وحجتك وموعودها، التي قرنت الى فضلها فضلاً.. الى أن قال: الغائب المستور، جل مولده، وكرم محتده، والملائكة شُهَّده، والله ناصره ومؤيده)).

---

(1) راجع مسند أحمد ج5 ص297 و 299، والمنتقى ج2 ص195 عن أحمد ومسلم، وأبي داود وصحيح مسلم ج3 ص166، والمدخل لابن الحاج ج2 ص29.

(2) وإن كان لنا كلام حول استحباب صوم يوم الاثنين لا مجال له هنا.

ج . ما ورد في الأحاديث الشريفة، وكتب الأدعية، والزيارات فيما يرتبط بالثالث من شهر شعبان يوم ولادة الإمام الحسين (صلوات الله وسلامه عليه)، وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه كان يدعو في هذا اليوم بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك بحق المولود في هذا اليوم، الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته، بكته السماء، ومن فيها.. الخ الى أن قال: اللهم وهب لنا في هذا اليوم خير موهبة، وانجح لنا فيه كل طلبة، كما وهبت الحسين لمحمد جده، وعاذ فطرس بمهده، فنحن عائذون بقبره من بعده..الخ).

وراجع ما روي ليلة ويوم ميلاد الإمام الحسن (عليه السلام) في الخامس عشر من شهر رمضان.. وغير ذلك.

وبعد ما تقدم فلا يصح قول ذلك البعض: "الإسلام بشكل عام لا يهتم بمناسبات المولد".

5 . وأما قوله: "إن تاريخ الإنسان يبدأ من دوره لا من ولادته.." فهو كلام غير سليم، فإن تاريخ الأنبياء يبدأ حتى قبل أن يولدوا، وكذلك الأئمة (عليهم السلام)، فإن إرهاصات بعثتهم، وما يظهر لهم من كرامات أثناء الحمل، وحين الولادة وفي أيام الطفولة هو جزء من تاريخهم المشرق الذي تستفيد الأمة من التعرف عليه أعظم العبر. وأبلغ العظات.. وله الدور الأكيد في ترسيخ الإيمان، وفي حقيقة الإنقياد لهم (عليهم السلام)، والتأسي بهم، والتفاعل العميق مع كل ما يصدر عنهم.

803 . لا يثق برواية البعثة في رجب.

ويقول البعض:

بعد أن ذكر أن نزول القرآن قد كان في شهر رمضان المبارك حسبما نص عليه قوله تعالى: { شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان } ، . يقول . ما يلي:

"وعلى ضوء ذلك فإن هذا الظهور القرآني البين يجعلنا لا نثق بالروايات التي توقت البعثة في رجب، أو تعين الآيات النازلة في سورة إقرأ.. الخ"(1)

وقفة قصيرة :

ونقول :

---

(1) من وحي القرآن ج 4 ص .28

1 . إن نزول القرآن في شهر رمضان المبارك لا يلازم كون البعثة فيه، إذ قد تكون البعثة في رجب، ثم ينزل القرآن أو يبدأ نزوله بعد سنة أو شهر من ذلك أو أكثر أو أقل لأن معنى البعثة هو أن يخبر الله نبيه بواسطة الوحي أنه مبعوث الى الناس..

والرواية التي تتحدث عن أن البعثة كانت مقارنة لنزول آيات: إقرأ باسم ربك الذي خلق لا يمكن أن تصح.. وقد قرر نفس هذا البعض آنفاً أنه لا يثق في الروايات التي تعين أول الآيات النازلة في سورة إقرأ.

وقد تحدثنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) ما يفيد في توضيح هذا الأمر وتأكيده، فراجع(1).

2 . ان الله سبحانه قد أرسل رسلا وبعث أنبياء الى الناس منذ آدم (عليه السلام) وليسي ثمة ما يثبت أو يدل على إقتران بعثتهم والوحي إليهم بإنزال كتب أو نصوص إلهية بعينها.. فلا ملازمة بين بعثة النبي (صلى الله عليه وآله)، وبين وجود كتاب يأتي به حين بعثته.

3 . على أن هناك من الروايات ما يدل على أن القرآن قد نزل أولاً على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم صار يبلغه وقت استحقاق الخطاب.

ولعل النزول الدفعي هو الذي حصل ليلة القدر، فيكون المراد بأنه (صلى الله عليه وآله) كان في بعض الوقائع ينتظر الوحي: أنه كان ينتظر الإذن بالإبلاغ لما كان قد نزل عليه من آيات.

4 . إن المروي عن أهل البيت (عليهم السلام):

ان البعثة كانت في السابع والعشرين من شهر رجب، وأهل البيت أدرى بما فيه من كل أحد. وهم أقرب الى معرفة شؤون النبي (صلى الله عليه وآله) وحالاته، وقد روي هذا الأمر حتى عن غير الشيعة أيضاً(2).

---

(1) راجع: الصحيح من سيرة الرسول الأعظم (ص): ج2 ص292، 314.

(2) راجع: السيرة الحلبية: ج1، ص238 عن أبي هريرة، وسيرة مغلطاي ص14 عن كتاب العتقي عن الحسين، ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند احمد) ج3، ص362 والمناقب لابن شهر آشوب:ج1، ص173.

بل لقد ادعى المجلسي إجماع الشيعة على هذا الأمر(1).

فما بال هذا البعض يترك ذلك كله، استناداً الى ظنون وترجيحات لا مبرر لها ؟!

الفصل الثاني:

وهذا أيضاً من أقواله..

بداية:

وبعد.. فهذه طائفة من مقولات متنوعة لهذا البعض، نقدمها الى القارئ الكريم ليتولى هو الحكم عليها.. وتقييمها وفق ما عرفه من معايير وضوابط وجدانية وإيمانية، ولا نقول أكثر من ذلك..

والمقولات هي التالية:

804 . الأحاديث القدسية هي ما كان ينزل على الأنبياء السابقين ونقلها المعصومون عنهم.

سئل البعض:

ما هي الأحاديث القدسية؟

فأجاب:

"الأحاديث القدسية لعلها هي الأحاديث التي تمثل ما كان ينزل على الأنبياء السابقين، ونقل عن النبي (ص)، وعن الأئمة (ع) الظاهر هكذا"(2).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . بل الأحاديث القدسية هي تلك التي رواها المعصوم على أنها من كلام الله سبحانه، ولكنها ليست من القرآن، وذلك مثل ما روي من قوله تعالى: ((عبدي أطعني تكن مثلي، تقول للشيء: كن، فيكون..)) وليس بالضرورة أن تكون قد نزلت على نبي سابق.

2 . ونذكّر القارئ ان هذا البعض كان قد ذكر في مورد آخر: "بأن الأحاديث القدسية هي ترجمات عن اللغات الأخرى، وقد احتمل أن تكون تلك الترجمات غير دقيقة. فراجع"(3).

805 . كذب الوقاتون: تشمل أحاديث الأئمة !!!

806 . كذب الوقاتون: تشمل مدة حياته بعد خروجه.

ويسأل البعض عن مدة حياة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) بعد ظهوره:

وما رأيكم في الروايات، مثلا تقول: يعيش 40 سنة، أو 7 سنوات؟!

فيجيب:

"كذب الوقاتون"(4).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . الظاهر أن هذا البعض يستند الى رواية كذب الوقاتون، التي جاءت للرد على من يوقت خروج الإمام (عليه السلام).

---

(1) البحار: ج18، ص 204و190.

(2) الموسم: العددان 21و22 سنة 1995، ص315.

(3) راجع: الجزء الأول من هذا الكتاب ص216.

(4) الموسم العددان (21 . 22) ص 307

مع أن السؤال الموجه إليه هو عن الروايات التي تتحدث عن مدة بقائه (عليه السلام) بعد خروجه، ولا ارتباط لها بتوقيت الخروج...

2 . وحتى لو كان لا يستند الى هذه الرواية، فإن الأمر يصبح أقبح حيث أنه يبادر الى تكذيب ما يروى عن أهل البيت (عليه السلام) بهذه الطريقة الجافة، والمهينة.

ومن الواضح: أن السؤال هو عن الروايات التي تحدد الوقت، والروايات إذا كانت صادرة عنهم (عليهم السلام)، فإن كلامهم هو المعيار والميزان فلا يصح اعتبارهم من الذين يكذبون، العياذ بالله.

وأما رواية: (كذب الوقاتون) فهي موجهة لغيرهم ممن يقولون بغير علم، ويملؤون أسماع الناس بما هو مجرد تخرّص ورجم بالغيب..

وبعبارة أوضح وأصرح، إذا كان الأئمة (عليهم السلام) قد ذكروا . بالفعل . مدة معينة يعيشها الإمام (عليه السلام) بعد خروجه، وفرض أن هذا من التوقيت، فهل يكون كلامهم (عليهم السلام) كذباً، ليقال كذب الوقاتون؟!. أم أن اللازم هو البحث للتأكد من صدور الروايات عنهم، ومدى إمكان الإعتماد عليها؟.

807 . لا مقدسات في الحوار.

808 . قد حاور الله تعالى إبليس.

سئل البعض:

أشرتم الى مسألة الحوار بين الأديان، والملاحظ إزدياد الحديث في هذا الموضوع في الآونة الأخيرة، فما رايكم؟

فأجاب:

"إن الله علمنا أن نحاور كل الناس، ولا توجد مقدسات في الحوار، فقد حاور الله تعالى إبليس، فهل هناك من الناس من هو مثل إبليس؟ كما أن القرآن هو كتاب حوار مع المشركين في توحيد الله، ومع الكافرين في وجود الله وفي نبوة النبي، كما حاور المنافقين، لذلك نعتبر أن عظمة القرآن في أنه كتاب الحوار المقدس الذي يقول لك إن مسألة أن تؤمن هي أن تفكر وتقتنع، وبالتالي أن تحاور.. الخ"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:...

أولاً: هل حاور الله تعالى إبليس حقاً.. أم أنه ألقى الحجة عليه ثم طرده من رحمته، وأرسل عليه لعنته؟!

---

(1) حوارات في الفكر والسياسة والإجتماع: ص248.

إن الحوار يتمثل بتبادل الأفكار التي من شأنها أن تنبه الطرف الآخر الى خطئه فيما يلتزمه من أفكار، والى صوابية الفكر المطروح عليه..

وليس من الحوار ما يكون من قبيل إلقاء الحجة على الطرف الآخر تمهيداً لإصدار القرار الحاسم عليه حتى وإن ظهر بصورة الخطاب مع الآخر ولا معنى، ولا مبرر للخلط بين ما هو خطاب، وبين ما هو حوار، فشتّان بين الإثنين.

والملاحظ في قضية إبليس المذكورة في القرآن هو أنها تقتصر على بيان استكبار إبليس عن السجود لآدم لكونه قد خلق من تراب.. يقابله قرار إلهي بطرده، وإحلال اللعنة عليه الى يوم الدين..

وقد وردت هذه القضية في أربعة مواضع في القرآن الكريم، هي التالية:

1 . في سورة الأعراف قال تعالى: { ولقد خلقناكم ثم صورناكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين.

قال: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ قال: أنا خير منه، خلقتني من نار، وخلقته من طين. قال: فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها، فاخرج إنك من الصاغرين. قال: أنظرني الى يوم يبعثون. قال: إنك من المنظرين. قال: فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين. قال: أخرج منها مذؤوماً مدحو اً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين } (1).

2 . وفي سورة الحجر قال تعالى:

---

(1) سورة الأعراف: الآية:11. 18.

{ .. فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس ابى أن يكون مع الساجدين. قال: يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين. قال: لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأٍ مسنون. قال: فاخرج منها فإنك رجيم. وان عليك اللعنة الى يوم الدين. قال: رب فأنظرني الى يوم يبعثون. قال: فإنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم. قال رب بما أغويتني لازينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين.. إلا عبادك منهم المخلصين. قال: هذا صراط علي مستقيم. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين، وإن جهنم لموعدهم أجمعين. لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم } (1).

3 . وفي سورة الإسراء قال تعالى:

{ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، قال: أأسجد لمن خلقت طيناً؟. قال: أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريته إلا قليلاً. قال: اذهب فمن تبعك منهم، فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً. واستفزز من استطعت منهم بصوتك، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد، وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان، وكفى بربك وكيلا. } (2).

4 . وفي سورة (ص) يقول سبحانه:

{ فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس استكبر، وكان من الكافرين. قال: يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ استكبرت أم كنت من العالين. قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال: فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي الى يوم الدين. قال: رب فأنظرني الى يوم يبعثون. قال: فإنك من المنظرين. الى يوم الوقت المعلوم. قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين. قال: فالحق والحق أقول. لأملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين } (3).

---

(1) سورة الحجر : الاية: 30 . 44.

(2) سورة الآسراء: الآية: 61 . 65.
(3) سورة ص : الآية: 73 . 85.

وبعد.. فإن هذا هو كل ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم عن تمرد إبليس، وهو يتلخص في عدة نقاط هي:
إستكبار وتمرد من قبل إبليس.
وطرد من قبل الله له من رحمته.
ثم طلب إبليس من الله أن ينظره الى يوم القيامة.
واستجابة الله له.
ثم توعد إبليس بإضلال الناس كلهم.
ثم تهديد الله له ولمن تبعه بالعذاب في نار جهنم.
فأين هو الحوار يا ترى، وأين تجد تبادل الأفكار؟!
ثانياً: إن هذا البعض يقول وهو يتحدث عن قيمة الحوار في القرآن فيقول: "إن قيمته هي في أنه لم يحدد موضوعات الحوار، ولم يحدد الإنسان المحاور، فلا مشكلة في الحوار مع أي إنسان كان، لأن القضية هي أن هناك حقيقة لا بد أن نتعاون على اكتشافها، والوصول إليها، ليكون الحوار وسيلة تعاون لاكتشاف هذا المجهول، لا لتسجيل النقاط السلبية على بعضنا البعض"(1).
ويتحدث عن مهمة الحوار، وأنه ليس مجرد إيصال القضايا التي يختلفون فيها الى وضوح الرؤية لإيجاد قناعة مشتركة حولها.
بل هو أيضاً يساهم في تبريد الأجواء النفسية لدى المتحاورين.. لإلتقائهم على المفاهيم المشتركة، أو المعاني المتقاربة مما يخلق مشاعر حميمة فيما بينهم.
كما أنه يخلق حركة فكرية تكون سبباً في تعميق الوعي، وشمولية النظرة.
كما أنه يمكن أن نجعل من الحوار منهج تربية في تكوين القناعات بشكل تدريجي.

---

(1) راجع: الحوار في القرآن: ص32 مقدمة الطبعة الخامسة ط سنة 1996 م.

ثم قال: "إذا كان القرآن يتحدث بأسلوب العنف عن بعض هؤلاء الذين ينطلقون من موقع الفكرة المضادة لفكره، فلم يكن ذلك نتيجة للروح العدوانية التي ترفض الخلاف بالقوة، بل كان لامتناعهم عن الدخول في أجواء الحوار، وابتعادهم عن استعمال الأدوات التي أتاحها الله لهم للمعرفة وللتفكير.. وهذا ما نريد إثارته: الحوار لمن يريد الحوار. والعنف العقلاني لمن يتخذ العنف وسيلة لاضطهاد الفكر واسقاطه.."

الخ(1).

وبعدما تقدم نقول:

هل ترى هذه المعايير، والفوائد التي ذكرها للحوار منطبقة على حديث القرآن عن حوار الله تعالى مع إبليس ؟

الجواب: لا، فإن الله سبحانه إنما أقام الحجة على إبليس ثم طرده ولعنه.. إذن فخطابه سبحانه لإبليس لا يدخل في هذا الإطار بلا شك.

أو هل ترى أن الحوار المزعوم بين الله سبحانه وإبليس هو من مفردات وموارد العنف العقلاني، لمن يتخذ العنف وسيلة لإضطهاد الفكر الآخر وإسقاطه..

والجواب أيضاً بلا.. لأن إبليس قد قدم عذره ـ الباطل ـ لإمتناعه عن السجود لآدم، وهو انه مخلوق من نار، وآدم مخلوق من طين، ولكن الله سبحانه بادره باللعنة وبالطرد..

فكلا الحالتين لا تنطبقان على قضية إبليس وهكذا تتعقد المشكلة إذا أردنا أن نلتزم بما يقوله هذا البعض، ونقف عنده ولا نتعداه..

---

(1) راجع: الحوار في القرآن: ص17 و 18 و 19 مقدمة الطبعة الثالثة.

ثالثاً: إن الحقيقة هي أن الله سبحانه لا يهادن الفكر المنحرف، الذي ينطلق من إرادة تبرير الإنحراف، وذر الرماد في العيون عن سابق معرفة وإدراك لحقيقة الخطأ، وتمييع القضايا بصورة وقحة، فإن هذا النوع لا يصح، بل لا يجوز الحوار معه، لأن حواراً كهذا لسوف يستبطن المماشاة بل الإعتراف بهذا الفجور الإعلامي الذي يراد تسويقه على أنه فكر، ورأي واستدلال.. ولاجل ذلك كان القمع الإلهي لهذا الفجور الخبيث، ولم يكن ثمة من حوار مع إبليس، ما دام أن الحوار مع إبليس سقوط خطير، وانتصار لأطروحة إبليس، ومساعدة له على تحقيق مراميه الخطيرة والخبيثة.

بل هو كما قلنا ـ احتجاج من الله سبحانه عليه، وفيه من التأنيب والتقريع، والإنكار والتوبيخ ما لا يخفى على من له أدنى معرفة بلغة العرب، ثم كان الطرد، وكانت اللعنة، فهل يصح اعتبار ذلك حواراً بعد هذا كله ؟!

809 ـ هل تواعد أبو بكر مع النبي (ص) على الخروج معاً ليلة الهجرة.

810 ـ أبو بكر خشي على نفسه وعلى النبي.

811 ـ النبي يقول لأخيه ابي بكر: لا تحزن إن الله معنا..

812 ـ كان الإهتزاز الروحي والفكري والعملي لابي بكر في البلاء والمحنة فثبته النبي (ص).

يقول البعض:

" { إلا تنصروه } إن امتنعتم عن نصره، فإن الله لا يعجز عن ذلك، كما فعل ليلة الهجرة { فقد نصره الله } وخلصه من أيدي قريش التي أطبقت على بيته وانتظرت الصباح لتهجم عليه { إذ أخرجه الذين كفروا } من موطنه { ثاني اثنين } فقد كان معه أبو بكر الذي تواعد وإياه على الخروج معاً حتى دخلا الغار، وأقبلت قريش حتى وقفت على بابه، وبدأ الحوار فيما بينهم، بين قائل يحثهم على الدخول، وقائل يدفعهم الى الرجوع".

ويقول:

"واشتد الضغط على مشاعر أبي بكر الذي كان يخشى من الموقف على نفسه، وعلى النبي (ص) { إذ هما في الغار } يتحاوران، فيتحدث أبو بكر عن أجواء الخوف المدمر، ولكن النبي كان يعيش آفاق النصرة التي وعد الله بها، والله لا يخلف وعده، فكان يشجع أبا بكر على الثبات في الموقف، وعلى الإطمئنان لنصر الله { إذا يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا } .

فلو كان الناس بأجمعهم مع الإنسان وكان الله ضده، لم ينفعه ذلك شيئاً، ولو كان الله معه وكان الناس ضده لم يضره ذلك شيئاً، لأن الله هوالذي يملك القوة كلها، فلا قوة لأحد إلا من خلال ما أعطاه، فهو الذي يملك من الإنسان ما لا يملكه الإنسان من نفسه، فإذا اراد رعاية عبد من عباده، برحمته وقوته ولطفه، فإنه يأخذ بكل أسباب القوة من خلال الله، وتلك هي الأجواء الروحية التي تطوف بالإنسان في ملكوت الله عندما تشتد عليه الأهوال، وتضيق عليه السبل، وتكثر حوله التحديات، ويهجم عليه أهل البغي والطغيان، فإذا أحس من نفسه ضعفاً أمام ذلك كله، وشعر بالحزن يزحف الى قلبه، وبالخوف يسيطر على روحه، رجع الى الله في روحية العبد الخاشع، وذهنية الإنسان الملتجئ إليه المعتصم به، فعاش معه إبتهالاته ودعواته وروحية الصلاة في ضميره، فإذا بالضعف يتبدل الى القوة، وبالخوف يتحول الى شعور بالأمن، وبالحزن ينطلق الى الفرح الروحي، ليوحي لنفسه بأن الله معه، ليثبت أمام الزلزال، وليقول لإخوانه الذين يعيشون الإهتزاز الروحي والفكري والعملي أمام عواصف المحنة والبلاء: لا تحزنوا إن الله معنا"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1 . إن دعوى وجود تواعد فيما بين النبي (صلى الله عليه وآله) وبين أبي بكر على الهجرة معاً.. يقابلها نصوص تقول: انه (صلى الله عليه وآله) قد لقي أبا بكر على طريق المصادفة.. فطلب منه أبو بكر مرافقته، فلم يرفض النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك..

---

(1) من وحي القرآن: ج11، ص 116 و 117.

بل إن ثمة نصّاً آخر يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أخذه معه ليتلافى بذلك بعض السلبيات المحتملة، ولسنا هنا بصدد تحقيق ذلك.

2 . ثم هو يسجل خبراً يحكي لنا فيه حقيقة مشاعر أبي بكر، حيث قرر أن الضغط قد اشتد على مشاعره لأنه كان يخشى من الموقف على نفسه وعلى النبي (صلى الله عليه وآله).

وقد كنا نتوقع أن يذكر لنا النصوص التي أثبتت له هذه الحقيقة التي تدخل في دائرة المشاعر الخفية بشقيها: أعني خوف أبي بكر على نفسه أولاً، ثم خوفه على النبي (صلى الله عليه وآله) ثانياً، حتى استطاع هذا البعض ان يقدمها كحدث صادر وواقع..و هو الذي يشترط اليقين في الأخذ بالأخبار في قضايا التاريخ، وفي الأخبار عن حالات الأشخاص، وغير ذلك.

فكيف بما يدخل في دائرة المشاعر والأحاسيس؟!.

3 . ولا ندري كيف عرف أن أبا بكر قد عاش الإهتزاز الروحي والعملي والفكري.. مع أن هناك من يقول: أن حزن هذا الرجل لم يكن مبرراً بدرجة يقينية.. خاصة إذا فرضنا أن حزنه كان على النبي (صلى الله عليه وآله).. فإن ما رآه من الآيات من شأنه أن يمنحه اليقين برعاية الله سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وآله).

فقد رأى العنكبوت قد نسجت على باب الغار!!.. ورأى حمامة وحشية تبيض على باب الغار، وتجلس لإحتضان بيضها، ورأى شجرة تنبت . لساعتها . كل ذلك على باب الغار..

على أن الله حين انزل السكينة، فإنما أنزلها على رسوله، ولم ينزلها على ذلك الذي عاش الإهتزاز الروحي والفكري والعملي أمام عواصف المحنة والبلاء على حد تعبير هذا البعض.. ولا ندري السبب في هذا الإستثناء له وقد أنزل سكينته على رسوله (صلى الله عليه وآله)، وعلى المؤمنين في موقف حرج آخر.. فما بال هذه السكينة لا تنزل على (إخوان رسول الله) وهم يواجهون عواصف المحنة والبلاء . على حد تعابير هذا الرجل ألا تحزنوا إن الله معنا.

813 . الخلفاء الراشدون حاولوا اقتفاء أثر الرسول في كل أمور الدولة.

814 . الخلفاء عملوا على استلهام القرآن في كل أمور الدولة.

ويقول البعض:

".. الأمر الثاني الذي نستدل به على وجود الدولة هو تطبيق النبي هذه الآليات القانونية في اطار المساحة التي كانت تحتلها الدولة في تلك المرحلة وفي تلك الظروف.. وعندما جاء الخلفاء الراشدزن من بعده لم ينطلقوا من فراغ، وإنما حاولوا أن يقتفوا أثر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعملوا على استلهام الكتاب في كل ما كان يعرض عليهم من أمور الدولة.."(1).

وقفة قصيرة:

إن تعليقنا على ما ذكره هذا البعض سوف يقتصر على ما يلي:

1 . إن هذا الذي قاله وبهذه الشمولية والدقة يحتاج . حسبما قرره نفس هذا البعض . إلى إثبات قطعي، ولا يكفي فيه مطلق ما هو حجة.. لأنه أمر تاريخي، يحتاج إلى القطع واليقين كما يقول..

2 . إن هذا البعض إنما كان يجيب على سؤال: أن المشروع لم يكن يهدف إلى إقامة دولة إسلامية.. ولم يكن بحاجة إلى الاستطراد في حديثه إلى إطلاق هذا الحكم الجازم والعام فيما يرتبط بسياسات من عدا الرسول صلى الله عليه وآله.

3 . إن قضية فدك، ترتبط . ولا شك . بسياسات الدولة، كما أن ما جرى على الزهراء، وتهديدها بإحراق بيتها، وإحراق الباب وإسقاط جنينها وضربها، واقتحام بيتها . إن كل ذلك ولا شك يرتبط بأمور الدولة وممارسات أركانها في مقام تثبيت دعائمها، وتشييد أركانها. فهل كانوا في ذلك كله يحاولون اقتفاء أثر الرسول(ص)، ويعملون على استلهام الكتاب العزيز، ولم ينطلقوا من فراغ.

وبعد ذلك، فهل كان قتل مالك بن نويرة، والبناء بزوجته ليلة قتله، وجعل رأسه أثفية للقدر في عمل طبخ الطعام، وحماية أبي بكر لخالد، الذي فعل ذلك كله.. هل كل ذلك كان اقتفاء لأثر الرسول واستلهاماً لكتاب الله، ولم ينطلقوا من فراغ؟!.

---

(1) جريدة الشرق الأوسط – الثلاثاء 2000/10/24 عدد رقم 8001.

ومع غض النظر عن ذلك كله.. هل كان حرق الفجاءة.. ومنعهم لكتابة ورواية حديث رسول الله(ص)، وحبس كبار الصحابة في المدينة، وإعطاء خمس أفريقية لمروان.. وضربهم من يسأل عن معنى آية قرآنية، والتنكيل بنصر بن حجاج..

وهل كان التمييز في العطاء على أساس قبلي وعرقي.. وتولية الفساق الذين يشربون الخمر، ويصلون بالناس في مسجد الكوفة بالعراق وهم سكارى، والذين يعتبرون سواد العراق بستاناً لقريش.. ويعلنون الحرب على مخالفيهم بعنوان حرب الردة والمنع من حيّ على خير العمل.. وغير ذلك مما يتعذر علينا إحصاؤه الآن، ويكفي مراجعة كتاب الغدير للعلامة الأميني رحمه الله للوقوف على بعض من ذلك.

فهل كان ذلك كله اقتفاء منهم لأثر الرسول(ص)، واستلهاماً لكتاب الله.. ولم ينطلقوا من فراغ؟!

ولماذا إذن هب الصحابة وغيرهم في وجه عثمان حتى قتلوه..

ولعل هذا البعض . الذي نتوقع منه أن يصر على مقولاته هذه سوف يعتذر عن هؤلاء بأنهم قد تأوّلوا فأخطأوا. وبذلك ينالون المثوبة على كل ما فعلوه مما ذكرناه آنفاً ومما لم نذكره.. ولا نملك والحالة هذه إلا أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

815 . علي(ع) إنما حمل لواء المهاجرين في حنين
816 . الألوية والرايات تعددت في حنين وكثرت
817 . ثبت أبو بكر وعمر وأناس من أهل بيت النبي وأصحابه

يقول البعض حول حرب حنين:

"وصفهم صفوفاً، ووضع الرايات في أهلها، مع المهاجرين لواء يحمله علي بن أبي طالب، وراية يحملها سعد بن أبي وقاص، وراية يحملها عمر بن الخطاب، ولواء الخزرج يحمله حباب بن المنذر، ولواء الأوس يحمله أسيد بن حضير.. وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء أو راية يحملها رجل منهم مسمى. وقبائل العرب فيهم الألوية والرايات، يحملها قوم منهم مسمون".

إلى أن قال؛ وهو يتحدث عن هزيمة الناس:

"فجعل رسول الله(ص) يقول: يا أنصار الله، وأنصار رسول الله، أنا عبد الله، ورسوله. ورجع رسول الله إلى المعسكر، وثاب إليه من انهزم.

وثبت معه يومئذٍ: العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد في أناس من أهل بيته وأصحابه إلخ.."(1).

وقفة قصيرة:

ويستوقفنا هنا عدة أمور، نذكر منها ما يلي:

أولاً: إن هذا البعض قد ساق الحديث المشار إليه وكأنه هو الحقيقة الثابتة، التي لا مراء فيها.. وجعلها محلاً لتحليلاته، ومنطلقاً لاستنتاجاته، أو تعليلاته وتأويلاته.

ومن المعلوم أن هذا البعض نفسه لم يزل يعلن أنه لا يكتفي بمطلق الحجة في مثل هذه الموارد، بل يلتزم بضرورة كون الدليل موجباً للقطع واليقين في كل ما عدا الأحكام الشرعية.

فهل نقل ابن سعد هذا يعتبر من الأدلة اليقينية عنده إما لتواتره، أو لكونه محفوفاً بقرينة قطعية؟! وأين هي تلك القرينة؟!

ثانياً: لماذا اختار هذا البعض خصوص رواية طبقات ابن سعد. ولم يخطر في باله أن يرجع إلى مصدر شيعي . ولو إلى كتاب الإرشاد للمفيد، أو إلى البحار فيذكر وقائع قصّة حنين من هذا الكتاب الشريف أو ذاك، ثم يحلّل ويستنتج ويقوّب ويبعّد حسبما يراه مناسباً.

ثالثاً: إن هذا البعض قد ذكر: أن علياً صلوات الله وسلامه عليه كان يحمل لواء المهاجرين، وأعطى(ص) راية لسعد وراية لعمر. ثم أعطى لواء الخزرج لحباب بن المنذر، ولواء الأوس لأسيد بن

حضير.

ونقول:

إن ذلك لا يصح، لأن لواء الجيش كله كان مع علي. ولا يمنع أن يكون معه لواء المهاجرين أيضاً.

ويدل على ذلك:

ألف: نصوص عامة، وهي التالية:

---

(1) الإسلام ومنطق القوة ص 157. ورمز للنص المذكور بـ: طبقات ابن سعد ج2 ص149 – 152.

1 . أنهم يقولون من إنه عليه السلام كان صاحب لواء رسول الله(ص) في بدر، وفي كل مشهد(1).

2 . عن ابن عباس، قال: لعلي بن أبي طالب(ع) أربع ما هنّ لأحد: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله(ص). وهو صاحب لوائه في كل زحف. وهو الذي ثبت معه يوم المهراس؛ وفرّ الناس. وهو الذي أدخله قبره(2).

3 . عن ابن عباس: كان علي أخذ راية رسول الله يوم بدر. قال [الحكم] الحاكم: وفي المشاهد كلها(3).

4 . وعن مالك بن دينار: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله(ص)؟ قالوا: كان حاملها علي(رض).

وفي نص آخر: أنه لما سأل مالك سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد فشكاه مالك إلى إخوانه من القرّاء، فعرّفوه: أنه خائف من الحجاج. فعاد وسأله، فقال: كان حاملها علي(رض). هكذا سمعت من عبد الله بن عباس(4).

وفي نص آخر عن مالك بن دينار قال: قلت لسعيد بن جبير: من كان صاحب راية رسول الله(ص)؟ قال: إنك لرخو اللبب.

فقال لي معبد الجهني: أنا أخبرك: كان يحملها في المسير ابن ميسرة العبسي، فإذا كان القتال؛ أخذها علي بن أبي طالب رضي الله عنه(5).

---

(1) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (من تاريخ ابن عساكر) بتحقيق المحمودي ج1 ص145 وذخائر العقبى ص75 عن أحمد في المناقب، وطبقات ابن سعد ج3 قسم1 ص14 ط/ليدن، وكفاية الطالب ص336 عنه، وفي هامشه عن: كنز العمال ج6 ص398 عن الطبراني، والرياض النضرة ج2 ص202 وقال: أخرجه نظام الملك في أماليه.

(2) مستدرك الحاكم ج3 ص111، وتلخيصه للذهبي بهامشه، ومناقب الخوارزمي ص21/ 22، وإرشاد المفيد ص48، وتيسير المطالب ص49.

(3) ذخائر العقبى ص75، والرياض النضرة المجلد الثاني ج4 ص.156
(4) راجع: مستدرك الحاكم ج3 ص137 وصححه وقال له شاهد من حديث زنفل العرفي، وفيه طول فلم يخرجه الحاكم، ومناقب الخوارزمي ص258/ 259، وذخائر العقبى ص75 عن أحمد في المناقب.
(5) الطبقات الكبرى، ط/ ليدن ج3 ص15 قسم.1

5 . عن جابر: قالوا: يا رسول الله، من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من عسى أن يحملها يوم القيامة، إلا من كان يحملها في الدنيا، علي بن أبي طالب؟! وفي نص آخر: عبر باللواء بدل الراية(1).
6 . وحينما مرّ سعد بن أبي وقاص برجل يشتم علياً، والناس حوله في المدينة، وقف عليه، وقال: يا هذا، على ما تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله(ص)؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتى قال: ألم يكن صاحب راية رسول الله(ص) في غزواته؟(2).
وظاهر كلامه هذا: أن ذلك كان من مختصاته صلوات الله وسلامه عليه.
7 . عن مقسم: أن راية النبي(ص) كانت تكون مع علي بن أبي طالب، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة، وكان إذا استعر القتال كان النبي(ص) مما يكون تحت راية الأنصار(3).
8 . عن عامر: إن راية النبي(ص) كانت تكون مع علي بن أبي طالب، وكانت في الأنصار حيثما تولوا(4).

---

(1) هامش ص180 من احتجاج الطبرسي، والرياض النضرة المجلد الثاني ج3 ص172 عن نظام الملك في أماليه، وكفاية الطالب ص336 وقال: ذكره محدث الشام – أي ابن عساكر – في ترجمة علي(ع) من كتابه بطرق شتى عن جابر، وعن أنس، وكنز العمال ج15 ص119، وراجع ص135 عن الطبراني، ومناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي ص200، وعمدة القاري ج16 ص216، ومناقب الخوارزمي ص358.
(2) مستدرك الحاكم ج3 ص500، وصححه على شرط الشيخين هو والذهبي في تلخيص المستدرك، وحياة الصحابة ج2 ص514/ 515. وأظن أن القضية كانت مع سعد بن مالك أبي سعيد الخدري، لأن سعد بن أبي وقاص كان منحرفاً عن أمير المؤمنين. ويشير إلى ذلك ما ذكره الحاكم في مستدركه ج3 ص499 من أن أبا سعيد قد دعا على من كان ينتقص علياً فاستجاب الله له.
(3) المصنف لعبد الرزاق ج5 ص288، وراجع: فتح الباري ج6 ص89 عن أحمد عن ابن عباس بإسناد قوي.
(4) المصنف لعبد الرزاق ج5 ص288.

وقد يقال: إن هذين النصين الواردين تحت رقم 7 و8 لا يدلاّن على أن الراية كانت دائماً مع علي(ع) بصورة أكيدة وصريحة، وإن كان يمكن أن يقال: إن ظاهرهما هو ذلك.

9 . عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله(ص) في المواطن كلها؛ فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب(1).

10 . قال ابن حمزة: (وهل نقل أحد من أهل العلم: أن علياً كان في جيش إلا وهو أميره؟)(2).

11 . وفي حديث المناشدة: أن علياً(ع) قال: نشدتكم الله، هل فيكم أحد صاحب راية رسول الله(ص) منذ يوم بعثه الله إلى يوم قبضه، غيري؟!

قالوا: اللهم لا(3).

ب: هناك من النصوص ما يؤكد هذا الأمر في خصوص غزوة حنين، وإن كان هذا الأمر لا يحتاج إلى التأكيد، فقد قال القمي رحمه الله:

(.. فرغب الناس، وخرجوا على راياتهم، وعقد اللواء الأكبر، ودفعه إلى أمير المؤمنين(ع)، وكل من دخل مكة براية أمره أن يحملها)(4).

رابعاً: إن هذه الرواية التي أوردها وأرسلها إرسال المسلمات، وبنى عليها استنتاجاته تقول: إن عمر وأبا بكر وأسامة بن زيد، وجماعة من أهل بيته وأصحابه.. قد ثبتوا يوم أحد.

ونقول: إن ذلك لا يصح.. وذلك استناداً إلى الأمور التالية:

---

(1) أسد الغابة ج4 ص20، وأنساب الأشراف ج2 ص106 لكن فيه: ميسرة العبسي بدل سعد بن عبادة.

(2) الشافي لابن حمزة ج4 ص.164

(3) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب(ع) ص.57

(4) تفسير القمي ج1 ص286 والبحار ج21 ص149 وتفسير البرهان ج2 ص113، ونور الثقلين ج2 ص.199

1 . قال الشيخ المفيد (ره) وغيره: (ومن ثبت معه من بني هاشم يومئذ، وهم ثمانية، أمير المؤمنين تاسعهم: العباس بن عبد المطلب عن يمين رسول الله، والفضل بن العباس بن عبد المطلب عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند ثفر(1) بغلته، وأمير المؤمنين(ع) بين يديه بالسيف، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب حوله. وقد ولّت الكافة مدبرين سوى من ذكرناه)(2).

2 . قال مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبي غير بني ها شم عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط فهم يهتفون بالناس: أين
ثم قاموا مع النبي على المو ت فآبوا زينا لنا غير شين
وثوى أيمن الأمين من القو م شهيداً فاعتاض قرة عين(3)
3 . وقال العباس بن عبد المطلب؛ وكلامه هذا يؤيد صحة رواية المفيد:
نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا
وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه على القوم أخرى يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع(4)

---

(1) الثفر: السير الذي في مؤخر السرج.
(2) الإرشاد للمفيد جذ ص141 وعنه في مناقب آل أبي طالب ج2 ص30 ط/ دار الأضواء، وراجع: البحار ج38 ص220 وج21 ص156.
وقريب منه ذكره الطبرسي في مجمع البيان ج3 ص18 و19.
(3) الإرشاد للمفيد ج2 ص141 وراجع مناقب آل أبي طالب ج2 ص31 والبحار ج38 ص220 وج21 ص156.
(4) الإرشاد للمفيد ص141/ 142 والمواهب اللدنية ج1 ص164 والمعارف لابن قتيبة ص164 وفيه: سبعة، بدل: تسعة. وثامننا، بدل: وعاشرنا، وراجع: مناقب آل أبي طالب ج2 ص30 والبحار ج38 ص220 وج21 ص156 ومجمع البيان ج3 ص18 و19 وسبل الهدى والرشاد ج5 ص349.

4 . وفي احتجاج المأمون على علماء عصره يقول المأمون حول نزول السكينة في حنين: (إن الناس انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع النبي(ص) إلا سبعة من بين هاشم: علي(ع) يضرب بسيفه، والعباس أخذ بلجام بغلة النبي(ص)، والخمسة محدقون بالنبي(ص)، خوفاً من أن يناله سلاح الكفار، حتى أعطى الله تبارك وتعالى رسوله عليه السلام الظفر. عنى في هذا الموضع(1) علياً، ومن حضر من بني هاشم، فمن كان أفضل، أمن كان مع النبي(ص)، ونزلت السكينة على النبي(ص) وعليه؛ أم من كان في الغار مع النبي(ص) ولم يكن أهلاً لنزولها عليه؟"(2).
5 . قال ابن قتيبة: (كان الذين ثبتوا مع رسول الله (ص) يوم حنين، بعد هزيمة الناس: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب . أخذ بحكمة بغلته . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، وأيمن بن عبيد . وهو ابن أم أيمن مولاة رسول الله (ص) . وحاضنته، وقتل يومئذ [هو،و ابن أبي سفيان . ولا عقب لابن أبي سفيان و] ربيعة بن الحارث بن عبد

المطلب، وأسامة بن زيد بن حارثة..)(3).
فتجده لم يذكر أبا بكر وعمر في جملة من ثبت.
6 . (وكانت نسيبة بنت كعب تحثو في وجوه المنهزمين التراب، وتقول: أين تفرون؟ عن الله، وعن رسوله؟ ومر بها عمر، فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت؟!
فقال لها: هذا أمر الله(4).
7 . عن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أنه كان يحدث الناس عن يوم حنين، قال:

---

(1) أي في قوله تعالى: ((ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين)).
(2) البحار ج49 ص199 وعيون أخبار الرضا ج2 ص193.
(3) المعارف لابن قتيبة ص164. وعنه في البحار ج38 ص220 بواسطة المناقب ومناقب آل أبي طالب ج1 ص.
(4) تفسير القمي ج1 ص287 والبحار ج21 ص150.

(فر الناس جميعاً، وأعروا رسول الله(ص)، فلم يبق معه إلا سبعة نفر، من بني عبد المطلب: العباس، وابنه الفضل، وعلي، وأخوه عقيل، وأبو سفيان، وربيعة، ونوفل بنو الحارث بن عبد المطلب).
إلى أن قال: (التفت العباس يومئذٍ وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم، فلم ير علياً في من ثبت، فقال: شوهة بوهة، أفي مثل هذا الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله(ص)، وهو صاحب ما هو صاحبه؟ يعني المواطن المشهورة له.
فقلت: نقص قولك لابن أخيك يا أبة.
قال: ما ذاك يا فضل؟
قلت: أما تراه في الرعيل الأول؟ أما تراه في الرهج؟
قال: أشعره لي يا بني.
قلت: ذو كذا، ذو البردة.
قال: فما تلك البرقة؟
قلت: سيفه يزيّل به بين الأقران.
قال: برّ، إبن بر، فداه عم وخال.
قال: فضرب علي يومئذٍ أربعين مبارزاً كلهم يقدّه حتى أنفه وذكره. قال: وكانت ضرباته مبتكرة)(1).
8 . وقال اليعقوبي: (فانهزم المسلمون عن رسول الله(ص) حتى بقي في عشرة من بني هاشم. وقيل: تسعة. وهم: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وعتبة، ومعتب ابنا

أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب. وقيل: أيمن ابن أم أيمن)(2).

9 . (.. وفي رواية: لما فرّ الناس يوم حنين عن النبي(ص) لم يبق معه إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم، ورجل من غيرهم: علي بن أبي طالب، والعباس . وهما بين يديه . وأبو سفيان بن الحرث آخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر. ولا يقبل أحد من المشركين جهته إلا قتل)(3).

10 . وقال الطبرسي: (الذين ثبتوا مع رسول الله(ص) علي والعباس، في نفر من بني هاشم. عن الضحاك بن مزاحم)(4).

---

(1) البحار ج21 ص178 و.179

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص.62

(3) السيرة الحلبية ج3 ص109 والمواهب اللدنية ج1 ص.163

(4) مجمع البيان ج3 ص.17

11 . روي عن البراء بن عازب: (ولم يبق مع رسول الله(ص) إلا العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث)(1).

12 . وأخيراً.. فإن البعض يقول: (وانهزم المسلمون، فانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب، فقلت له: ما شأن الناس؟! قال: أمر الله.. ثم تراجع الناس إلى رسول الله(ص))(2).

13 . قال المجلسي: (إن الإمام الباقر (عليه السلام) قد احتج على الحروري: بأنهم (كانوا تسعة فقط: علي، وابو دجانة، وأيمن فبان أن أبا بكر لم يكن من المؤمنين)(3)

وخلاصة القول:

إن من يظهر نفسه للناس على أنه رجل علم وتحقيق، وأنه يلتزم خط أهل البيت.. وأنه يشترط الدليل اليقيني في كل ما عدا الحكم الشرعي ولا يكتفي بمطلق الحجة. لا يمكن أن يتحاشى مصادر الحديث والتاريخ التي ألفها علماء المذهب، والأمناء على هذا الدين، ويكتفي بما ذكره آخرون ممن يهتمون بالتسويق لمناوئي أهل البيت عليهم السلام، ويقدمه للناس على أنه هو الحقيقة الراهنة، التي تقبل بعجرها وبجرها.

818 . الإمام الصادق(ع) يقدم مخدته لمالك بن أنس ليجلس عليها

819 . الإمام الصادق(ع) يعرف قدراً لمالك بن أنس

820 . الإمام الصادق(ع) يفيض بمشاعر الحب لمالك بن أنس

821 . علم مالك وخلقه هما سبب حب الإمام(ع) له.

ويقول البعض، تحت عنوان:

"الإفاضة بمشاعر الحب:

ونكتفي بشهادة أحد أئمة المذاهب آنذاك، وهو "مالك بن أنس" الذي كان يجلس إلى الإمام الصادق(ع)، وكان يتحدث عنه فيقول:

---

(1) التفسير الكبير للرازي ج16 ص22 والكشاف ج2 ص259 والمواهب اللدنية ج1 ص163 عن البخاري في الصحيح وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج3 ص39.

(2) السيرة النبوية لابن كثير ج3 ص624 وراجع ص623 عن البخاري وبقية الجماعة إلا النسائي والمغازي للواقدي ج3 ص908.

(3) بحار الأنوار ج27 ص323.

كنت أدخل إلى الصادق جعفر بن محمد: فيقدم لي مخدته، ويعرف لي قدراً . لأن مالك بن أنس كان من فقهاء السنة، ومن أئمة مذاهبهم . ويقول: "يا مالك، إني أحبك"، فكنت أسر بذلك . حيث كان الإمام عليه السلام يفيض بمشاعر الحب، حتى للذي يختلف معه في الخط المذهبي، على أساس أنه يحب علمه وخلقه . وأحمد الله عليه"(1).

وقفة قصيرة:

إننا نسجل بعض النقاط، ونترك بعضها الآخر لافساح المجال أمام القارىء الكريم ليتلمس الحقيقة بنفسه، فنقول:

1ً . إن هذا البعض لا يقبل في غير الأحكام الشرعية بالخبر الواحد، ولا المستفيض بل يشترط القطع واليقين في التاريخ والتفسير، وفي مواصفات الأشخاص.. وفي كل شيء..

فهل هذا الخبر الذي ينقله لنا متواتر؟! أو قطعي؟! وكيف؟! ولا بد من حصول التواتر وتأكد اليقين في جميع مراتب السند وطبقاته.

2 . وتتأكد الشبهة والتهمة حول هذا الخبر إذا كان راوي الحديث يريد أن يثبت لنفسه فضلاً وامتيازاً، فإن شهادة الإنسان لنفسه غير مقبولة، كما هو معلوم، ولعله يريد من خلال ذلك أن يفتح نافذة على أصحاب الإمام لجذبهم إلى خطه..

3 . إن من الواضح: أن الإمام الصادق(ع) كان يعتبر مالكاً وغيره من أئمة المذاهب مخطئون في خطهم المذهبي، ولا شك في أنه عليه السلام كان قد أقام الحجة عليهم في إمامته.. ولكنهم قد أصروا على الخلاف؛ فهل يمكن بعد هذا كله أن يحبهم، أو أن "يفيض بمشاعر الحب" لهم.

4 . لنفترض صحة مقولة حبه عليه السلام لمالك بن أنس، فمن أين علم هذا البعض: أن حبه له كان لأجل علمه، ولأجل خلقه، فلعله أحبه لأجل موقف سياسي اتخذه أو لأجل حادثة جرت اتخذ فيها مالك

جانب الحق لأكثر من سبب.

---

(1) بينات بتاريخ 20 ربيع الأول 1421هـ/ الموافق 23 حزيران 2000م نص خطبة الجمعة.

5 . ومن الذي قال إن ما فعله أو قاله الإمام لو صح أنه فعله، أو قاله لم يأت على سبيل التقيّة والمداراة للسلطان وأعوانه، حيث كان مالك يعمل مع السلطان من دون أي تحفظ.

822 . خالد بن الوليد ولي شرعي لعمار وللمسلمين.

823 . تنزل الآية بإطاعة أولي الأمر في مورد معصيتهم لله.

824 . ولاية خالد هي في الدائرة الخاصة.

هناك رواية تتحدث عن شأن النزول لآية : { أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم.. } وهي تتحدث عن مشكلة نشأت بين خالد بن الوليد وعمار بن ياسر في بعض الغزوات التي كان خالد بن الوليد أميراً على السريّة فيها..

وقد ضعّف البعض هذه الرواية وردّها.. وقد أصاب في ذلك.. ولكنه عاد فاستدرك كلاماً آخر لا مجال لقبوله.. حيث قال البعض :

"ومع ذلك كله، فإن المسألة المطروحة في الخط العام صحيحة لأن المفروض أن خالداً، على تقدير صحّة الرواية . وهي ضعيفة . كان مكلفاً بالأمر القيادي من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما جعله ولياً شرعياً في هذه الدائرة الخاصة، فليس لأتباعة إلا الطاعة والخضوع له في أوامره ونواهيه المتصلة بحركة المسؤولية، فلا يجوز لهم الاستقلال عنه بأي عمل أو موقف، لأن معصيته معصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"(1).

وقفة قصيرة :

ونقول :

1 . إن هذا البعض اذا كان قد شكّك في صحّة الرواية، فكيف فرّع عليها هذه التفريعات، واعتبرها صحيحة في الخط العام.

2 . ان هذا البعض قد خلط بين أمرين:

أحدهما: لزوم تنفيذ الأمر.

والثاني: الولاية الشرعية في الدائرة المحدودة..

ومن الواضح: أن لزوم تنفيذ الأمر، لا يعني جعل الآمر ولياً شرعياً، فقد يكون ذلك الآمر كافراً، ومع ذلك يجب عليه تنفيذ أمره لكي تدفع الضرر عن نفسك، أو لتصل إلى مطلوبك أو تحفظ مصالحك من

خلاله..
فهل يصبح ذلك الكافر ولياً لك لمجرد أنه يجب عليك امتثال أوامره.

---

(1) من وحي القرآن ج7 ص 320.

وقد أمرك الله حين تستأذن على أحد وهو في بيته بالرجوع، فقال: ان قيل لكم ارجعوا فارجعوا، فهل يصير صاحب البيت ولياً لك بذلك
وكذلك الحال في كل موظف يريد تطبيق القانون، كقانون السير، وقانون الضمان، وقانون الأحوال الشخصية، والإحصاء، وما الى ذلك.
3 . قوله: "إن المسألة المطروحة في الخط العام صحيحة".
لا يمكن قبوله.. لأن الآية لا يمكن أن تنزل لتأمرهم باطاعة خالد باعتبار أنه ولي شرعي.. في الوقت الذي يطلب خالد منهم ما لا يحق له. بل هو يعصي الله في ذلك، فهل يمكن أن تأمرهم باطاعته في مورد يعصي الله فيه ؟! وقد جاء الحديث الصريح ليقول: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولو فرضنا انه لم يكن عاصياً بل كان جاهلاً بالحكم الشرعي، فهل تجب طاعته في مثل هذا المورد أيضاً .
فأن الرجل الذي أعطاه عمّار الامان قد كان من المسلمين فلا يصح أن يسبى ولا يحتاج إلى إجازة عمّار، ولا إجازة خالد، بل لا يحتاج حتى إلى أمان من أحد، وإنما أمر خالد بمحاربة الكفار وسبيهم.. فعمار لم يخطئ في توجيه الرجل للبقاء في موطنه. وخالد هو الذي اخطأ حينما أسر الرجل وأخذ ماله. وهو مسلم
واما لزوم أن تكون الإجازة والأمان بعلم الأمير.. فليس ثمة ما يثبته إلا ما يدّعيه خالد نفسه.. وإلا فإن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم، وأيما رجل من المسلمين أعطى لكافر أماناً ولو بإشارة منه، فان أمانه ماضٍ له. ولا يستطيع أحد أن يماري في ذلك..
825 . خير أمة أخرجت للناس نزلت في ابن مسعود.
826 . خير أمة أخرجت للناس نزلت في معاذ بن جبل.
827 . خير أمة أخرجت للناس نزلت في سالم مولى أبي حذيفة.
وفي مناسبة تفسير قوله تعالى: { كنتم خير أمة أخرجت للناس } يذكر البعض تحت عنوان: مناسبة النزول، ما يلي:

"جاء في أسباب النزول . للواحدي . قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وذلك أن مالك بن الضيف، ووهب بن يهوذا اليهوديين، قالا لهم: إن ديننا

خير مما تدعونا إليه، ونحن خير وأفضل منكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

أ . قد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام): أن هذه الآية قد نزلت في آل محمد (صلى الله عليه وآله) فراجع (2) فلماذا يتجاهل البعض هذه الروايات؟!

2 . إن معاذ بن جبل كما يقول سليم بن قيس: كان من الذين كتبوا الصحيفة في إزالة الإمامة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

وفي رجال البرقي في حديث يذكر فيه ان جمعاً أنكروا على أبي بكر تقدمه على علي (عليه السلام) (وسل عمر سيفه في الجمعة المقبلة، وقال: يضرب عنق من قال مثل مقالتهم. ثم مضى هو وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبو عبيدة شاهرين سيوفهم، حتى أخرجوا أبا بكر، وأصعدوه المنبر)(3).

كما أنهم يذكرون: أن معاذ بن جبل قد كان في جملة المهاجمين لبيت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)(4).

3 . أما بالنسبة لسالم مولى أبي حذيفة، فقد تقدم قولهم.. إنه قد سلّ سيفه وذهب مع عمر، واستخرج أبا بكر، وأصعده المنبر، وذلك لإسكات الأصوات التي ارتفعت بالإعتراض على خلافته..

كما أن بعض الروايات تقول: إن الإمام الصادق (ع) قال: إن آية: { وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر، ويقولون: إنه لمجنون } !!(5). قد نزلت فيه.

---

(1) من وحي القرآن ج6 ص212.

(2) راجع تفسير البرهان ج1ص309.

(3) راجع قاموس الرجال ج9 ص11 و12.

(4) مأساة الزهراء ج1ص226.

(5) سورة القلم، الآية 51.

على أن قول عمر: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لوليته، أو ما جعلتها شورى، يوضح مكانة هذا الرجل عند عمر: خصوصاً إذا علمنا مدى شدّة عمر في أمر الموالي، وكره قريش لهم.. ومع إجماعهم على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (الأئمة من قريش).

وروي أنه هاجر مع عمر، بل قيل: إن النبي (ص) آخى بينه وبين أبي بكر(1).

4 . وأما بالنسبة لابن مسعود: فقد قالوا: إن الفضل بن شاذان قال عنه: إنه (خلط، ووالى القوم، ومال معهم، وقال بهم)(2).

وقد جاءت من اليمن أو مكة صحيفة فيها أحاديث حسان في اهل البيت (ع) إلى عبد الله بن مسعود، فدعا بطست فيه ماء، فمحاها(3).

وقد تكلم التستري في كتابه: قاموس الرجال ج 6 ص136 . 142 بصورة مسهبة عن أمر ابن مسعود، ولم يرفض ما ذكروه في مدحه، وردّه، وفنّده، فراجع.

828 . طبيعة التشريع لا تمنع من وجود سلبيات مع الإيجابيات.

829 . الإعتراف بسلبيات التشريع قوة لنا ومأزق للآخرين..

830 . الدعاة يحرجون حين يجدون صحة نقد الكافرين للتشريعات أو المفاهيم الإسلامية.

831 . ليس هناك فعل يكون خيراً كله.

832 . ليس هناك خير لا شرّ فيه.

833 . لا بد من السلبيات على كل حال.

834 . لا يوجد شر لا خير فيه.

835 . اعترافنا بوجود سلبيات في التشريع لا يسقطه.

836 . اعترافنا بالسلبيات في المفهوم الإسلامي لا يسقطه.

837 . إذا تحدثنا عن السلبيات في التشريع نتفادى الكثير من المآزق.

838 . اعترافنا بالسلبيات نتفادى به ضعف الموقف.

يقول البعض:

---

(1) راجع : قاموس الرجال ج4 ص298.

(2) راجع قاموس والرجال ج6 ص136-142.

(3) تقييد العلم ص 54 والسنة قبل التدوين ص312 وراجع : غريب الحديث لابن سلاّم ج4 ص48 وليس فيه : ان الأحاديث في أهل البيت (ع).

و" هذه الآية توحي بفكرة عامة، وهي أنه ليس هناك إيجاب مطلق أو سلب مطلق في الحياة، لأن كل ما في الكون من موجودات وأفعال هو محدود بحدوده الذاتية والزمانية والمكانية. والله . وحده . هو المطلق، لذلك ليس هناك خير لا شر فيه، ولا شر لا خير فيه فقد يختزن الخير بعض الشر في ذاته، وقد يختزن الشر بعض الخير في مورده، لأن طبيعة الحدود تفرض ذلك ؛ فتكون خيرية الشيء برجحان جانب الخير فيه كما تكون غلبة الشر برجحان جانب الشر فيه، ولا قيمة للعنصر المغلوب أو الضعيف هنا في مسألة التشريع.

إن هذه النقطة لا بد من التركيز عليها في ما و اجهه المسلمون من النقد، الذي قد يوجهه الكافرون من

إثارة النقاط السلبية في بعض المفاهيم أو التشريعات الإسلامية، مما قد يجعل الدعاة والمبلغين في موقف حرج شديد الصعوبة، عندما يجدون صحّة هذا النقد في واقع الإسلام في مفاهيمه وأحكامه، ولكننا . أمام الملاحظة المذكورة نجد أن اعترافنا بوجود السلبيات في التشريع أو في المفهوم الإسلامي، لا يعني سقوط التشريع أو خطأ المفهوم، لأن ذلك يمثّل واقع الحياة في كل حقائقها الفكرية أو العملية ؛ ولذلك فإن علينا مواجهة المسألة بالحديث عن الإيجابيات الكامنة في داخل الحقيقة الإسلامية، مع غلبة هذا الجانب الإيجابي السلبي. وبهذا نتفادى الكثير من المآزق الجدلية ومن ضعف الموقف، لنحوله إلى مأزق للآخرين، وإلى موقع قوة يرتكز على النظرة العلمية الموضوعية للأشياء والمواقف"(1).

ويقول:

---

(1) من وحي القرآن ج4ص229.

"لا بد أن نشير في هذا المجال الى أن طبيعة التشريع لا تمنع من وجود سلبيات إلىجانب الايجابيات، لأنه ليس هناك فعل يكون خيراً كله، أو شراً كله، بل هناك خير يصاحب بعض الشر أو شر يصاحب بعض الخير. مما يجعل القضية في جانب الوجوب أو الحليّة خاضعة لزيادة جانب الخير على جانب الشر. أما في طرف التحريم، فيخضع للعكس وهو غلبة جانب الشر على جانب الخير.. فلا بد من السلبيات على كل حال، ولكنها تختلف شدّة وضعفاً وزيادةً ونقيصة، تبعا لطبيعة الموضوع في أجواء التشريع"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول:

1. إن هذا البعض يقول: إنه لا يوجد شر لا خير فيه.. فهل تراه يجد في قتل الانبياء، وفي الشرك والكفر، وقطيعة الرحم.. وفي الظلم وهو الذي لا شك في قبحة الذاتي، وما إلى ذلك.. هل يجد في ذلك كله شيئاً من الخير؟!

وهل يجد في الايمان بالله، وفي عبادته تعالى، وفي الصلاة، وانقاذ الغريق. ومعونة الضعفاء ونشر دين الله، وتوحيد الله، وما إلى ذلك.. هل يجد في ذلك أثراً للشر ؟!

وأي شر يجده هذا البعض في حب الله، وفي طاعته، والالتزام بأوامره، والإنزجار بزواجره؟!.

وفي حب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفي طاعة الرسول، وفي الوصي، والإمام، وفي طاعة الوصي والإمام.. وفي حب الحق والالتزام به.

2 . إن ظاهر كلام هذا البعض يعطينا: أن الدافع له إلى إطلاق هذه المقولات هو أن الدعاة والمبلغين . على حد تعبيره . يجدون أنفسهم في موقف حرج شديد الصعوبة.. حين يعجزون عن الإجابة على النقد

الموجه إلى الإسلام في مفاهيمه، واحكامه..

---

(1) من وحي القرآن الطبعة الأولى . ج 5 ص 116 و 117.

فكانت هذه المقولات التي أطلقها هذا البعض هنا وهناك بمثابة إعلان الإستسلام، والعجز عن الإجابة على شبهات الكافرين والملحدين.. ولكن هذا البعض لا يريد أن يدفع من جيبه ولا من جيب بعض المبلغين والدعاة فاتورة قصورهم، وجهلهم، وعجزهم هذا.. فغدوا على الإسلام نفسه ليدفعوا هذه الفاتورة من جيب الإسلام، وليتحمل الإسلام هذه الخسارة العظمى لكي تحفظ شخصية ذلك المبلّغ و الدّاعية العاجز والضعيف، ويبقى لها لمعانها ووهجها.. وتألقها.. وذلك حين يتفادى الكثير من المآزق الجدلية وضعف الموقف!! ويحوّله الى مؤ ق للآخرين!!..

يا سبحان الله!! ما هذه الدعوى يا هؤلاء الدعاة

3 . إن قول هذا البعض: "لا بد من السلبيات على كل حال.." وقوله: "ليس هناك فعل يكون خيراً كله أو شراً كله.. الخ.." نفي قاطع وشامل.. ومن الطبيعي أن هذا النفي يحتاج الى دليل. كما أن الإثبات . إثبات السلبيات على كل حال . يحتاج الى دليل.. وفقاً لما قرره هذا البعض نفسه، وقد أشر نا إليه أكثر من مرة..

ولم يثبت لدينا بعد، بأن الله سبحانه قد أطلعه على غيبه، لكي نقبل منه هذا النفي وذلك الإثبات بمجرد دعواه. ودون أن يقدم لنا أي دليل على ما يقول. وأنّى له ذلك.

الفصل الثالث:

الدفاع عن أعداء الله

يقول البعض: أسعى لاقتحام المسلمات

بداية:

إننا سنورد في هذا الفصل مجرّد عيّنات عن دفاع هذا البعض عن اعداء الله وعن المرتدين، الذين اعلنوا بسب الإسلام، وهتك حرماته، وتحقير مقدساته..، وذلك بصورة صريحة تارة، ومبطنة أخرى. ومن أراد المزيد، فسيجده في مواضع كثيرة من كتب هذا البعض ونشراته، ومحاضراته.. فنقول:

839 . مصادرة كتب الضلال لا تحقّق النتائج المرجوّة

840 . مصادرة الكتب ومهاجمة الكاتب.. تجعل لهما شعبية وتأييداً.

841 . لو أخذت كتب الضلال طريقها بسلام قد لا تحدث لها هذه الشعبية.
842 . ربما كانت مصادرة الكتب في الماضي تقوّي الحق وتضعف الباطل.

843 . التصدّي للكتب اليوم يقوّي الباطل، ويضعف الحق.
844 . كلما أهملت كتاب الضلال أكثر كلما فقد قوته أكثر.
845 . أعط الحرية للباطل تحجّمه.
846 . أعط الحرية للضلال تحاصرها.
847 . الباطل اذا ظهر فقد يقبله الآخرون وقد لا يقبلونه.
848 . إذا اضطهد الباطل ولاحقت من يلتزم به، فسياخذ معنى الشهادة.
849 . إضطهاد الباطل يجعله الفكر الشهيد.
850 . نحن نعطي الباطل قوّته إذا منعناه حريته.
851 . إذا اعطيناه الحرية وناقشناه فسينكمش
852 . علماء دين ومثقفون يحبّون الراحة في الحوار فيمارسون قمع الفكر الآخر من الحوار .
يقول البعض:

"أعطِ الحريّة للباطل تحجّمه، وأعط الحريّة للضلال تحاصرها، لأن الباطل عندما يتحرك في ساحة من الساحات، هناك أكثر من فكرٍ يواجهه، ولا يفرض نفسَه على المشاعر الحميمة للنّاس، يكون فكراً مجرّد فكر، قد يقبله الآخرون، وقد لا يقبلونه، ولكن إذا اضطهدته، ومنعت الناس من أن يقرأوه، ولاحقت الذين يلتزمونه بشكلٍ أو بآخر، فإنّ معنى ذلك، أنّ الباطل سوف يأخذ معنى الشهادة، وسيكون (الفكر الشهيد) الذي لا يحمل أية قداسةٍ للشهادة، لأنّ الناس تتعاطف مع المُضطَهدين، لا الناس المُضطهِدين، حتى مع الفكر المضطّهد، مع الحبّ المضطهد، ومع العاطفة المضطهدة، لذلك نحن نعطي الباطل قوّته، عندما نمنعه حريّته، ولكنّنا عندما نعطيه الحرية، ثم نأخذ حريتنا في مناقشته بالأساليب العلميّة الموضوعيّة، فإنه إذا لم يبتعد عن الساحة تماماً، سينكمش وسيأخذ مكاناً صغيراً له في الساحة.. بعضُ الناس سواءً كانوا سياسيين، أم كانوا علماء دين، أم كانوا مثقفين، لا يُحبّون أن يتعبوا في مواجهة الفكر الآخر، ولذلك فإنّهم يحبون أن يقمعوا الفكر الآخر ليرتاحوا من الجدل والمجادلين، ومن الحوار والمحاورين بعض الناس لا يحبّون أن يدخلوا في مواقع الحوار، ولذلك فإنّهم يضطهدونك لأنّهم لا يريدون أن يتعبوا في مناقشتك"(1).
وسئل البعض:
تقوم بعض المراكز الدينيّة الرسمية في العالم العربي والإسلامي بمصادرة بعض الكتب التي تعتبر أنّ

مضامينها تحمل شيئاً من التحدّي للإسلام، ألا تعتقدون أنَّ أعمالاً كهذه تصنع من أفكار هؤلاء (أفكار شهداء) يتعاطف الجمهور معها؟
فأجاب:

---

(1) للإنسان والحياة ص62.

"نحن قد نتفق مع هذه المراكز الدينية الرسميّة وقد نختلف معها في تقويم أنَّ هذا الكتاب أو غيره مخالفٌ للإسلام أو غير مخالف. ولكننا لا نعتقد إن مصادرة هذه الكتب يمكن أن تحقّق النتائج التي يريدها هؤلاء ويعتقدون أنّ من واجبهم المحافظة على الإسلام، بمصادرة هذه الكتب التي تتحدث عن الإسلام بشكلٍ سلبيّ، عن عقيدته وشريعته ومقدساته، لأننا بحسب التجربة، رأينا أنَّ مصادرة الكتب ومهاجمة الكتّاب تجعل شعبية للكتاب المصادر، وشعبيّة وتأييداً للكاتب، قد لا تحدث هذه الشعبيّة فيما لو أخذت هذه الكتب طريقها بسلام..
نحن نقول، ربّما كان الواقع السياسي والثقافي في الماضي يجعل من مصادرة الكتاب أو منعه من الإنتشار وسيلة من وسائل تقوية الحق وإضعاف الباطل.. أما الآن فإن الوقوف ضد الكتب يقوّي الباطل ويضعف الحق، لأن القوى المعادية تعلن معركة الحريات في الوقت الذي لا تستطيع هذه المراكز الدينية مواجهتها.
وعلى هذا فكلما أهملت الكتاب الذي يواجهك أكثر كلما فقد قوته أكثر، وكلما حاربته أكثر كلما أخذ قوة من قوى الإستكبار في العالم، حيث صار الحديث عن الكاتب والكتاب، بأن الكاتب بطل الحرية والكتاب كتاب الحريات، في الوقت الذي لا يمثل الاثنان معاً شيئاً لا في معنى الحرية ولا في معنى البطولة.
لا نعتقد أن مصادرة الكتب تحقق النتائج التي يريدها من يرون أن من واجبهم المحافظة على الإسلام"(1).
وقفة قصيرة:
ونقول:
1 . إذا كان إعطاء الحريّة للباطل من موجبات تحجيمه، واعطاء الحرية للضلال من موجبات محاصرته، فلماذا شرّع الله النهي عن المنكر؟! فليعط للمنكر حريته فإنه يحاصره ويحجّمه. أليس الباطل والضلال من جملة المنكرات؟!.
2 . وإذا صح هذا، فلا بد ان يصح العكس، فيقال: إذا سلبت حرية الهدى فانه ينتشر، وإذا سلبت حرية الحق، فانه ينطلق ويكبر؟!

(1) بينات، الجزء الاول ص287و288.

والدليل على ذلك قوله: "أما الآن فان الوقوف ضد الكتب (أي كتب الضلال والإنحراف) يقوي الباطل، ويضعف الحق". وقوله: "لذلك نحن نعطي الباطل قوته عندما نمنعه حريته".

3 . وإذا صح قول هذا البعض "كلما أهملت الكتاب الذي يواجهك أكثر كلما فقد قوته أكثر، وكلما حاربته أكثر، كلما أخذ قوة من قوى الإستكبار في العالم، حيث صار الحديث عن الكاتب والكتاب، بأن الكاتب بطل الحرية، والكتاب كتاب الحريات".

نعم، إذا صح قوله هذا.. فان فتوى آية الله العظمى السيد الخميني قدس سره في حق سليمان رشدي تصبح بلا مبرر..

بل إن هذه الفتوى تصبح جريمة كبرى، لا بد من معاقبة من أصدرها رضوان الله تعالى عليه، لأنه تسبب، بتقوية كتاب "آيات شيطانية"، وجعل منه كتاب "الحرّيات"، ومن سلمان رشدي بالذات "بطل الحرية" على حد تعبير هذا البعض!!.

4 . إن هذا البعض يريد أن يفسح المجال للكتب التي تتحدث عن الإسلام، وعن عقيدته وشريعته ومقدساته بشكل سلبي، حتى لو كانت تتضمن سبّ النبي (ص)، ونسبة الخنا والدعارة . والعياذ بالله . إلى بيت النبوة والرسالة والامامة.

نعم، إنه يريد لهذه الكتب أن تأخذ طريقها بسلام . على حدّ تعبير هذا البعض . رغم أن الحكم الإسلامي في من سبّ رسول الله (ص) هو القتل..

وذلك استناداً منه إلى استحسانات عقلية لم يقم لها الإسلام وزناً، حينما فرض محاصرة الباطل، واضطهاد المنكر، ومنعه ورفضه باليد، وباللسان وبالقلب وهو أضعف الإيمان.

5 . وقد اعترف هذا البعض فيما نقلناه عنه آنفاً بأنك حين تعطي للضلال وللباطل حريته، فانه يكون مجرد فكر قد يقبله الآخرون.. وقد لا يقبلونه.. وسؤالنا هو:

ماذا لو قبل الآخرون هذا الفكر، واختاروا طريق الضلال؟!

فهل يرضى الله تعالى بإفساح المجال للضلال إلى أن يقبله الآخرون؟!

وهل الخطة الإلهية هي إفساح المجال للضلال لينتشر، ثم يقوم بمقاومته بعد ذلك.. أم أن اللازم هو وأده وهو في مهده؟!.

إنه إذا صح ذلك.. فلماذا لا يكون الأنبياء دعاةً للضلال أولاً، وممن يسهم في نشره، ثم بعد ذلك يوجد المناخ المناسب لبذل الجهد، وللجدل وللمجادلين.. وذلك لكي لا يصبح الضلال شهيداً.. ويكون فكره

"الفكر الشهيد" على حد تعبير هذا البعض؟!!

6 . ولم نستطع أن ندرك سرّ حكمه الذي اطلقه حين قال: إن الضلال والباطل "لا يفرض نفسه على المشاعر الحميمة".. في حين أننا نرى باستمرار أن الكثيرين من دعاة الضلال يصبحون من أشد الناس تعلقاً بضلالهم، وهم يضحون من أجله بكل غال ونفيس، ويقدمون أنفسهم قرابين له، بملء إرادتهم، وعن سابق معرفة وتصميم.. وكم رأينا مشاهد حتى على شاشات التلفاز تقشعرّ لها الأبدان من دقّ المسامير في الأكف وفي الأرجل، من أجل التعبير عن المشاعر الحميمة تجاه فكرٍ يصرّح هذا البعض نفسه بأنه فكر باطل على أقل تقدير..

ويقول البعض:

عمن ينكر نبوّة داود وسليمان (عليهما السلام)، ويستدل على أن نبي الله يوسف لم يكن أميناً على عرض مولاه، ويقول عن نبي الله داود: كان لوطياً مفضوحاً . يقول . ما يلي:

853 . ان هذه دراسات من قِبَل أناس مثقفين.

854 . ان هؤلاء الدارسين قد اخطأوا في آلية الدراسة، حيث توجهوا إلى التوراة المحرّفة.

855 . انهم باحثون يجهلون ما يقوله القرآن عن الأنبياء.

856 . لو رجعوا إلى القرآن لعرفوا: انه يبيّن عصمة الأنبياء وصفاءهم وإخلاصهم لله.

857 . كلامه يعنى: أن عصمة الأنبياء تحتاج إلى بيان قرآني.

858 . لا مصلحة في التصدي لهؤلاء الناس، لأن ذلك يستغل ممن لا يعي النتائج السلبية.

859 . قصة زواج الأخوة بالأخوات من أبناء آدم تمنع من مصادرة القضية الفلسطينية ومن قتل المسلمين.

860 . لا مصلحة في التصدّي لمن يسبّ الإنبياء لأن الإستكبار يستغل ذلك.

861 . لا مصلحة في التصدّي.. لأن الاستعمار يصادر القضية الفلسطينية.

862 . لا مصلحة في التصدّي.. لأن الاستعمار يقتل المسلمين.

وتوضيح ما جرى نوجزه فيما يلي:

نشرت جريدة السفير اللبنانية مقالاً لسفير لبناني سابق، يتناول فيه الضجة التي أثيرت حول المغنّي مارسيل خليفة، لتلحينه بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن النبي يوسف (عليه السلام).. فكان مما كتبه ما يلي:

"إنه حَوّلَ إسطورة بكائية توراتية إلى (قضية) أعمى بها بصائر اللبنانيين وأبصارهم وحولهم إلى يعقوب جديد إبيضت عيناه، وانطفأ نورهما لكثرة ما أذرف من الدمع على فراق إبنه يوسف، كما جاء في (الكتب المقدسة). وفي شعر محمود درويش!..

فإذا بالغيارى على الدين يتنادون لمجابهة هذا الخطر الداهم الذي يقوّض إيماننا وقيمنا الروحية وإذ بمثقفينا (يطرحون الصوت) للإعتصام في نقابة الصحافة من أجل الدفاع عن (الحرية) و(الديموقراطية) و(حقوق الإنسان) لمواجهة هذه (الأصولية) الزاحفة علينا من غياهب القرون الوسطى.

أحبّ أن أصارح القارئ انني لست من المعجبين بمارسيل خليفة ولا بموسيقاه ولا بصوته. فقد أتيح لي ان أستمع الى بعض أغنياته وكنت كلما سمعتها أكاد أصاب بالغيثان، فأغانيه عبارة عن مقطوعات رَتيبة ذات نمط واحد لا يتغير وتكاد لا تصلح إلا لمناسبات البكاء والنواح كعاشوراء في (الحسينيات) أو (أسبوع الآلام) في الكنائس.

ولكن القضية ليست هنا.

القضية هي التذرّع بالكتب المقدسة كلما تعلق الامر بالإبداع والتجديد والخروج على ما وضعه (السلف الصالح) من قوالب جامدة وأحكام ثابتة لا تحول ولا تزول وإرغام الناس على التقيد بها وتنصيب رجال الدين أنفسهم حرّاساً عليها وحماة لها.

فمن أعطاهم هذا الحق؟

وفي الموضوع الذي نحن بصدده من أعطى الجهات الدينية الحق في أن تحكم و(تفتى) بجواز هذا الأمر أو عدم جوازه؟

فالذين أقاموا القيامة على مارسيل خليفة ولم يقعدوها وأوصلوها حتى إلى القضاء، حجتهم في ذلك أن (أغنية يوسف) قد ورد في القرآن ذكرها وانه لا يجوز التغني بالآيات القرآنية. مع أن الآية الرابعة من سورة المزمل تنص: { ورتل القرآن ترتيلاً } . والترتيل القرآني قد فسّر تفاسير عديدة. منها مثلاً انه إذا قرأت القرآن فاقرأه بصوت منخفض أو إذا قرأته فاقرأه بكلمات واضحة وبطيئة. ومنها أيضاً ان تقرأه بصوت مختلف عن القراءة العادية بحيث يكون له وقع مختلف في أذني المستمع وفي عقله. ومنها أيضاً أن تقرأه بصوت رخيم. وقد ورد في قاموس (المنجد) أن الترتيل. إذا كان يقصد قراءة القرآن، فذلك يعني أن تقرأه بتأنق في تلاوته. أما عند المسيحيين فترتيل الصلاة يعني أن تتلوها ملحّنة".

ثم يقول:

"والآن من هو هذا اليوسف، الذي يكاد يصبح الشغل الشاغل للبنانيين في هذه الأيام؟!

تخبرنا التوراة تفصيلاً والقرآن لماماً أن يوسف هذا كان احد أبناء يعقوب الملقب بإسرائيل (لأنه حسب الرواية التوراتية أسر الله الذي تبدّى له بصورة إنسان طرحه أرضاً ولم يطلق سراحه إلا بعد أن باركه وأصبح منذ ذلك الحين يدعى إسرائيل أي (أسر الرب) وذهب مع قافلة إلى مصر وهناك أصبح حارساً لأمراء القمح لدى الفرعون وان إمرأة هذا الأخير تعلّقت. به { وهمّت به وهمّ بها } . كما ورد في القرآن }الآية 24من سورة يوسف{ مما يدل على أنه لم يكن أميناً على عرض مولاه، الذي محضه ثقته. وهو

السبط الثاني عشر ليعقوب جد بني إسرائيل الرابضين على حدودنا الجنوبية.
فهل أصبحت مهمتنا الدفاع عن هؤلاء الأسباط وإطراء فواحشهم؟!
إنه لأمر غريب والله. والأغرب منه ان الإسرائيليين وفقاً لتوراتهم يسمّون داوود وسليمان ملوكاً (التوراة . سفر الملوك) بينما نحن نقدسهم ونرفعهم إلى مصافّ (الأنبياء)!

بل إن إبنة موشي دايان . النائبة عن حزب العمل الإسرائيلي . لم تتورع عن الدخول في اشتباك سياسي مع مناحيم بيغن، عندما راح هذا يتغنى بداود فما كان منها ألا أن صرخت في وجهه: "ومن يكون داوود هذا الذي تفتخرون بالإنتساب إليه ألم يكن (لوطياً) مفضوحاً"؟!
ونحن ألم يئن الأوان بعد لإعادة النظر في كل هذه المفاهيم المسمومة التي أدخلتها الصهيونية إلى عقولنا والتخلّص منها كما تخلّص من ترّهاتها بعض اليهود العلمانيين.. أنفسهم؟!
لذلك فاني أقترح على القاضي الذي سوف ينظر بقضية مارسيل خليفة في الأيام القليلة المقبلة أن يصرف النظر عن السير في هذه الدعوى وأن يطوي ملفها ويعتبرها غير ذات موضوع"(1) .
وقد وفق الله المخلصين للقيام بمجهود كبير في سبيل الدفاع عن هذا الدين، وإدانة هذه الجرأة، وقد صدرت بيانات من جهات عديدة، وصدر بيان وقعه أكثر من مئة عالم من علماء الشيعة وكتبت مقالات كثيرة جداً تعدّ بالعشرات، وعلّقت لافتات عديدة في بيروت وضواحيها، كتبت عليها عبارات إدانة للجرأة على مقام الأنبياء عليهم السلام.
وقاموا وفقهم الله بأداء بعض الواجب في هذا المجال.. وإذ بنا نفاجأ بموقف لهذا البعض غريب وعجيب، نقلته عنه جريدة السفير في يوم الخميس الواقع في 1999/11/4، ثم أعاد الحديث عنه مرّة أخرى في إذاعة البشائر . صوت الايمان . وهي إذاعة محلية تابعة له.. في ليلة الخميس الواقع في 1999/11/10م.
والذي نشرته عنه جريدة السفير هو التالي:
"فضل الله يستنكر الإساءة للمقدسات.
إستنكر السيد محمد حسين فضل الله في درس التفسير أمس أية إساءة للمقدسات. وقال: إن مشكلة بعض المثقفين العلمانيين أنهم يدرسون الأنبياء من خلال ما هو موجود في التوراة التي بين أيدي الناس وهي محرّفة.

---

(1) السفير، الثلاثاء 26 تشرين الأول 1999 – العدد 8435، والمقالة هي للمدعو: مصطفى الزين، وهو سفير لبناني سابق.

واضاف: إننا نقول لهؤلاء المثقفين . لاسيما أن بعضهم من المسلمين . عليكم الرجوع إلى القرآن لمعرفة ان الله تعالى تحدث عن كل هؤلاء الأنبياء الذين ذكروهم بطريقة سلبية بالطريقة التي بيّن فيها عصمتهم وصفاءهم وإخلاصهم لله.

كما أننا لا نجد هناك أية مصلحة لإيجاد حالة من الإثارة فوق العادة لمثل هذه الأمور، لأنها تستغل من قبل جهات لا تريد بالإسلام خيراً أو جهات لا تعي النتائج السلبية من خلال إشغال الواقع الإجتماعي بمثل هذه الأمور. إننا اذ نستنكر أية أساءة للمقدسات لكن علينا أن ندرس الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تمرّ به الأمة الإسلامية، لا سيما في مثل هذه الظروف الصعبة التي يقف فيها الإستكبار العالمي بكل مواقعه ومحاوره ليقتل المسلمين هنا وهناك، وليصادر القضية الفلسطينية" إنتهى.

وقفة قصيرة:

ونقول:

إننا نلاحظ على هذا الكلام، وعلى ما أورده هذا البعض نفسه في إذاعته المحلية ما يلي:

1 . إن هذا البعض قد اعتبر اقوال السفير اللبناني السابق السالفة الذكر وأمثاله من "المثقفين"(1) . على حدّ تعبيره . اعتبرها "دراسة للأنبياء" ولكن من خلال ما هو موجود في التوراة.. مع أنها لا تعدو عن كونها مجرّد إساءات، وتجريح، وإهانات للمقدسات، وتكذيب لنص القرآن، ولحقائق الدين ممن يدعي الإسلام وينسب نفسه الى التشيع.. (فهل يصح أن يقال لمثل هذه الترّهات بأنها "دراسة" على حد تعبير هذا البعض؟!

---

(1) لكنه يقول عن النبي الأعظم (ص) أنه لم يكن مثقفاً بالديانات السابقة وتاريخ الأنبياء حسبما تقدم في هذا الكتاب.

2 . إنه قد اعتبرها دراسة للموضوع من خلال التوراة، وأن الدارس لم يرجع إلى القرآن، مع أن الأمر ليس كذلك فإن كاتب هذه المقالة المنشورة قد اعتمد على القرآن أكثر مما اعتمد على التوراة، حيث نجده قد استدل ببعض آياته محدداً السور وأرقام تلك الآيات فيها، ومتتبعاً للنصوص التفسيرية لها.. حتى انتهى الى كتب اللغة أيضاً.. بل هو يشير إلى حجم التعرض لقصّة يوسف في القرآن والتوراة فيقول: "تخبرنا التوراة تفصيلاً والقرآن لماماً أن يوسف هذا الخ".

3 . إن المفهوم من كلام هذا البعض: أنه يقدم العذر لأولئك "المثقفين"؛ حيث إنهم وفق البيان الذي قدّمه قد اجتهدوا فأخطأوا، لأنهم قد درسوا الأنبياء من خلال التوراة فقط.

ولذلك فاننا نجده قد أرشدهم وأمرهم بالرجوع إلى القرآن، لمعرفة أن الله تعالى قد تحدث من هؤلاء الأنبياء بالطريقة التي تبين عصمتهم وصفائهم وإخلاصهم لله حتى تكون دراستهم للأنبياء مستوفية لشروط

الصحة..

اذن.. فهؤلاء "المثقفون" لم يعرفوا الحقيقة، لأن الحقيقة موجودة في القرآن، وهم لم يرجعوا إليه، ولم يطلعوا عليه، ليعرفوها.. فأخطأوا في دراستهم!!.. وفي اجتهادهم.. فهل يقتنعون بأجر واحدٍ، وفقاً للقاعدة التي أخذها هذا البعض من مصادر غير الشيعة، والتي تقول: إن المجتهد إذا أصاب، فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد!!(1).

4 . هل أن ما نقله هؤلاء المثقفون . على حد تعبيره . كشاهد مقبول ومرضي عندهم عن إبنة موشى دايان عن أن نبي الله داود عليه السلام كان . والعياذ بالله . لوطياً مفضوحاً . هل إن ما نقلوه كان نتيجة دراسة لأقوال هذه المرأة الخبيثة؟!. والحاقدة؟.

---

(1) راجع كتابنا: مأساة الزهراء ج1 ص139 و140.

وهل أصبحت إبنة موشى دايان من مصادر الدراسة والتوثيق للحقائق. الى درجة أن كلامها يرسل إرسال المسلّمات، ويستشهد به . المثقفون!! . في البحوث والدراسات؟! ولنفترض أن التوراة نفسها تنسب هذا الأمر الشنيع إلى داود، فهل يجوز لذلك الذي درس الأنبياء من خلال التوراة أن ينسب ذلك إلى هذا النبي العظيم أيضاً. ويرسله إرسال المسلّمات!!.

5 . وحين انتهى هذا البعض إلى الحديث عما قام به المخلصون الغيارى من التصدّي لذلك الأثيم، السابّ للأنبياء، نجده يقول:

"إنه لا يجد أية مصلحة لايجاد حالة من الاثارة فوق العادة لمثل هذه الأمور، لأنها تستغل من قبل جهات لا تريد بالإسلام خيراً، أو جهات لا تعي النتائج السلبية من خلال إشغال الواقع الاجتماعي والسياسي، لأن الإستكبار يقف ليقتل المسلمين هنا وهناك، وليصادر القضية الفلسطينية؟

ولكنه هو نفسه قد تحدث في خطبة صلاة الجمعة في نفس ذلك الأسبوع العصيب عن زواج الإخوة بالأخوات من بنات آدم عليه السلام، وتكاثر البشر من خلال ذلك، فهل قصة زواج الإخوة بالأخوات من أبناء آدم(ع)، وتكاثر البشر بهذه الطرية أهم، وأولى من القضية الفلسطينية؟ وأهم وأولى من الدفاع عن أنبياء الله، وعن القرآن والإسلام؟!.

وهل إشغال الساحة الإسلامية بمسائل زواج الإخوة بالأخوات، كما دأب البعض على ترويج ذلك في السنوات الأخيرة . وما ندري ماذا يقصد من وراء هذا الترويج . هل إن ذلك يمنع قوى الإستكبار من قتل المسلمين، ومن مصادرة القضية الفلسطينية؟!.

ولا ندري كيف ثبت عند هذا البعض: أن التناسل قد كان عن طريق زواج الإخوة بالأخوات، وهو الذي يشترط الثبوت القطعي واليقيني للحوادث التاريخية ولا يكفي مطلق الحجة.

وكيف حصل لهذا البعض هذا القطع واليقين، مع وجود روايات تصرح بإنكار الأئمة الأطهار لهذا الأمر الخطير، الذي يوجب الطعن بطهارة مولدهم . حينما أشارت إليه تلك الروايات(1). ومع أن روايات إثبات ذلك موافقة لما عند غير شيعة أهل البيت (عليهم السلام)..

6 . ويتلخص موقف هذا البعض من قضية سبّ الأنبياء على صفحات الجرائد بإيجاد العذر المقبول والمعقول . بنظره طبعاً . لمن فعل ذلك.. والتشكيك بل وإدانة من تصدّى لردّ التعدّي، والدفاع عن ساحة قدس القرآن والأنبياء والأصفياء..

وقد رأينا أنه حين وجه لهذا البعض نقد علمي صحيح لم يحمل أية إساءة لشخصه قد أقام الدنيا ولم يقعدها بعد على أساس ان في هذا إسقاط للرمز!! فماذا تراه سيفعل لو أن بعض الإهانات التي وجهها هؤلاء "المثقفون" للأنبياء. أو بعض ما وجهه هو نفسه إلى الأنبياء . قد وجَّه إليه هو شخصياً. نعم، مإذا سيفعل؟ وكيف سيكون موقفه؟

7 . إن هذا البعض نفسه يقول: إن التحريف للتوراة قد نال معانيها، وأما تحريفات ألفاظها فكانت جزئية وطفيفة(2).

فإذا صح ذلك، فلماذا يردع ذلك "المثقف" عن الاعتماد على التوراة ويطلب منه الرجوع إلى القرآن؟!، وهل يصح ردعه عن دراسة كلام الله والاستفادة منه؟!، ثم .. وتسويق المعاني التي يتوصل اليها؟! خصوصاً إذا كان ذلك الرجل مثقفاً قادراً على ممارسة البحث والدراسة!! فليسمح له بالإعتماد على التوراة إذن، فإنها لم تحرّف الا تحريفات جزئية . حسب زعمه . إذا كان قادراً على فهم معانيها بصورة سليمة، ومن دون تأثر بإلقاءات من يريدون حرف معانيها عن مسارها الطبيعي. إذ من الواضح أن مجرّد تحريفات جزئية وطفيفة لألفاظها لا تؤدي الى نتائج خطيرة. وهل النتائج التي انتهى إليها كاتب المقال في جريدة السفير ليس لها هذا الخطر؟!

---

(1) راجع كتاب: العلل للصدوق ص17.

(2) راجع: من وحي القرآن ج5 ص212 وراجع كتاب: لهذا كانت المواجهة ص126 و 127.

8 . إن من الواضح: ان معنى كلام هذا البعض هو: أن التصدّي لدراسة الأنبياء من خلال التوراة ليس فيه أية إساءة، ولا مجال لإدانة من يتصدّى إلى ذلك، لا سيما إذا كان من "المثقفين" وكان أميناً في نقل مضامينها، فإن كان ثمة من إساءة ومن سلبية فإنما منشؤها من التوراة نفسها..

9 . المفروض ان هذا البعض يعلم: ان قضية طهارة الأنبياء وعصمتهم عن فعل القبيح، لا تحتاج إلى النص الديني، والى الخبر الشرعي، سواء أكان من التوراة، أو من غيرها.. فان ذلك مما يعرف بالعقل، وتقود إليه الفطرة السليمة، فكيف صح له أن يجد العذر لهؤلاء في سبّهم الأنبياء، ورميهم هذا النبي بأنه

لم يكن أميناً على عرض مولاه، وذاك النبي بأنه كان لوطياً مفضوحاً؟!..

10 . قد يكون لهذا البعض عذره . باعتقاده . في دفاعه عن كاتب المقال السيء، ومن قبله عن حامد نصر أبو زيد، وأضرابهما، وعدم رضاه باتخاذ موقف قوي وحاسم منهما، وممن هم على شاكلتهما، وفق ما تفرضه احكام الشرع والدين. وكيف يهاجمهم وهو نفسه قد وصف الأنبياء، أو احتمل في حقّهم عبادة الشمس والقمر والكواكب، وقتل النفس البريئة، وارتكاب جريمة دينية.. والجهل بالتكليف الشرعي. والخطأ في تقدير الأمور، والنظر إلى السماء بنظرة حائرة بلهاء، والتهرب من المسؤوليات، والخطأ غير المقصود. وغير ذلك مما يجد القارئ شطراً وافياً منه في أجزاء هذا الكتاب. فلعله وجد: أن ردّة الفعل إذا كانت قوية، تجاه هؤلاء.. فإنها ستكون تجاهه أقوى وأشد، لأنه يتكلم باسم الدين، وعلى أنه من رجاله وأعلامه..

11 . ولنا الحق في أن نحتمل في حقّه أيضاً أن يكون ممن لا يرى في نسبة هذه القبائح إلى الأنبياء أي محذور، فلا مبرر لأية ردّة فعل تجاههم، فانه يراهم كسائر الناس الذين لا يجد مانعاً من وصفهم بأي شيء مما ينسجم مع الضعف البشري..

فمن يواجه هؤلاء ويتصدّى لهم يكون . بنظره . لهم ظالماً، وسيجد نفسه امام الله عاصياً وآثماً. فمن واجبه اذن أن يواجه هؤلاء المدافعين عن المقدسات، وعن الأنبياء، وينهاهم عن المنكر، ويأمرهم بالمعروف..

12 . ومن يدري فلعل تشكيكات هذا البعض، وكذلك مواقفه المتواصلة، وإصراره على وصف الأنبياء بالسذاجة والإنجذاب إلى القبيح، وممارسة الرغبة المحرمة وغير ذلك بما ذكرنا آنفاً بعضه، وسواه مما لم نذكره في هذا الكتاب . نعم لعل ذلك . قد كان له الأثر في ايجاد قدر كبير من الجرأة لدى هؤلاء، ومن هم على شاكلتهم للطعن بقداسة الأنبياء، وتصغير شأنهم، وتوهين قدرهم، وفي نسبة القبائح، والإساءات والتقصيرات إليهم..

13 . إن هذا البعض قد طرح في قضية نصر حامد أبو زيد لزوم إثارة جو اعلامي من حوله.. بدلاً من إطلاق الحكم الإسلامي العادل والصحيح في حقه..

فيا ليته رضي منا حتى ولو بهذا المقدار في حق من يصف نبياً من انبياء الله بأنه لوطي مفضوح، ويصف نبياً آخر بأنه لم يكن اميناً على عرض مولاه، ويرفض تقرير القرآن لنبوة نبيّين هما داود وسليمان..

14 . وأخيراً.. كيف حكم بلزوم إطلاق الحرّية لكتب الضلال.. ثم حارب كتاب مأساة الزهراء وغيره، وحاول منعها من التداول على الأقل بين أنصاره ومريديه.

863 . الدعوة إلى تجميد حكم إسلامي بلا مبرر.

864 . الحكم الإسلامي بالكفر يظهر الشخص بصورة المضطهد.

865 . الحكم الإسلامي يكسب المحكوم عليه عطفاً في مسألة التفريق بينه وبين زوجته.

866 . لو عولجت قضية نصر أبو زيد بطرح أفكار تعارضه وتنتقده لما كبرت القضية في الإعلام العالمي.

867 . إصدار حكم الإسلام في حق ابي زيد أخرج قضيّته عن حجمها الطبيعي.

868 . ليس هناك في العالم من يجحد الفكر الديني.

869 . لا يجحدون الفكر الديني رغم رسمهم علامات إستفهام حول وجود الخالق.

870 . لا يوجد ملحد في العالم.

871 . الملحدون لا ينكرون، ولكنهم يشكّون.

872 . أدلة الملحدين هي رفض أدلة وجود الله.

873 . الملحدون يعجزون عن الاستدلال على عدم وجود الله

874 . الشكّ في وجود الله ليس كفراً..

ويقول البعض:

"ان الردّة هي عملية جحود للإسلام، ولفظ له، وأعتقد: أنه ليس هناك في العالم من يجحد الفكر الديني، إذ أن كل حركة الفكر المضاد تتحرك راسمة علامات استفهام حول وجود الخالق، ولكنها لم تستطع إلى الآن أن تقدّم دليلاً على النفي فالنفي تماماً كما الإثبات يحتاج إلى دليل، لذلك فإنني لا أتصور أن هناك ملحداً في العالم لسبب بسيط جداً، وهو أنه لم يستطع أحد منذ أن نشأت الفلسفة المادية حتى الآن، أن يقيم دليلاً على عدم وجود الله إنهم يقيمون الأدلة لو سميناها أدلة على رفض أدلة وجود الله ، ولكنهم لا يقيمون الدليل على عدم وجود الله، معنى ذلك أننا نضع هؤلاء في دائرة الشكّ . والشكّ ليس كفراً . بل هو حالة تساؤل وإثارة علامة استفهام تستوجب النقاش ، بينما يدخل الكفر في دائرة الجحود، والإسلام ليس ضد النقاش، بل هو يدعو إليه. وفي هذا المجال ننقل عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه جاءه رجل فقال له: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن شكَّ في الله؟ فقال: كافر يا أبا محمّد، قال : فشكَّ في رسول الله (ص)؟ فقال: كافر ثم التفت إلى زرارة فقال: إنما يكفر إذا جحد"(1) . وورد في حديث آخر عنه أنه قال : (لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا)"(2).

الى أن قال حول مسألة الحكم بالإرتداد على نصر حامد أبو زيد وامثاله:

---

(1) الوسائل : ج18، باب : 10.

(2) م.ن : ج18 ، باب 12 ، وجوب التوقف والاحتياط في القضاء والفتوى والعمل في كل مسألة نظرية لم يعلم حكمها بنص منهم (ع) ، ص : 115 ، رواية 11 .

"إن الإسلام لن يخسر كثيراً في تجميد حكم في حالة خاصة، ولكنه قد يعاني كثيراً أمام الواقع العالمي من إطلاق المسألة بهذا الشكل. ثم إننا في اتباعنا هذا الأسلوب نُظهر تلك الشخصية بصورة المضطهد، الأمر الذي يكسبه عطفاً، خصوصاً في القضايا المتعلقة بالتفريق بينه وبين زوجته، مما يجعل هناك بعداً عاطفياً حتى على مستوى الناس العاديين الذين لا يعيشون معنى الحكم الإسلامي في هذه الأمور لذلك فإنني أتصوّر أنه لو تركت مسألة (مثل مسألة نصر أبو زيد) في حجمها الطبيعي جداً وعولجت بطريقة أو بأخرى، بطرح أفكار تعارضه وتنتقده وتثير الجو الإعلامي من حوله، دون إفساح المجال لمثل هذه التفصيلات، لما كان من الممكن أن تأخذ هذا الحجم في الواقع العالمي الإعلامي وفي الواقع الداخلي، بل لظهرت كقضية فكر إسلامي يقابل فكراً منحرفاً.

إنني أرصد الظاهرة من حيث السلبيات والإيجابيات التي يمكن أن تصيب الواقع والخط الإسلاميين، ولذلك أنصح بدراسة الظروف الموضوعية التي تحيط بمثل هذه الحالات، من ناحية الواقع السياسي الثقافي والاجتماعي"(1).

وقفة قصيرة:

ونقول

ا . إنه لا معنى لتبرئة الذين يتحركون فكرياً في الاتجاه المضاد للإسلام وللإيمان، ويرسمون علامات استفهام حول وجود الخالق . ويدعون إلى الإلحاد ويعلنونه، ولكنهم حين يستدلّون عليه إنما يستدلّون بأدلة باطلة..

نعم، لا معنى لتبرئتهم من أمر، هم أنفسهم يعلنون الإلتزام به!!

2 . كما لا معنى لإنكارهم بلا دليل سوى اتخاذهم سبيل الجحود للحقائق بلا مبرر!!

3 . ثم لا معنى لوضعهم في دائرة الشكّ، وهم يعلنون أنهم في دائرة اليقين بالنسبة لما يعلنونه، بل لابد من إلزامهم بما يلزمون به أنفسهم.

4 . إن وجود الملحد في العالم لا يتوقف على وجود أدلة صحيحة تثبت عدم وجود الخالق.

---

(1) الشعب عدد: 1089 الواقع في 30 آب 1996. رؤى ومواقف ج2 ص11و111 و .113

5 . إن الشكّ الذي يعلنونه . لو سلّمنا أنه لا يدخلهم في دائرة الإلحاد، لكنه لا يدخلهم في دائرة الإيمان والإسلام، الذي يتطلب اليقين والاعتقاد بالحق. إذ لا شكّ في أن هذا اليقين غير موجود، والإرتداد عن الإسلام لا يحتاج إلى أكثر من الخروج منه وإعلان الإلتزام به.

ويتّضح ذلك جلياً حين نجدهم يصرّون على البقاء في دائرة الشك . المزعوم . ويؤلفون الكتب التي تثبت بزعمهم عدم صحة ما استند إليه المؤمنون في ايمانهم. ويحاربون هذا اليقين لدى المؤمنين ويحاولون

إزلته بمختلف السبل، إذ أن شكاً كهذا، تحميه . بزعمهم . البراهين والأدلة على النفي . حتى لو كانت أدلة واهية . يمثل إصراراً على البقاء خارج دائرة اليقين، وإن اظهر مدّعيه أنه شاكّ بهدف ذرّ الرماد في العيون، تلافياً لبعض الإحراجات أو السلبيات التي ربما تواجهه.

وخلاصة الأمر: ان وضع أمثال هؤلاء الذين يعلنون الإلحاد في دائرة الشكّ ما هو إلا تبرع من هذا البعض، يرفضه أولئك المعنيون به أنفسهم قبل غيرهم ولا يقبلونه.

6 . أما بالنسبة لحديث (لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا) نقول:

أولاً: إن هذا البعض يصرّ على لزوم تحصيل القطع واليقين في كل المعارف الإيمانية، والتاريخية وغيرها سوى الأحكام الفقهية الفرعية ولا يكتفي بمطلق الحجة . فهل هذه الرواية يقينية عنده من حيث السند، ومن حيث الدلالة؟! أم أن خبر الواحد عنده يفيد اليقين كالخبر المتواتر؟!.

ثانياً: إن هذه الرواية قد افترضت حالة الجهل، والوقوف عند هذا الحدّ.. فهي لا تدل على براءة من يجهد لاثبات مدّعاه، ويعمل لإيجاد الشكوك لدى الآخرين، ويكتب الكتب، والمقالات ويلقي الخطب والمحاضرات. ويدعو إلى الشك . بزعمه.. نعم.. انها لا تدل على براءة هذا وامثاله من الكفر، ولا تبقيه في دائرة الايمان..

6 . أما بالنسبة للرواية التي تقول: إن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام:

ما تقول في من شكّ في الله .

فقال: كافرٌ يا أبا محمد.

فقال: فشكّ في رسول الله (ص)؟.

فقال: كافر.

ثم التفت الى زرارة فقال: إنما يكفر إذا جحد(1).

فإن الرواية السابقة قد بيّنت المراد منها حيث افترضت في الشاكّ أن يلزم حدّه، ويقف عنده.

فإن من يصبح داعية للشك، ويريد إشاعته، وإخراج الناس من حالة الإيمان ليس داخلاً في مضمون هذه الرواية كما أن من أقيمت الحجة عليه، واطلع على البراهين المثبتة للالوهية وللنبوة لا يعود معذوراً في شكّه، فإن لله الحجّة البالغة على كل البشر، ولا يصح ولا يقبل الشكّ بعد الإلتفات إلى تلك الحجّة، أو بعد الإطلاع عليها

8 . إن اسلوب الحكم بالإرتداد على من يثير أفكاراً مخالفة للاسلام على حدّ تعبير هذا البعض ليس من مخترعاتنا نحن كبشر، بل هو حكم إلهي لا بد من إعلام الناس به وتعليمه لمن يجهله، ويجب بيانه لكل من يحتمل في حقه ابتلاؤه به بشكل أو بآخر، وتحديد موارده ليمكن إجراء أحكامه. فان المرتد تبين منه زوجته المسلمة، ويحرم عليها التبذل أمامه، ولا يجوز لها معاملته كزوج. ويجب على المسلمين التفريق

بينهما، كما أن المرتد لا يرث المسلم، حتى لو كان أباً، أو أخاً، أو إبناً، له.. نعم، إن هذه الأحكام، ثابتة حتى لو اعتبر غير الملتزمين بالإسلام، هذا الرجل مضطهداً، ومظلوماً، واكسبه ذلك عطفاً منهم، فإننا لا نتوقع من هذا النوع من الناس غير ذلك..

ولو أن الشارع أراد مراعاة هؤلاء لم يمكن إجراء أي حكم من أحكامه. خصوصاً ما يتعلق منها بما يندفع إليه الفساق لممارسة حالات الشكّ والفجور والإنحراف

فلا مجال لرفع اليد عن هذا الحكم الإسلامي الصارم والحازم من أجل استحسانات من هذا القبيل، سواء بالنسبة لنصر حامد أبي زيد، أو بالنسبة لغيره.

---

(1) الكافي ج2 ص399.

وإذا تأملنا في كلام هذا البعض، فإننا سنجد أن من الطبيعي أن ينسحب كلامه هذا حتى على مثل سلمان رشدي الذي عرف الجميع موقف الدين، الذي أعلنه الامام الخميني في حقه.. ورأى الجميع أيضاً، مدى تعاطف المستكبرين والحاقدين مع ذلك الرجل المرتد والحاقد.

875 . الشكّ في العقيدة ليس كفراً .

876 . البقاء على الشك لا يجعله مرتداً.

877 . الإقتناع بالكفر لا يجعله مرتداً ما لم يعلن ذلك.

878 . الإعلان بالكفر هو الجريمة وليس الكفر نفسه.

سئل البعض: هل يوجب الإرتداد عن الإسلام . والعياذ بالله . القتل. أو بمعنى آخر: هل يباح دم المرتد حقاً؛ فإذا الجواب نعم. هل يتعارض ذلك مع حرية الفكر الإنساني؟.

فأجاب:

"قد تخلق مسألة الإرتداد اهتزازاً أو إرتباكاً في داخل النظام العام للدولة والمجتمع مما قد يسيء إلى القاعدة التي يرتكز عليها توازن المجتمع المسلم؛ ولذلك فانها تدخل في صلب النظام العام، من خلال الحدود الموضوعية له التي قد تفرض وضع العقوبات الرادعة. ولذلك فهي لا تتّصل بحرية الفكر؛ لأن الإسلام يفتح كل ساحته الثقافية لكل صاحب شبهة في الدين، ليجيب على كل سؤال، وليتابع البحث والحوار مع صاحب الشبهة إلى نهاية المطاف.

وقد ورد في أحاديث أهل البيت (ع) عن رجل سأل الإمام الصادق (ع) قال: رجل شكّ في الله؟

قال: كافر.

ثم قال: شك في رسول الله؟

قال كافر.

ثم قال: إنما يكفر إذا حجد.
مما يعنى: أن الشكّ في العقيدة ليس كفراً ما دام الإنسان باحثاً عن الحقيقة كما أن بقاءه على الشك، أو اقتناعه بالكفر لا يجعله مرتداً، مالم يعلن ذلك، الأمر الذي يجعل الإعلان هو الجريمة.
أما الحديث عن تعارض ذلك مع حرّية الفكر، فإن جوابه هو أن الفرق بين الدولة الإسلامية وغيرها هو أن الإسلام يقيم دولته على أساس العقيدة، مما يجعل للعقيدة، دور الأساس في توازن الدولة والمجتمع. ويجعل من الإساءة إليها أو تهديدها إساءة وتهديداً للنظام كله.

أما غيرها فإنها لا تقوم على العقيدة، ولذلك لا دخل للعقيدة في حركة النظام، بل تكون الجريمة في الخيانة العظمى للأرض أو للأمور الحيوية الأخرى..
وبكلمة واحدة: إن إعلان الارتداد هو الجريمة. وليس الارتداد الفكري الذي يعيش في داخل الفكر."(1)
وقفة قصيرة:
ونقول:
1 . قد نقلنا كلام هذا البعض كله لأنه. ما فتئ يتهم من يعترض على أفكاره وطروحاته بأنهم يمارسون ذلك على طريقة ويل للمصلين. أو بأنهم يقطّعون كلامه بصورة تفقده مضمونه الأساس ليصبح دالاً على خلاف مقصوده.
رغم علم هذا البعض . ومن حوله معه . بأن الرد على هذا الإتهام سهل جداً، وذلك بالطلب إلى السامع والقارئ بأن يرجع إلى نص كلامه في نفس الجزء والصفحة المسجّل، ليجد أن الكلام تام في دلالته، وأن كل ما يتصل بموضع الإشكال مذكور من بدايته إلى نهايته..
ولكن المهم هو أنهم يعرفون: ان القليلين جداً هم الذين يبادرون إلى هذا الأمر.. وأن أكثر الناس يأخذون الأمر بحسن نيّة وسلامة طويّة، وبثقة ومحبة، واستبعاد خصوصاً وهم يرون هذا البعض يجهر بذلك علناً مع التأكيد الشديد، ومع إظهار البراءة وازجاء تظلّم خاشع ما عليه من مزيد..
2 . بالنسبة للبقاء في دائرة الشك، نقول: لقد تحدثنا عن هذا الموضوع في الجزء الأول من هذا الكتاب ص255 . 257 فلا نعيد، وأشرنا إلى ذلك أيضاً في الوقفة القصيرة السابقة غير أنّنا.
لا ندري ماذا يعني هنا بقوله: "إن الاقتناع بالكفر لا يجعل الإنسان مرتداً، ولا يكون قد ارتكب بذلك جريمة"!!
3 . لا ندري ما هو دليل هذا البعض على أن الإعلان بالكفر هو الجريمة.. فإنه عليه السلام قد قال: (إنما يكفر إذا جحد)، سواء أكان قد أعلن هذا الجحود أم لم يعلنه. فما هو ربط هذا الدليل بتلك الدعوى.

---

(1) رؤى ومواقف عدد1ص.139

4 . ولو سلّمنا ذلك، فلا يصح تحديد مستوى هذا الإعلان، بأن يؤدي إلى الاهتزاز والارتباك داخل النظام العام للدولة والمجتمع. إذ يكفي مجرّد أن يعلن ذلك، ليستحق بذلك العقوبة، ويجري الحكم الإسلامي في حقه، وإن لم يترتب على إعلانه أي إرباك لا في الدولة ولا في المجتمع.

5 . بل إن الإرتداد الفكري حتى على مستوى الشك، ولو لم يصل إلى حد الإعلان به قد يحدّث، اهتزازاً و إرباكاً في الدولة وفي المجتمع، فلماذا لا يعتبره جريمة يستحق فاعلها العقاب بالقتل. فإن النتائج على هذا الصعيد واحدة..

6 . إن ما ذكره من أن الارتداد قد يحدث اهتزازاً وارتباكاً قد يسيء إلى القاعدة التي يرتكز عليها توازن المجتمع... لا يجدي شيئاً، فإنه كما قد يسيء، هو أيضاً قد لا يسيء وقد لا يحدث اهتزازاً ولا ارتباكاً وفي هذه الصورة الأخيرة، فهل ذلك يعنى ترك العقوبة؟! وحتى في الصورة الأولى، فإنه لو أساء فلابد أن يثبت أن الإساءة تصل إلى درجة توجب جعل عقوبات رادعة عنها؛ فمجرد وجود احتمال من هذا القبيل لا يبرر إصدار أحكام قاطعة بهذا المستوى من الخطورة..

7 . ثم إننا نسأل هذا البعض: من الذي قال له: إن حكم قتل المرتد يرتبط بالاهتزاز والارتباك في النظام العام؟ وإن ملاك الحكم هو ذلك، فهل أطلعه الله على غيبه؟!. أو كشف له عن ملاكات أحكامه؟! أليس هذا مجرد تكهّن ورجم بالغيب، يستند الى استحسانات وحدسيات، لا مجال لجعلها أساساً لإصدار أحكام بهذه الخطورة.. وتصل إلى حد النفي لتشريع إلهي أو إثباته..

الفصل الرابع:

عن الإنجيل، والتوراة:

بداية:

لقد ذكرنا في الأجزاء السابقة بعض أقاويل هذا البعض في ما يرتبط بالثالوث المسيحي،و أن الإنجيل المتداول اليوم هو في أكثره على الأقل كلام الله..

وأن اليهود والنصارى ليسوا كفّاراً بالمصطلح القرآني، وغير ذلك، ونحن نذكر هنا مقولات أخرى لهذا البعض ترتبط بالإنجيل أيضاً.. فنقول

879 . ليس من المعلوم أن الإنجيل معرض للنسخ.

880 . احكام الإنجيل هي أحكام القرآن.

881 . هذا الإنجيل لا يتعرض للشريعة المفصّلة لكي ينسخ.

882 . الإنجيل أخلاق ومبادئ وقيم عامة في البعد الروحي والإنساني فلا مجال لنسخه.

883 . القرآن مصدّق لهذا الإنجيل الموجود بين أيدينا.
884 . الحاجات الطارئة بعد التوراة والإنجيل فرضت إحداث اجتهاد جديد.
885 . المفاهيم القديمة في التوراة والإنجيل تتبدل.
886 . والإنجيل والتوراة اللذين بين أيدينا هما نفس اللذين كانا في زمن النبي (ص).
887 . التحريف في التوراة والإنجيل مختص ببعض الجزئيات كالبشارة بالرسول (ص).
888 . لو كان تحريف التوراة والإنجيل كبيراً.
889 . الحُكم بما في هذا الإنجيل من مبادئ وقيم يلتقي بالحُكم بما في القرآن.

يقول البعض:

"ليس من المعلوم أنَّ الإنجيل قد تعرّض للنسخ في آياته لا سيّما أن مضمونه ليس متضمناً للشريعة المفصّلة، بل هو أخلاق ومبادئٌ وقيمٌ عامةٌ في البعد الروحي والإنساني، فلا مانع من أن يتوجّه القرآن إليهم بالحكم بما في الإنجيل لأنه يلتقي بالحكم بما في القرآن، الأمر الذي يشدّهم . من موقع اللقاء . إلى ما في القرآن على أساس (الكلمة السواء). والله العالم".(1)

ويقول أيضاً:

"وقد لاحظنا أن القرآن قد صرّح عن وجود بعض الأحكام في التوراة، كما في القصاص. وهذا ما يجعل من الإسلام رسالة جامعة للرسالات، مع بعض الاختلاف في الحاجات الطارئة التي تفرض إحداث إجتهاد جديد، أو تبديل مفهوم قديم.

---

(1) من وحي القرآن ج8 ص195.

وربما نستفيد من الحديث عن القرآن بأنه مصدّق الذي بين يديه، أن هذا الحديث موجه إلى اليهود والنصارى الذين يحتفظون بالتوراة. والإنجيل ليقارنوا بين القرآن وبين الكتابين، ليجدوا صدق هذه الدعوة فإذا عرفنا أن الكتاب الذي بأيدينا من التوراة والإنجيل هو الكتاب الذي كان بأيديهم في زمن الدعوة، فإننا نخرج من ذلك بنتيجة واضحة، وهي أن الإنجيل والتوراة لم يحرّفا بالدرجة التي لا يبقى فيها مفهوم صحيح من مفاهيم الرسالة أو آية سالمة من التحريف من آياتهما، بل إنهما يتضمّنان الكثير من النصوص الصحيحة والمفاهيم الحقّة التي تصلح أن تكون أساساً للمقارنة بينها وبين القرآن لمعرفة صدقه، من خلال اشتماله على ما في التوراة والإنجيل، ليكون التحريف مختصاً ببعض الجزئيات كالبشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحو ذلك ولولا ذلك.لما كان هناك مجال للإحتجاج بهما على صدق القرآن، لاختلاف مفاهيمهما . بلحاظ التحريف . عن مفاهيم القرآن، والله العالم" (1).

وقفة قصيرة:

ونلاحظ على كلام هذا البعض الأمور التالية:

1 . إن من يقرأ التوراة المتداولة في هذه الأيام سيلاحظ: أن أكثر ما جاء فيها لا يمكن القبول به.. وأن الكثير من مضامينها يصل في سخفه، وابتذاله حدوداً خطيرة إلى درجة يصبح معها القول بأن التحريف جزئياً ويسيراً مهزلة من المهازل، وسخرية بالعقل البشري، ومهانة له. وذلك بدءاً من تجسيم الله، وانتهاءً.. بالحديث عن عريّ الأنبياء، وارتكابهم الجرائم، والزنا حتى بالبنات والأخوات، وشرب الخمر، وقتل النفوس المحترمة.. إلى غير ذلك مما يندى له جبين الإنسان ألماً وخجلاً..

فقول البعض إذن: "إن التحريف إنما نال بعض جزئياتها من قبيل البشارة بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم..." لا يمكن قبوله، وليس له دليل يدل عليه، ولا نحب أن نقول أكثر من ذلك..

---

(1) من وحي القرآن ج5 ص.212

2 . هذه هي التوراة المتداولة بمرأى منا ومسمع، وتلك هي أحكامها ومفاهيمها التي يتحدّث عنها هذا البعض، فليرجع إليها الناس ليروا مدى بعد الكثير منها عن مقتضيات الفطرة، وأحكام العقل، وعن الخُلُقِ الرضي الكريم..

3 . وأما عن مضمون الإنجيل، وأنه أخلاق، ومبادئ، وقيم عامة في البعد الروحي والإنساني.. فهو إنما يتحدث عن هذا الإنجيل الذي بين أيدينا، والذي ينسب مريم إلى الفاحشة حين يتهمها بيوسف النجار.. كما أنه يقرّر أن المسيح هو ابن الله، وأن الله ثالث ثلاثة.. وأن.. وأن..

فهل أن ذلك كله.. يلتقي فيه مع القرآن؟!. أم أن التحريف قد انتصر . حسب دعوى هذا البعض . على البشارة بنبوة نبينا (صلى الله عليه وآله)؟!

4 . ومن الذي قال لهذا البعض: إن الإنجيل الحقيقي المنزّل من عند الله، والموجود عند صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه، والذي هو وحي إلهي يلتقي مع هذا الكتاب، الذي لا شكّ في أنه قد أُلّف بعد عهد عيسى عليه الصلاة والسلام.؟!.

5 . على أن الله سبحانه قد صرّح في القرآن الكريم في عدة آيات بأن التوراة والإنجيل قد أُنزلا من عند الله سبحانه؛ { وأنزل التوراة والإنجيل } (1).

ونحن نرى أن هذا الإنجيل الذي بين أيدينا مجرّد سيرة ذاتية للمسيح. ويصرّح علماء النصارى بأنه من تأليف أناس بأعيانهم وأشخاصهم، عاشوا بعد السيد المسيح بعشرات السنين. فراجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص244 . 246.

فكيف نفسّر قوله: "إن التحريف لم ينل إلا بعض الجزئيات، كالبشارة بالنبي محمد ونحو ذلك"؟!

يقول الشيخ البلاغي: (إن أكثر الموجود في العهدين لا تُعقل نسبته إلى وحي الله لأنبيائه، وإن القسم

الباقي لا نقدر ان نجد له سنداً يوصله إلى الأنبياء والوحي)(2).

---

(1) سورة آل عمران، الآية 3 وراجع الآية 65 والمائدة 46 و110 والحديد 27 وغير ذلك.
(2) الرحلة المدرسية ص239.

وفيما يرتبط بالسؤال عن السبب في أن البيضاوي والرازي قالا: إن التحريف إنما هو بالتأويل. وعن إبن تميمة قال: إن التحريف الواقع في العهدين هو تبديل المعاني.. أجاب به رحمه الله بجواب مسهب، فكان مما قال:

(إن كتب العهدين كانت مخفيّة بسيطرة علماء الدين منكم (النصارى) ومن اليهود، مستورة حتى على عامة اليهود والنصارى، ولم تظهر، وتنتشر باللسان العربي والفارسي إلا قبل قرنٍ أو قرنين، بعناية البرتستنت واصلاحهم، ولم يكن لها أثر في بلاد الإسلام) في زمان هؤلاء الذي ينقل عنهم الغريب بن العجيب، ولم يكن لهم نصيب من معرفة أمرها الإ السماع باسمها..(1)

وقد حكى الله سبحانه: أن القرآن يبين: أن اليهود يُبدون من التوراة ما يوافق أهواءهم على القراطيس، ويخفون كثيراً. فهو يقول:

{ .. قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس، تجعلونه قراطيس تبدونها، وتخفون كثيراً } (2).

وقال تعالى: { يحرّفون الكلم من بعد مواضعه } .(3)

وبعد.. فإن وجود بعض الأحكام فيما يسمّيه اليهود توراةً، لا يعني: أن التحريف مختص ببعض الجزئيات كما يقول هذا البعض. ولا يكفي ذلك لإصدار مثل هذه الأحكام.

6 . قلنا أكثر من مرة: إن الله سبحانه حين يقول: { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله } . فإنما يريد أن يفرض عليهم إلتزام التوحيد ورفض عبادة غير الله سبحانه.. لأنهم يدّعون ان ربهم هو المسيح، على قاعدة الأب والإبن والروح القدس.. كما هو معلوم..

ولا يريد الله سبحانه أن يقول في الآية المشار إليها آنفاً: أن بيننا وبينكم نقاط إلتقاء هي التوحيد، ونقاط إفتراق.. فلنلتق على ما اتفقنا عليه، ولنتحاور فيما افترقنا فيه . على حد تعبير البعض..

---

(1) راجع: الرحلة المدرسية ص239. ومواضع عديدة أخرى مثل ص114.
(2) سورة الانعام، الآية: 91.
(3) سورة المائدة، الآية: 41.

فإننا لم نلتق معهم على عبادة الله الواحد، لأنهم يختلفون معنا في هذا الأمر أيضاً.

7 . إن قوله تعالى: { وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.. } (1) يدل على أن فيه، أحكاماً تفصل بها المنازعات، وتكون مرجعاً لحل الاختلافات. فما معنى نفي ذلك؟! من قبل البعض بصورة قاطعة ونهائية..

8 . لا أدري كيف أفسّر قول هذا البعض عن أحكام الإسلام وتشريعاته التي اقتضتها الحاجات الطارئة بأنها اجتهاد فهل النبي صلى الله عليه وآله هو أحد المجتهدين أم أن المراد هو الإجتهاد في إصدار الأحكام في المنازعات المالية، أو الحدود والقصاصات؟! لكن من البديهى أن ذلك لا يدخل في دائرة التشريع بحيث يكون من الأحكام الكليّة العامة، بل هو مجرّد اجتهادات جزئية وخاصّة، وتخضع للتشريع، ومن موارد إنطباق قواعده وأحكامه.

وإن كان مراده: أن الحالا ت الطارئة تقتضي إحداث إجتهادات جديدة، ينتج عنها وضع أحكام كلية وعامة.. فإن من الواضح: أن أحكام الإسلام ليست من قبيل الاجتهاد.

9 . ما معنى تعبيره "بالتبديل في مفهوم قديم.." فهل المفاهيم الدينية . بما هي مفاهيم . قابلة للتبديل؟! وهل هناك جديد وقديم في المفاهيم الدينية؟!

10 . أما بالنسبة إلى دليله على عدم تحريف التوراة والإنجيل، إلا في بعض الجزئيات، كالبشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله..

وهو أنها لو كانت محرّفة بدرجة كبيرة، لم يصح الاحتجاج بها على صدق القرآن.

فهو احتجاج عجيب وغريب..

---

(1) سورة المائدة، الآية 47.

فإن من القريب جداً أن تكون لديهم بعض نسخ التوراة الحقيقية والإنجيل الحقيقي بالإضافة إلى ما هو محرّف.. حيث كانوا يتكتمون على تلك، ويبعدونها ما أمكنهم عن أنظار عوامهم.. حتى لا يجدوا فيها هذا التوافق والانسجام الظاهر والعميق فيما بينها وبين القرآن، حتى لا يكون ذلك سبب هدايتهم إلى الحق ودخولهم في هذا الدين الحنيف.. ولا يبقى لأولئك الأحبار والرهبان المزوّرين للحق أي دور، فيواجهون الفشل الذريع والخيبة القاتلة..

فكانوا يظهرون ما حرّف من التوراة الإنجيل.. ولم يكن بإمكانهم الاحتجاج على الرسول بكتبهم المحرّفة، لأن الخرق سوف يتسع على راقعه. وتكون الفضيحة عليهم أعظم، حينما يضع المسلمون أيديهم على تناقضات كتبهم، ويظهرون ما فيها من عوار، وخلل..

ومما يدل على ذلك قول الله سبحانه عن معرفتهم برسول الله (صلى الله عليه وآله): الذين آتيناهم

الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم..(1)
وقد قال الله عنهم: { إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى، من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون } (2).
ويقول: { إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، ويشترون به ثمنا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار } (3).

الفصل الخامس:
تناقضات، أم تراجعات؟!

بداية الحديث:
قد عرفنا في هذا الكتاب:
أن هذا البعض يقول: "إنه يتحمل مسؤولية أفكاره ماءة بالماءة".
ويقول أيضاً: "إن أفكاره ما تزال أفكاره ولم يتغيّر.."

---

(1) سورة البقرة، الآية 146 وسورة الأنعام الآية 20.
(2) سورة البقرة الآية 159.
(3) سورة البقرة الآية 174.

مما قد يصعب معه دفع الاتهام الذي قد يوجه لهذا البعض بأنه لا يتكامل في علمه من ناحية الكيف.. خصوصاً وأن الله سبحانه لم يكشف لأحد من الناس عن اللوح المحفوظ.. أما من ناحية الكم، فإن الزيادة قد تأتي من جهة الكم حيث تتراكم المعلومات دون أي قدرة على التصرف بها..وربما يؤيد هؤلاء نظرتهم هذه، بأن هذا البعض يقول: إن جميع ما في كتابة من وحي القرآن بطبعتيه القديمة والجديدة صحيح، وان التناقض والاختلاف الكثير والكبير في أفكاره.. بل وفي موارد كثيرة في كتابه المشار إليه آنفاً، هو الآخر دليل على صحة مقولتهم تلك. إلا أن يدعي هذا البعض: أن منشأ هذه التناقضات هو وجود ارتباك فكري لديه، أو ان سببه هو انه يريد امتصاص الغضب الذي واجهه في شريحة كبيرة من الناس يصعب عليه التخلّي عنها، مع تخوفه من انتشار ظاهرة النقد له، والابتعاد عنه بسبب ما ظهر من آرائه..
أو انه قد فهم: ان الناس حيث أحبّوه، فإنما أحبوه من خلال حبهم لدينهم، لا لأجل شخصه، فحين يظهر لهم أنه قد أخل بشروط الاعتماد على أقواله، وانه قد بلغ به الأمر إلى حدّ انه اصبح يسعى لاقتحام

المسلمات، فإن الناس لا بد ان يحفظوا دينهم ومسلماته التي لا يوجد أحد أعز عليهم منها.
ومهما يكن من أمر فاننا سنذكر هنا نماذج من التناقضات التي ظهرت في كلماته.. والتي نخشى ان يعتذر عنها في المستقبل بأنها لا تمثل آراءه لأنها صدرت تحت ضغوط مواقف العلماء، وفي أجواء النقد القوي، والصحيح، والمحرج، وقد تأكد ذلك حينما صدرت فتاوى المراجع بالحكم عليه بالضلال، وبالخروج من مذهب أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.. وأن الذي يمثل آراءه الحقيقية هو . فقط . ذلك الذي كتبه بقلمه أو ما نشر من كلماته وخطبه، ولا سيّما في كتابه من وحي القرآن، الذي لم يرض إلى هذه اللحظة بالتخلّي عنها، أو بتغيير وتعديل شيء منها.

ونحن لا نسعى إلى استقصاء تناقضاته هنا، بل نقتصر على موارد يسيرة جداً، ونكل أمر الاستقصاء إلى القارئ الكريم إن أحب ذلك..
والموارد التي اخترناها هي التالية:
890 . التناقض الأول:
وهو تناقض لجأ إلى إيقاع نفسه فيه فراراً من إشكال لم يجد إلى دفعه سبيلاً، ولكن ظهر أن ما جاء به لا يدفع الاشكال، ولا يحل العقدة؛ فهو يقول:
ألف : يونس تهرب من مسؤولياته . يقابله.
ب : قد لا يكون ذلك تهرباً.
ج : لم يهرب ذو النون من المسؤولية.
إن ذلك كله قد ورد في كلمات هذا البعض، وبيان ذلك كما يلي:
1 . إننا في حين نجد البعض الذي يصر على ان جميع ما في الطبعة الأولى من كتابه من وحي القرآن صحيح.. يقول في الطبعة الأولى من كتابه المشار إليه عن يونس (عليه السلام):
"... ولكن الله اعتبرها نوعاً من الهروب، فيما يمثله ذلك من معنى الاباق، تماماً كما هو اباق العبد من مولاه.."(1).
ويقول في مقام استيحائه من قصة يونس: "ان الله قد يبتلي الدعاة المؤمنين من عباده ورسله، فيما يمكن أن يكونوا قد قصروا فيه، أو تهربوا منه من مسؤوليات"(2).
وحين أجمل ذلك قال: "الدعاة والرسل قد يتهربون من مسؤولياتهم"(3).
2. ولكنه في الطبعة الجديدة من كتابه المشار إليه قال:
"وفي هذا الجو كان خروجه السريع، سرعة انفعالية في اتخاذ القرار. وقد لا يكون ذلك تهرباً من المسؤولية"(4).
فهناك قد جزم بالتهرب، وتردد فيه هنا.. فأيهما هو الصحيح؟!.

وإن كنا نعتبر أنه لم يزل في دائرة الطعن في مقام نبي من الأنبياء وفي عصمته، إذ لا يجوز لأحد أن يحتمل في حق الأنبياء أمراً من هذا القبيل، ومع وجود هذا الاحتمال لا يكون ثمة يقين بالعصمة.

3 . ثم عاد لينفي التهرب من المسؤولية من الأساس، حيث سئل:

---

(1) من وحي القرآن ط 1 ج19 ص241.

(2) المصدر السابق ط 1ج15 ص284.

(3) من وحي القرآن حين الكلام عن قضية يونس.

(4) من وحي القرآن – الطبعة الجديدة ج ص15ص258.

ما هو تفسير الآية الكريمة { وذا النون إذ ذهب مغاضباً }) (الأنبياء /87) وهل من حق الأنبياء أن يهربوا من المسؤولية؟.

فأجاب:

"لم يهرب ذا (كذا) النون من المسؤولية. ولكنه اعتقد ان مسؤوليته انتهت عندما تمرد عليه قومه"(1). غير اننا نخشى أن يكون قوله: " ولكنه اعتقد أن مسؤوليته انتهت الخ.." يريد به توجيه اتهام لهذا النبي المعصوم بأنه قد أخطأ في تقدير الأمور، فان خطأ الأنبياء في تقدير الأمور جائز عليهم عنده، كما صرح به، وذكرناه في هذا الكتاب فراجع..

فيكون . والحالة هذه . قد هرب من أمر ليقع فيما هو أشد منه..

891 . تناقض آخر:

ألف : خلود مرتكب الكبيرة في النار..

ب : المغفرة لمرتكب الكبيرة.

ج : هناك مدة معينة للمكوث في النار.

سئل البعض:

ما راي الشيعة في مرتكب الكبيرة هل هو مخلّد في النار أم لا؟ وما هو البديل للخلود إذا كان الجواب لا؟

فأجاب:

"بعض الآيات الكريمة تقول: إنه مخلّد في النار بالنسبة إلى بعض الكبائر { ومَنْ يَقْتُلْ مُؤمِناً متُعَمداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالداً فِيهَا } (2). ولكن ربما تأتيه المغفرة من الله بعد ذلك. والله تعالى يقول في سورة النبأ { لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً } (3). أي أن هناك مدة معينة علمها عند الله. ولكن المهم هنا هو أن لا نرتكب الكبيرة حتى لا ندخل النار(4).

فهو يقول في أول هذا النص: "إن الآيات تقول: إنه مخلد في النار بالنسبة لبعض الكبائر".
ثم يقول في آخره: "إن هناك مدة معينة للبقاء في النار علمها عند الله.."
فأيها هو الصحيح؟! أو فقل: ايهما هو الجواب؟.. هل الجواب هو ما جاء في صدر كلامه؟.. وهو الخلود؟!..
أم الجواب هو ما جاء في آخره، وهو عدم الخلود؟!
أم أنه يريد أن يقول: إن القرآن نفسه هو الذي يشتمل على التناقض؟!

---

(1) فكر وثقافة عدد 180 بتاريخ 20 /4 /1421 هـ.
(2) سورة النساء الآية /93.
(3) سورة النبأ الآية /23.
(4) الندوة ج6 ص 465 و466.

نعوذ بالله من الزلل في الفكر، وفي القول، وفي العمل.
بقي أن نشير إلى أن الاستدلال بآية: لا بثين فيها أحقاباً... لا يدل على عدم الخلود، إذ أنها تقول: إن الطاغين لابثون في جهنم حقباً بعد حقب، بلا تحديد، ولا جعل نهاية، فلا تنافي ما دل عليه القرآن من خلود الكفار في النار .
وإنما جاء التعبير بهذا النحو ليجسد لذلك الطاغية الكافر عذاب جهنم بصورة تفصيلية، الأمر الذي من شأنه أن يثير مشاعر الرهبة والخوف لديه بصورة أعمق وأشد..
على أن هناك من قال: إن قوله تعالى بعد هذه الآية: { لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً } صفة لكلمة أحقاباً والمعنى: انهم يلبثون فيها أحقاباً على هذه الصفة، وهي انهم لا يذوقون فيها برداً ولا شرابا إلا حميماً وغساقاً، ثم يكونون على غير هذه الصفة.. إلى ما لا نهاية..
قال السيد الطباطبائي رحمه الله: (وهو حسن لو ساعد السياق)(1).
وينبغي الالتفات أخيراً إلى أن الكلام في هذه الآيات إنما هو عن الكفار الطغاة، الذين يقول الله عنهم: { إنهم كانوا لا يرجون حساباً. وكذبوا بآياتنا كذابا } (2).
892 . تناقض آخر..
. يحتمل ان موسى قد ارتكب جريمة دينية في مستوى الخطيئة.
إن المقتول كان يستحق القتل.
يقول البعض: عن موسى:
"هل كان يشعر بالذنب لقتله القبطي، باعتبار أن ذلك يمثل جريمة دينية في مستوى الخطئية التي يطلب

فيها المغفرة من الله؟ أو أن المسألة هي أنه يشعر بالخطأ غير المقصود، الذي كان لا يجب أن يؤدي إلى ما انتهى إليه، مما يجعله يعيش الألم الذاتي تجاه عملية القتل؟!.. [إلى أن قال:] إننا نرجح الاحتمال الثاني"(3).

مما يعني أن الاحتمال الأول لا يزال وارداً، لكنه ليس هو الراجح عنده..

لكنه عاد ليقول:

---

(1) تفسير الميزان ج20 ص168.

(2) سورة النبأ الآيات 27 . 28.

(3) من وحي القرآن ج 310.

"وكذلك عندما نقول: إنَّ موسى (ع) قاتل، نحن لم نقل ذلك من عندنا، الله سبحانه وتعالى قال ذلك: { فوكزه موسى فقضى عليه.. قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس } {القصص؛ 15 . 19} غاية ما هناك أني في كتب التفسير أبرر هذا الموضوع لموسى وأقول: إنَّ هذا الرجل كان معتدياً. وكان يستحق القتل، ولكنَّ موسى (ع) قال: { هذا من عمل الشيطان } {القصص /15}، باعتبار أنه كان يخلق له المشاكل.

هذا الكلام مسجل في هذا الموضوع"(1).

ونقول:

أولاً: أي كلامي هذا البعض هو الصحيح؟

ثانياً: وما معنى قوله: "ابرر لموسى وأقول: إن هذا الرجل كان معتدياً، وكان يستحق القتل. ولكن موسى(ع) قال: هذا من عمل الشيطان".

فهل يريد أن يقول: إن تبريره ليس واقعياً، لأن موسى ينكره، ولا يقبله؟!

لا ندري! ولعل الفطن الذكي يدري!!

893 . تناقض آخر

ألف: لا يفيد إمساك الحديد لضريح الرسول(ص).. والتبرك بالمقام صنمية.

ب: التبرك ليس صنمية.

1 . ويقول البعض:

"ما الفائدة التي نستفيدها من أن نمسك الشباك، أو نمسك الحديد.. فكما قلنا، هذا ليس حراماً، كما يقول الآخرون. وليس ضرورياً، فيمكن ترك ذلك(2).

ويقول: "ليس من الضروري أن يذهب إلى قرب الضريح، ولا يعني ان مسك الضريح أنه يمسك جسد

النبي. يكفي الزيارة من المسجد، وأن يتصور الإنسان حياته"(3).
2 . ويقول: "نجد ان الناس تتجه إلى القبر قبر النبي أو الولي، لتقبل الضريح، لتتمسك به، لتخاطب صاحب القبر بطريقة مادية، لتتصوره وجوداً مادياً تخاطبه، من دون أن يخطر في بال أحد البدء برحلة في أجواء صاحب التمثال، أو صاحب القبر.

---

(1) الزهراء المعصومة ص52.
(2) مجلة الموسم العددان 21 . 22 ص 299.
(3) المصدر السابق ص74.

إن هذا يمثل نوعاً من تجميد الشخصية المقدسة أو الشخصية المعظمة في هذا التمثال أو في القبر، بحيث يتعبد الناس لا شعورياً التمثال" إلى أن قال: "لذا انا اتصور أن هناك نوعاً من الصنمية اللاشعورية الموجودة لدى المؤمنين إلخ.."(1).
3 . لكن هذا البعض قد عاد فناقض نفسه وأنكر ان يكون قد نفى إمكانية التبرك بالمقامات كما أنه أنكر أن يكون قد اعتبر ذلك صنمية لكنه عاد بعد أسطر يسيرة ليقرر مرة ثالثة: أن بعض الناس يصل في ذلك إلى حدود الصنمية، فاستمع إليه، حيث يقول:
"أيضاً في موضوع التعلّق في قضبان قبر الرسول (ص)، لم أتحدث عن الموضوع في إطار أنَّه لا يمكن التبرك من المقام، بل كلّ ما في الأمر أني اعتبرت أن تقبيل القضبان غير ضروري إلاّ من قبيل المحبة. لكن لم أقل إنَّ في ذلك صنمية كما يحلو للبعض أن ينسب لي ذلك في هذا الموضوع.
مختصر القول: إنَّ تقبيل الضريح ليس ضرورياً، لكن إذا وجد أي من النّاس أنَّه يرغب بذلك، فيجب أن يكون بنيّة التعبير عن المحبة والإجلال والاحترام، كما نفعل ذلك مع جلد القرآن الكريم، فإنّنا إذا قبّلنا جلد القرآن، فهل يعني ذلك أنّنا نعبد القرآن، طبعاً لا، فنحن نقبّل القرآن تعبيراً عن إجلالنا للّه عزَّ وجلّ ومحبتنا له.
نحن نقوم بتوضيح هذا الأمر، لأنَّ بعض النّاس قد يستغرق في تقبيل القفص إلى الحدّ الذي يخرج فيه عن إطار التعبير عن المحبة والاحترام، ويصل إلى حدود الصنميّة.
هذا ولكلّ مقام مقال، فمرة تريد أن نتحدث عن الحلال والحرام، ومرة أخرى نتحدث عن مفهوم إسلامي معين"(2).
فلماذا كل هذا الأخذ والرد، والإيجاب والسلب، والاعتراف مرة والإنكار أخرى.
894 . تناقض آخر.
ألف: ضرب الابوين يجوز بل يجب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه برّ بهما.

ب: على الولد ان يكون باراً بأبيه الذي يحمل أفكاراً إلحادية.

---

(1) مجلة المعارج عدد 28. 31 ص624 و625.
(2) الزهراء المعصومة ص53.

قد عرفنا ان البعض قد قرر: "انه يجوز أو يجب على الولد أن يغلظ في القول لأبويه، وان يضربهما، ويحبسهما، لأن ذلك من مصاديق البر بهما"(1).
ولكنه عاد فناقض نفسه حين سئل :
ما رأيكم فيما إذا كانت أفكار الأب إلحادية، فهل يجب على الأبناء البرّ به وكسب رضاه؟
فأجاب:
" نعم، فالله يقول: { وإن جاهداكَ على أن تشركَ بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما } فلو طلبا منك الشرك فلا تشرك { وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليَّ } (2) فإذن لا بدّ من المصاحبة بالمعروف، والإحسان إلى الوالدين، حتى لو كانا كافرين، ولكن من دون اتباعهما في خطهما الذي يؤدي إلى الإشراك بالله أو إلى معصية الله، فـ(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق). وقد قلنا مراراً: إن المطلوب في الشريعة الإسلامية هو الإحسان إلى الوالدين لا طاعة الوالدين، فالوالد ليس مشرعاً. وهذا ما أفتى به السيد (الخوئي) (رحمه الله)"(3).
فتجده هنا يلزم الولد بالبر بوالده الذي يحمل أفكاراً إلحادية، ولم يطلب منه أن ينافره ولا أشار إلى جواز أو وجوب ضرب والده أو حبسه.. إلا أن يكون مقصوده بالبر به هو ضربه وحبسه (!!)
895 . تناقض آخر..
ألف: الغاية تنظف الوسيلة .
ب : الوسيلة جزء من الغاية فلا بد من توفر عنصر الحق فيها .
قد عرفنا أن البعض يقول: "إن الغاية تبرر الوسيلة المحرمة بمعنى أنها تجمدها، وتنظفها".
وقد ذكرنا تفصيل ذلك في فصل: (قواعد ومناهج في الإستنباط).
ولكنه عاد وتكلم بما يقتضي نقض هذه المقولة حين قال:
"إن الدعوة إلى الحق تفترض أن تعتبر الحق هو العنصر الأساس في الوسيلة، والعنصر الأساس في النتيجة"(4).
إلا إذا رفض ظهور كلامه هذا في ما ذكرناه، وفسره بأن الوسيلة إذا نظفت فانما تصير كذلك بنظافة الغاية. وفي هذه الحالة.. تكون من الحق أيضاً..

---

(1) المسائل الفقهية ج2 ص305.
(2) سورة لقمان، الآية 15.
(3) الندوة ج2 ص500و501.
(4) بينات بتاريخ.

ولكننا لن نقبل منه هذا التأويل، لأنه في مقام بيان رفض التوسل بأساليب الباطل من أجل إحقاق الحق، أو إقناع الآخرين به.

896 . تناقض آخر: يقول البعض تارة:

الف: الولاية التكوينية شرك.

ب: كل القرآن دليل على عدم الولاية التكوينية..

ج : اعتقاد جعل الولاية التكوينية مستغرب.

ونصوص كثيرة أخرى سلفت في الاجزاء السابقة.

ثم يناقض نفسه فيقول:

د : "من الممكن أن أجعلك تقول للشيء كن فيكون كما جعلت ذلك لعيسى.

هـ : "من الممكن أن تكون الطاعة تستلزم الحصول على هذه القدرة".

ثم يقول:

و : "ليس معنى ذلك: أن الطاعة تستلزم هذه القدرة".

فأي ذلك هو الصحيح؟ يا ترى.. وقد تحدثنا عن هذه النصوص المختلفة في الجزء الأول من هذا الكتاب ص 235 . 239 وفي الجزء الثاني 176 . 225 ونزيد هنا النص التالي، الذي يظهر هذا التناقض في كلامه، وهو:

سئل البعض:

ز : في الحديث القدسي ((عبدي أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون)) فما معنى هذا الحديث؟

فأجاب:

"إن صح الحديث فليس معناه أنّ من أطاع الله يكون مثل الله إذ ليس ذلك ممكناً. لكن معناه: إذا أطاع الله عبدٌ، وقرب من الله، ورضي الله عنه، فإن الله قد يعطيه بعض القدرات التي يستطيع من خلالها أن يقوم بها كما أعطى الله عيسى (ع) ذلك { إني أخلق من الطين كهيئة الطير } (1) وكما أعطى الله (آصف بن برخيا) القدرة وهو الذي عنده علم من الكتاب، حيث قال لسليمان { أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك } (2) وكما أعطى بعض أنبيائه القدرات والكرامات التي ملكوا بها الكثير من أعمال الغيب.. فمعنى ذلك أن الله يريد أن يقول للإنسان إذا أطعتني وصرت مرضياً عندي، وصرت قريباً إليّ

فإنني أعطيك بعض القدرات التي تستطيع من خلالها أن تقول للشيء: كن فيكون. وليس ذلك في كل شيء، بل أن تقول لبعض الأشياء، بحسب ما يعطي الله من قدرته(3).

---

(1) سورة آل عمران، الاية: .49

(2) سورة النمل، الآية: .40

(3) الندوة ج2 ص554 و.555

897 . يضاف هنا تناقض آخر.

وهو أنه حسبما تقدم في بحث الولاية التكوينية قد نفى أن يكون عيسى (عليه السلام) هو الذي فعل إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص. بل الله هو الذي فعله، وعيسى لا مدخلية له في ذلك، بل هو كالآلة. ولكنه هنا عاد فقرر: ان عيسى (عليه السلام) هو الذي فعل ذلك، فتبارك الله احسن الخالقين.

898 . تناقض آخر :

الف: لا دليل على عدم نسيان النبي للأمور الحياتية الصغيرة..

ب: نقاط ضعف في التكوين تصنع أكثر من وضع سلبي على مستوى التصور والممارسة لدى الأنبياء.

ج: ثم هو ينسب إلى الأنبياء ما لا يليق بشأنهم الشيء الكثير، كما ذكرناه في اجزاء هذا الكتاب.

د : إن النبي معصوم بالإجبار.

هـ : إن عصمة النبي شاملة لكل شيء.

يقول البعض:

1 . "هناك أكثر من نقطة ضعف خاضعة للتكوين الانساني في طبيعة الروح والجسد، ويمكن أن تتحرك لتصنع أكثر من وضع سلبي على مستوى التصور والممارسة"(1).

ويقول:

لا نجد هناك أي دليل عقلي أو نقلي يفرض امتناع نسيان النبي لمثل هذه الامور الحياتية الصغيرة، لأن ذلك لا يسيء إلى نبوته، لا من قريب ولا من بعيد(2).

ويقول: "هناك من يقول: إن السهو ليس منافياً للعصمة في القضايا الحياتية. ونحن نقول بذلك"(3).

ثم هو يعتبر: "أن آدم قد عصى الله كما عصاه ابليس، لكن الفرق: أن إبليس ظل مصراً على المعصية، ولم يتب فلم يغفر له، أما آدم فقد تاب فغفر الله له"(4).

---

(1) من وحي القرآن ج15 ص171 و172 الطبعة الأولى.

(2) المصدر السابق ج14 ص 384.

(3) نشرة فكر وثقافة عدد 1 تاريخ المحاضرة 1996/6/29.
(4) من وحي القرآن ج10 ص 34.

ثم احتمل ان يكون إبراهيم (عليه السلام) قد عبد الشمس، والقمر، والكوكب على الحقيقة، واحتمل أن موسى (عليه السلام) قد قتل نفساً بريئة وارتكب جريمة دينية، وصرح أيضاً بأن يونس قد تهرب من مسؤولياته.. إلى غير ذلك مما ذكرناه من موارد كثيرة جداً في الجزء الأول والثاني وفي هذا الجزء من هذا الكتاب..

2 . ولكنه.. عاد وقرر: "أن العصمة عن المعاصي إلهية مفروضة على الأنبياء بالجبر والإكراه، لكن مختارون في فعل الطاعات"(1).

3 . ثم نقض كلامه مرة أخرى حين قال:

"لذلك لا يمكن أن نقول إن رسول الله كان مجتهداً كبقية المجتهدين الذين قد يخطئون وقد يصيبون، إنما كان معصوماً بكلّه، حتى إننا لا نوافق من يقول: إنه كان معصوماً في التبليغ وحسب، ولم يكن معصوماً في أمور الحياة، بل نقول إنه معصوم بكلّه، إن في التبليغ، وإن في شؤون الحياة المختلفة، لأن عمله كلّه وحركته في الحياة كلّها هي رسالة.

ولذلك فلا تجزيئية في شخصية النبي بحيث نقول: إنه معصوم بهذا الجانب وليس معصوماً بذاك الجانب، فالعصمة سرّ عقله وقلبه وإحساسه، وشعوره وحركته في الحياة. وما نقوله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقوله أيضاً عن خلفاء رسول الله الأئمة عليهم السلام"(2).

899 . تناقض آخر:

الف: تأييد العمل بالقياس..

ب: رفض العمل بالقياس .

يقول البعض:

"بقطع النظر عن هذا الحديث وصحته، فلقد قلنا مراراً بأن القياس ليس حجة، حتى لو لم يرد هناك دليل خاص على عدم حجيّته، وذلك باعتبار أنه يرتكز على الظنّ، ولا دليل على حجيّة الظن { إن الظن لا يغني من الحق شيئاً } .

---

(1) قد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب حين الكلام حول العصمة.
(2) الندوة ج6 ص 460.

فيكون القياس مشمولاً بالأدلة العامة الناهية على العمل بالظن، فنحن نعمل بالظن إذا جاء دليل من الكتاب أو السنّة على حجيتّه، وأما إذا لم يدل دليل على حجيتّه فلا يكون العمل به مشروعاً، ولما كان القياس معتمداً على الظنّ . بالملاك الذي يوحّد بين الموضوعين . والظن لا حجيّة له، فلا حجيّة للقياس"(1).

ولكنه في كتاب: تأملات في آفاق الإمام الكاظم (عليه السلام) قد نقض هذا الكلام حين استفاد من بعض الأحاديث:

"أن رفض القياس كان بسبب عدم الحاجة إليه".

فلو "كانت هناك حاجة ملحة إلى معرفة الحكم الشرعي لبعض الأمور، ولم يكن لدينا طريق إلى معرفته من الكتاب أو السنة، فان من الممكن ان نلجأ إلى القياس أو نحوه من الطرق الظنية في حال الانسداد"(2).

ويقول: "اننا نستطيع في حال استنطاق الحكم الشرعي الوارد في هذا المورد نستطيع أن نصل إلى اطمئنان في كثير من الحالات من خلال دراستنا لعمق الموضوع الذي نحيط به من جميع جهاته، مقارناً بموضوع آخر مشابه له في جميع الحالات، مما يجعل احتمال اختلافهما في الحكم احتمالا ضعيفاً، بحيث لا تكون المسألة ظنية بالمعنى المصطلح عليه للظن. بل قد تكون المسألة تقترب من الاطمئنان، إن لم تكن اطمئناناً(3).

900 . تناقض آخر:

الف: المسيحيون كفار بالمصطلح القرآني.

ب: المسيحيون ليسوا كفاراً في المصطلح القرآني.

يقول البعض:

"القرآن أكد أن المسيحيين يلتقون مع المسلمين في توحيد الله { وقولوا: آمنا بالذي انزل الينا، وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون } فالمسلم لا يعتبر المسيحي كافراً في مسألة الإيمان بالله، وإن كان يناقشه في تفاصيل هذا الإيمان"(4).

---

(1) الندوة ج5 ص618.

(2) راجع: تأملات في آفاق الإمام الكاظم ص4440.

(3) مجلة المنطلق عدد 111 ص76.

(4) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي 321.

ويقول: "ليس معنى أن القرآن يقول عن أهل الكتاب أنهم كافرون: أنه الكفر الذي يخرجهم عن الايمان بالله وعن توحيده. ولكن معناه الكفر بالرسول"(1).

ولكنه عاد فناقض نفسه حين قال:

"أهل الكتاب كافرون لأنهم يكفرون بصفة الله: { لقد كفر الذين قالوا: ان الله هو المسيح بن مريم } {المائدة / 17} { لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة } {المائدة /73} فهو كفر باعتبار أن الايمان يفرض التوحيد والإخلاص. { قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد , ولم يكن له كفواً أحد } .{الإخلاص /1 . 4}.

فكل من لم يلتزم بهذه الوحدانية فهو كافر بهذه العقيدة. وهم كافرون بالرسول وبالقرآن أيضاً، ولا يعتبرونه كتاب الله.

لكنهم بحسب المصطلح القرآني ليسوا مشركين الخ.." (2)

901 . تناقض آخر:

الف: اطمئنان العوام حجة يصح العمل به في التقليد.

ب: إذا لم يكن مجتهداً فلا يحق له الاعتماد على الاطمئنان.

ج: من لا خبرة له بشيء ليس له يقول اطمئن أو لا أطمئن.

قد أفتى البعض بإمكان الاستغناء عن شهادة أهل الخبرة في مرجع التقليد وقال: "إن اطمئنان الشخص العامي بأن فلاناً مجتهد جامع لسائر الشرائط، يكفي في جواز رجوعه إليه، وتقليده له.."(3).

ولكنه عاد فناقض نفسه حين سئل:

هل يستطيع المكلف أن يقول: إني لا أطمئن إلى من يعتمد على الكتاب والسنة، والعقل، والإجماع؟

فأجاب:

".. إذا كان مجتهداً بحيث يقدر أن يقول ذلك، فهذا من حقه كمجتهد. أما إذا لم يكن مجتهداً فما دخله في ذلك؟!

---

(1) المصدر السابق ص294.

(2) فكر وثقافة عدد 170 ص3 بتاريخ 1421/2/9 هـ.

(3) قد أعلن ذلك في أكثر من مناسبة وراجع على سبيل المثال المسائل الفقهية ج1 ص15.

فالشخص الذي ليس عنده خبرة بشيء ليس له أن يقول: أطمئن، أو لا أطمئن بهذا الشيء، وإلا يكون كمن يقول: أن لا أطمئن للذي يصف العملية الجراحية للمرض الفلاني، فالإنسان الذي يحترم علمه وعلم الآخرين يقول بالاطمئنان وعدمه. أما الأمر الذي يجهله، ولا يملك رأياً يعتد به فيه فما شغله في

ذلك؟!(1).

ونقول:

فإذا صح كلامه هذا.. فكيف أفتى للناس بجواز الاعتماد على اطمئنانهم في مرجع التقليد، وهم لا يملكون خبرة في الاجتهاد، ولا في غيره؟!.

902 . تناقض آخر..

الف: لا يثبت بخبر الواحد غير الشرعيات.

ب: تثبت الأمور الشرعية وغير الشرعية بخبر الواحد.

قد ذكرنا في هذا الجزء وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب نصوصاً صريحة في أن هذا البعض يصر على عدم كفاية الظن، ولزوم تحصيل اليقين في غير الأمور الشرعية، مثل الكونيات، والتاريخ والتفسير، وصفات الأشخاص والعقائد إلخ..

ولكنه في محاولاته الرد على ما ذكره آية الله العظمى الشيخ التبريزي حفظه الله، قال في الجواب رقم 15 وهو يتحدث عن ثبوت حديث الأنوار، حول حجية خبر الواحد:

".. لكن بناءً على رأينا في ثبوت الحجية ببناء العقلاء، فان مقتضاه ثبوت الأمور الشرعية، وغير الشرعية بالخبر الموثوق به نوعاً".

وفي الإجابة رقم 16 في محاولاته الرد على كلام آية الله التبريزي يحاول أن يبرر مقولته بأن فاطمة (عليها السلام) أول مؤلفة في الإسلام فيقول:

"ولكن ما ينافي حجية الخبر هو حجية الخبر الموثوق به نوعاً، ويكفي في الوثوق عدم وجود ما يدعو إلى الكذب فيه. وعلى ضوء هذا، فان نسبة الكتاب إلى فاطمة (ع) يدل على أنها صاحبة الكتاب، كما أن نسبة الكتاب إلى علي (ع) فيما ورد من الأئمة (ع) عن كتاب علي، يتبادر منه: أن صاحبه علي (ع).

وخلاصة ذلك: أنه لا مانع من القول: انها أول مؤلفة في الإسلام، كما أن علياً (ع) أول مؤلف في الإسلام".

903 . من تناقضاته في المنهج.

---

(1) فكر وثقافة عدد 181 ص4 بتاريخ 1421/4/28 هـ.

يقول البعض: إن:

الف: العنوان القرآني هو الأصل، في موضوعات الاحكام.

ب: يجب ردّ الموضوعات التي في السنة إلى العنوان القرآني.

ج: السنة لا تخصص ولا تعمم القرآن.
د: الحديث الموثوق يخصص القرآن ويعممه .
وإليك كلماته:
"إننا نرى أن العنوان القرآني في موضوعات الأحكام هو الأصل فلا بد من رد الموضوعات الموجودة في السنة إليه، إذا اختلفت المسألة فيها سعة وضيقاً، ونحو ذلك"(1).
وقد تقدم له تناقض آخر في الجزء الأول من هذا الكتاب ص284 و285 فراجعه.
ومعنى ذلك: أن الحديث لا يخصص ولا يعمم القرآن... بل القرآن هو الذي يؤثر ذلك في الحديث حين يختلفان سعة وضيقاً، لكنه يعود فيناقض نفسه من جديد.
فهو يقول:
"لا بدّ لنا أن ندرس الكتاب والسنّة، فالله عز وجل يقول: { ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا } (2) فالأساس هو أن نعتمد على ظواهر القرآن، ولكن إذا ورد ما يخصص عموم القرآن، ويقيّد إطلاقه، ويعطينا فكرة تتناسب مع السياق، فلا مانع من الأخذ بالرواية، خصوصاً إذا كانت بأعلى درجات الوثاقة بحيث يمكن لنا أن نرفع اليد عن ظاهر القرآن لحسابها"(3).
فكلامه هذا يفيد: أن السنة يمكن أن تقيد، وأن تخصص القرآن، خصوصاً إذا كانت من الوثاقة بحيث يمكن لنا أن نرفع اليد عن ظاهر القرآن لحسابها.

فهارس الكتاب :

الفهرس الأجمالى:
الفهرس التفصيلي:

الفهرس الإجمالي للكتاب

القسم الثاني: إعتقادات ومقولات صرح بها..... 11 . 194
الفصل الأول: عقائد.. وحقائق ..... 13 . 74
الفصل الثاني: وهذا أيضاً من أقواله.. ..... 75 . 118
الفصل الثالث: الدفاع عن أعداء الله..... 119 . 154
الفصل الرابع: عن الإنجيل، والتوراة:..... 155 . 166

(1) فقه الحياة ص 37.
(2) سورة الحشر الآية 7 .
(3) الندوة ج5 ص452.

الفصل الخامس: تناقضات، أم تراجعات؟!..... 167 . 194
الفهارس..... 197 . 211

الفهرس التفصيلي للكتاب

تقديم..... 7
القسم الثاني: إعتقادات ومقولات صرح بها..... 11
الفصل الأول: عقائد.. وحقائق..... 13
بداية..... 15
ما في هذا الفصل..... 16
757 . لا مانع من أن تكون فواتح السور من كلام النبي (ص)... 16
758 . فواتح السور ليس لها مدلول معين ولا مضمون واضح... 16
759 . كون الحروف المقطعة مزيدة في القرآن رأي معقول..... 16
760 . الرأي بزيادة الحروف المقطعة منسجم مع أجواء العداء... 16
761 . المانع من تبني هذا الرأي هو: كون غالب السور مدنية... 16
وقفة قصيرة..... 17
762 . الإمامة من المتحول لا من الثابث..... 22
763 . الإمامة تتحرك في النصوص الخاضعة للإجتهاد..... 22
764 . نصوص الإمامة ليست صريحة بحيث لا يحتمل الخلاف
فيها..... 22
765 . نصوص الإمامة ليست بدرجة عدم إمكان الشك فيها... 22
766 . الحسن والقبح العقليان من المتحول..... 22
767 . الحسن والقبح العقليين ليست موثوقة بدرجة لا شك فيها. 22
768 . نصوص الحسن والقبح العقليين ليست موثوقة لا يحتمل الخلاف

فيها..... 22
وقفة قصيرة..... 23
769 . لا يتدخل أحد إلا بأذنه الذي يلقيه الله إليه فيما يريد، وفيما لا يريد..... 25
770 . لا معنى لأن يتوجه الإنسان للشفعاء ولو عبر الواسطة..... 25
771 . المطلوب هو التخلص من الإغراق في أسلوب الطلب من الأنبياء والأولياء. 25
772 . الإغراق في الطلب من النبي والولي الى حد ينسى الطالب ربه مرفوض..... 25
773 . يستغرق في ذات النبي والولي حتى ينسى ربه..... 25
774 . لا يملك أحد أن يتدخل في إنقاذ أحد من خلال موقع مميز خاص..... 25
وقفة قصيرة..... 27
775 . تقاليد العوام في زيارة القبور قد تتّخذ منحى خطيراً في خط الإنحراف..... 30
776 . لا يكفي في إستقامة العقيدة عدم الدليل على المنع من بعض الأعمال..... 30
777 . الخلط بين مظاهر احترام الخالق والخلق ممنوع.. ولو لم يكن كفراً أو شركاً..... 30
778 . ما يدعى به الله لا يدعى به غيره..... 30
779 . يعقوب سجد ليوسف تحيّة وتعظيماً..... 30
780 . سجود يعقوب ليوسف لأن ذلك كان هو التقليد الشائع في احترام السلطان..... 30
وقفة قصيرة..... 32
والملفت للنظر هنا..... 38
781 . أدلة الرجعة لم يأت بها القرآن..... 42
782 . أدلة الرجعة ليست قطعية..... 42

783 . أدلة الرجعة هي الأحاديث المتواترة..... 42
784 . أدلة المعاد قطعية لأنها من القرآن..... 42

وقفة قصيرة..... 42
785 . آيات الخلود في النار تدل على الإستحقاق لا الفعلية.... 46
786 . الإسلام قد يكون سبباً في العفو، فلا يخلد المسلم في
النار..... 46
وقفة قصيرة..... 47
786 . لا حقيقة للألفاظ بذاتها يمكن أن يترتب عليها أثر..... 47
787 . إذابة اسم الله في الماء لا يحدث الشفاء..... 47
788 . إذا ذاب الإسم في الماء لا تعود له حقيقته..... 47
789 . الذي يذوب في الماء هو الحبر وليس هو الإسم..... 47
790 . نسبة أي فاعلية للإسم ستعود للحبر والى ما ليس له حقيقة ووجود وهذا
محال..... 47
وقفة قصيرة..... 50
791 . لا فضل للملائكة في فعل الخير..... 51
792 . الملائكة يمارسون الخير تكويناً..... 51
793 . النوع الإنساني هو المستخلف..... 51
وقفة قصيرة..... 52
794 . قد يكون آباء النبي (ص) كفاراً..... 54
795 . المهم أن لا يكونوا أبناء زنا..... 54
796 . العقل لا يقبح كفرهم بشرط أن يكون النكاح شرعياً لا
زنا..... 55
وقفة قصيرة..... 56
797 . التقلب في أصلاب الآباء الأنبياء لا يدل على أن أولئك الأنبياء كانوا
مؤمنين!!..... 61
وقفة قصيرة.....62
798 . كلمة (المؤمن) في القرآن لا يقصد بها الإثنا عشري..... 64

وقفة قصيرة..... 64
799 . الإسلام لم يعتبر مناسبة الميلاد قيمة في الخط التربوي ولا في الواقع الإجتماعي..... 65
800 . هذه التقاليد ليست تقاليدنا. 65
801 . تاريخ الإنسان يبدأ من دوره لا من ولادته..... 66
802 . الإسلام بشكل عام لا يهتم بمناسبة المولد..... 66
وقفة قصيرة..... 67
803 . لا يثق برواية البعثة في رجب..... 72
وقفة قصيرة..... 72
الفصل الثاني: وهذا أيضاً من أقواله..... 75
بداية..... 77
804 . الأحاديث القدسية هي ما كان ينزل على الأنبياء السابقين ونقلها المعصومون عنهم..... 77
وقفة قصيرة..... 78
805 . كذب الوقاتون: تشمل أحاديث الأئمة !!!..... 78
806 . كذب الوقاتون: تشمل مدة حياته بعد خروجه..... 78
وقفة قصيرة..... 79
807 . لا مقدسات في الحوار..... 80
808 . قد حاور الله تعالى إبليس..... 80
وقفة قصيرة..... 81
809 . هل تواعد أبو بكر مع النبي (ص) على الخروج معاً ليلة الهجرة..... 87
810 . أبو بكر خشي على نفسه وعلى النبي..... 87
811 . النبي يقول لأخيه ابي بكر: لا تحزن إن الله معنا..... 87
812 . كان الإهتزاز الروحي والفكري والعملي لابي بكر في البلاء والمحنة فثبته النبي (ص)..... 87
وقفة قصيرة..... 89
813 . الخلفاء الراشدون حاولوا اقتفاء أثر الرسول في كل أمور

الدولة..... 91
814 . الخلفاء عملوا على استلهام القرآن في كل أمور الدولة..... 91
وقفة قصيرة..... 92
815 . علي(ع) إنما حمل لواء المهاجرين في حنين..... 93
816 . الألوية والرايات تعددت في حنين وكثرت..... 93
817 . ثبت أبو بكر وعمر وأناس من أهل بيت النبي وأصحابه... 94
وقفة قصيرة..... 95
وخلاصة القول..... 106
818 . الإمام الصادق(ع) يقدم مخدته لمالك بن أنس ليجلس
عليها..... 106
819 . الإمام الصادق(ع) يعرف قدراً لمالك بن أنس..... 106
820 . الإمام الصادق(ع) يفيض بمشاعر الحب لمالك بن أنس... 106
821 . علم مالك وخلقه هما سبب حب الإمام(ع) له..... 106
وقفة قصيرة..... 107
822 . خالد بن الوليد ولي شرعي لعمار وللمسلمين..... 108
823 . تنزل الآية بإطاعة أولي الأمر في مورد معصيتهم لله..... 108
824 . ولاية خالد هي في الدائرة الخاصة..... 108
وقفة قصيرة..... 109
825 . خير أمة أخرجت للناس نزلت في ابن مسعود..... 111
826 . خير أمة أخرجت للناس نزلت في معاذ بن جبل..... 111
827 . خير أمة أخرجت للناس نزلت في سالم مولى أبي حذيفة. 111
وقفة قصيرة..... 112

828 . طبيعة التشريع لا تمنع من وجود سلبيات مع الإيجابيات.. 114
829 . الإعتراف بسلبيات التشريع قوة لنا ومأزق للآخرين.. 114
830 . الدعاة يحرجون حين يجدون صحة نقد الكافرين للتشريعات أو المفاهيم
الإسلامية..... 114
831 . ليس هناك فعل يكون خيراً كله..... 114
832 . ليس هناك خير لا شرّ فيه..... 114

833 . لا بد من السلبيات على كل حال..... 114
834 . لا يوجد شر لا خير فيه..... 114
835 . اعترافنا بوجود سلبيات في التشريع لا يسقطه..... 115
836 . اعترافنا بالسلبيات في المفهوم الإسلامي لا يسقطه..... 115
837 . إذا تحدثنا عن السلبيات في التشريع نتفادى الكثير من
المآزق..... 115
838 . اعترافنا بالسلبيات نتفادى به ضعف الموقف..... 115
وقفة قصيرة..... 116
الفصل الثالث: الدفاع عن أعداء الله..... 119
يقول البعض: أسعى لاقتحام المسلمات..... 119
بداية..... 121
839 . مصادرة كتب الضلال لا تحقّق النتائج المرجوّة..... 121
840 . مصادرة الكتب ومهاجمة الكاتب.. تجعل لهما شعبية
وتأييداً..... 121
841 . لو أخذت كتب الضلال طريقها بسلام قد لا تحدث لها هذه
الشعبية..... 121
842 . ربما كانت مصادرة الكتب في الماضي تقوّي الحق وتضعف
الباطل..... 121
843 . التصدّي للكتب اليوم يقوّي الباطل، ويضعف الحق..... 121

844 . كلما أهملت كتاب الضلال أكثر كلما فقد قوته أكثر... 121
845 . أعط الحرية للباطل تحجّمه..... 122
846 . أعط الحرية للضلال تحاصرها..... 122
847 . الباطل اذا ظهر فقد يقبله الآخرون وقد لا يقبلونه..... 122
848 . إذا اضطهد الباطل ولاحقت من يلتزم به، فسياخذ معنى
الشهادة..... 122
849 . إضطهاد الباطل يجعله الفكر الشهيد..... 122
850 . نحن نعطي الباطل قوّته إذا منعناه حريته..... 112
851 . إذا اعطيناه الحرية وناقشناه فسينكمش..... 122

852 . علماء دين ومثقفون يحبّون الراحة في الحوار فيمارسون قمع الفكر الآخر من الحوار..... 122
وقفة قصيرة..... 125
853 . ان هذه دراسات من قِبَل أناس مثقفين..... 128
854 . ان هؤلاء الدارسين قد اخطأوا في آلية الدراسة، حيث توجهوا إلى التوراة المحرّفة..... 128
855 . انهم باحثون يجهلون ما يقوله القرآن عن الأنبياء..... 128
856 . لو رجعوا إلى القرآن لعرفوا: انه يبيّن عصمة الأنبياء وصفاءهم وإخلاصهم لله..... 128
857 . كلامه يعنى: أن عصمة الأنبياء تحتاج إلى بيان قرآني..... 128
858 . لا مصلحة في التصدي لهؤلاء الناس، لأن ذلك يستغل ممن لا يعي النتائج السلبية..... 128
859 . قصة زواج الأخوة بالأخوات من أبناء آدم تمنع من مصادرة القضية الفلسطينية ومن قتل المسلمين..... 128
860 . لا مصلحة في التصدّي لمن يسبّ الإنبياء لأن الإستكبار يستغل ذلك..... 128
861 . لا مصلحة في التصدّي.. لأن الاستعمار يصادر القضية الفلسطينية..... 128
862 . لا مصلحة في التصدّي.. لأن الاستعمار يقتل المسلمين.. 128
وقفة قصيرة..... 134
863 . الدعوة إلى تجميد حكم إسلامي بلا مبرر..... 141
864 . الحكم الإسلامي بالكفر يظهر الشخص بصورة المضطهد..... 141
865 . الحكم الإسلامي يكسب المحكوم عليه عطفاً في مسألة التفريق بينه وبين زوجته..... 141
866 . لو عولجت قضية نصر أبو زيد بطرح أفكار تعارضه وتنتقده لما كبرت القضية في الإعلام العالمي..... 141
867 . إصدار حكم الإسلام في حق ابي زيد أخرج قضيّته عن حجمها

الطبيعي..... 141
868 . ليس هناك في العالم من يجحد الفكر الديني..... 141
869 . لا يجحدون الفكر الديني رغم رسمهم علامات إستفهام حول وجود الخالق..... 142
870 . لا يوجد ملحد في العالم..... 142
871 . الملحدون لا ينكرون، ولكنهم يشكّون..... 142
872 . أدلة الملحدين هي رفض أدلة وجود الله..... 142
873 . الملحدون يعجزون عن الاستدلال على عدم وجود الله.. 142
874 . الشكّ في وجود الله ليس كفراً..... 142
وقفة قصيرة..... 144
875 . الشكّ في العقيدة ليس كفراً 148
876 . البقاء على الشك لا يجعله مرتداً..... 148
877 . الإقتناع بالكفر لا يجعله مرتداً ما لم يعلن ذلك..... 148
878 . الإعلان بالكفر هو الجريمة وليس الكفر نفسه..... 148
وقفة قصيرة..... 150
الفصل الرابع: عن الإنجيل، والتوراة..... 155
بداية..... 157
879 . ليس من المعلوم أن الإنجيل معرض للنسخ..... 157
880 . احكام الإنجيل هي أحكام القرآن..... 157
881 . هذا الإنجيل لا يتعرض للشريعة المفصّلة لكي ينسخ..... 157
882 . الإنجيل أخلاق ومبادئ وقيم عامة في البعد الروحي والإنساني فلا مجال لنسخه..... 157
883 . القرآن مصدّق لهذا الإنجيل الموجود بين أيدينا..... 157
884 . الحاجات الطارئة بعد التوراة والإنجيل فرضت إحداث اجتهاد جديد..... 157
885 . المفاهيم القديمة في التوراة والإنجيل تتبدل..... 158
886 . والإنجيل والتوراة اللذين بين أيدينا هما نفس اللذين كانا في زمن النبي (ص)..... 158

887 . التحريف في التوراة والإنجيل مختص ببعض الجزئيات كالبشارة بالرسول (ص)..... 158
888 . لو كان تحريف التوراة والإنجيل كبيراً..... 158
889 . الحُكم بما في هذا الإنجيل من مبادئ وقيم يلتقي بالحُكم بما في القرآن..... 158
وقفة قصيرة..... 159
الفصل الخامس: تناقضات، أم تراجعات؟!..... 167
بداية الحديث..... 169
890 . التناقض الأول..... 171

891 . تناقض آخر..... 173
892 . تناقض آخر..... 175
893 . تناقض آخر..... 177
894 . تناقض آخر..... 180
895 . تناقض آخر..... 181
896 . تناقض آخر: يقول البعض تارة:..... 182
897 . يضاف هنا تناقض آخر..... 184
898 . تناقض آخر..... 184
899 . تناقض آخر..... 187
900 . تناقض آخر..... 188
901 . تناقض آخر..... 190
902 . تناقض آخر..... 191
903 . من تناقضاته في المنهج..... 192

خلفيات
كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام)

خلفيات
كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام)

الجزء الخامس

العلاّمة المحقق
السيد جعفر مرتضىالعاملي

دار السيرة
بيروت . لبنان

كل الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم
القسم الثالث:
آراء ومواقف..

الفصل الأول:
التشهير بالعلماء
وبالحوزات العلمية
وبالشيعة..

بداية:
العلماء والحوزات العلمية، وكذلك الصفوة من المؤمنين الملتزمين، هم المنارة التي تبعث نور المعرفة في كل اتجاه، وهم الحصون المنيعة التي تحفظ هذا الدين، وتذود عن حياضه، وترفع أعلامه وبيارقه خفّاقة في سماء العز والعظمة والسؤدد، فأي إضعاف لها ولهم أو تشويه لصورتها، سيؤثّر سلباً على ثقة الناس بها، وبهم، وسيحوّل سكون نفوسهم إليهم و إليها إلى قلق، وتشويش ثم إلى فراغ يجد فيه أعداء الدين فرصتهم الذهبية لإقتحام حصون الإيمان، ونسف قواعده، وإسقاط بنائه الشامخ العتيد، وليهينوا . من ثم . ما عزّ وغلا بلؤمهم الرخيص، وحقدهم البغيض..

ونحن نذكر في هذا الفصل طائفة من مقولات هذا البعض فيما يرتبط بالعلماء، وبالحوزات، وبالشيعة بصورة عامة.. لتضاف من ثَمّ إلى ما ذكرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب.. فنقول:

904 . تجمّد مفهوم المسلمين لدينهم.

905 . المسلمون يتعلّقون باللفظ دون المعنى.

906 . المسلمون عاجزون عن استحضار القيمة الحقيقية للإستغفار.

907 . المسلمون تعاملوا مع الإستغفار كعبارة لغوية معلّبة.

يقول البعض:

" لقد تجمّد مفهوم المسلمين لدينهم، فأصبحوا يتعلّقون باللّفظ دون المعنى. ونحن نرى أن القرآن كان منطلقاً فكرياً. أما الدعاء، وأعني هنا الدعاء النبوي بشكل خاص، فقد كان تجسيداً لخبرة وتجربة الرسول (صلى الله عليه وآله) التي نستوحيها ونستلهمها.."(1).

ويقول:

---

(1) جريدة الشرق الأوسط، عدد 8001 بتاريخ: 200/10/24

"ونحن نرى: أن المشكلة في قضية الإستغفار بالتحديد هي عدم قدرة المسلمين على استحضار القيمة الحقيقية للإستغفار، التي ترتبط بالسلوك، وتنعكس عليه. بل إنهم . بكل أسف . تعاملوا معها باعتبارها عبارة لغوية معلّبة، الغرض منها، هو ترديدها لفظاً"(1).

وقفة قصيرة:

إنك تراه يشتم المسلمين جميعاً، ويهينهم، وينسب إليهم جمود مفهوم الدين لديهم، وإنهم يتعلّقون باللفظ دون المعنى.. ليُظهر نفسه على أنه هو المنفتح المجدّد، والواعي، فيقول: "ونحن نرى أن القرآن كان منطلقاً فكرياً إلخ.."

ثم هو يشتم المسلمين مرة أخرى، ويهينهم، ويتهمهم بأنهم "غير قادرين على استحضار القيمة الحقيقية للإستغفار إلخ.." مظهراً نفسه أنه المفكّر والواعي الذي يعرف المشكلة، ويأسف لطريقة تعامل المسلمين معها.

908 . كيف يكون مؤمناً ويغتاب المراجع؟!

909 . يغتاب بحجّة نصرة المذهب ومواجهة الضلال.

910 . لا يريدون نصرة المذهب ولا مواجهة الضلال ولكنه الشيطان يوسوس.

سئل البعض:

لي صديق عزيز أذهب إليه، ونجلس، ونتحدث، ولكنه يتكلم بالسوء على مرجعيّة كبيرة ومؤمنة. وعندما

أقول له: لا يجوز ذلك. لا يقبل مني، بل يزيد حملاته، وهو إنسان مؤمن.
فأجاب:
".. كيف يكون مؤمناً، وهو يغتاب المراجع؟، وهو يعلم أن الغيبة طعام كلاب أهل النار. وأن الله تعالى يقول: ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه (الحجرات/12). وأن الغيبة أشد من الزنا. قالوا: كيف؟، لأن الزنا قد يغفره الله للإنسان إذا تاب، ولكن الغيبة لا يغفرها الله، حتى يغفرها صاحبها.
لقد أصبح البعض من الناس يبرر لنفسه إغتياب الآخرين بعناوين مختلفة؛ فمنهم من يقول أريد نصرة المذهب، والوقوف ضد الضلال، وهكذا.. ولكنه الشيطان يوسوس لبعض الناس"(2).
وقفة قصيرة:

---

(1) المصدر السابق.
(2) فكر وثقافة عدد 185 ص4بتاريخ 26 ج1 سنة 1421 هـ.

1 . لا أدري كيف أجاز هذا البعض لنفسه أن ينفي الإيمان عن إنسان، لمجرّد أنه ارتكب جريمة الغيبة.
2 . من أين علم أن ما يذكره ذلك الصديق لصديقه هو من مفردات الغيبة المحرّمة، فلعل تلك المرجعية التي يتحدث عنها تستحق أكثر من ذلك.. بسبب ما صدر عنها من مخالفات للدين وللإسلام كله، وبنظر هذا المغتاب؟ ولعل المغتاب قد سمع أو قرأ ما يبرر له غيبة ذلك الذي يوصف بأنه "مرجعية"..
3 . وحتى لو لم تكن تلك المرجعية بهذه المثابة من الإنحراف والسقوط، فلعل ذلك الصديق الذي أحبه ذلك الرجل، ولمس منه الإيمان والتقوى . لعله . معذور في إغتيابه لذلك الشخص.
وكون له عنوان كبير لا يدفع هذا الاحتمال، ولا يزيل آثاره.
4 . لماذا لا نقبل ممن يقول: أريد نصرة المذهب، ومواجهة الضلال، ونصدقه فيما يقول؟، أو لماذا لا نأخذ كلامه مأخذ الجدّ على الأقل ونحقق وندقق في الأمر؟! وكيف صح من هذا البعض أن يعتبر ذلك وسوسات شيطانية؟!.
5 . ثم إن نفس هذا البعض يغتاب المراجع، ويصفهم بعدم التقوى، ويصغّر من شأنهم، ويصورهم على أنهم ألعوبة في أيدي غيرهم حتى على شاشات التلفاز وفي الإذاعات وعلى صفحات الصحف والمجلات..، فهل نأخذ بمداليل كلامه حتى إلى هذا الحدّ؟!.
وقد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب طائفة من كلامه على العلماء،و على المراجع، والحوزات.
وسنذكر هنا أيضاً بعض كلماته التي تصبّ في هذا الإتجاه.
6 . إن هذا البعض يقول: "إن النفي يحتاج إلى دليل، والإثبات كذلك" ويقول: "إن الدليل لابد أن يوجب

اليقين"، فما دليله على نفي الإيمان عن هذا المسؤول عنه؟!.

911 . لا يجوز التهجّم على علماء الدين.

ثم يناقض نفسه فيتهجم على المراجع والعلماء فيقول:

912 . من يضلّل ويكفّر.. لا يستعمل علمه.

913 . المشكلة في من يضلل ويكفر هو إنعدام التقوى.

سئل البعض:

هل يجوز التهجم على علماء الدين وغيرهم لسبب أو لآخر، مع عدم معرفتنا بظروفهم، وعدم الإطلاع على طبيعة أوضاعهم؟!.

فأجاب:

"لا يجوز ذلك"(1).

ولم نعرف إن كان مقصوده: أنه مع الاطلاع على الأوضاع والظروف يجوز التهجّم على العلماء، أم أنه لا يجوز.

ولأجل ذلك اتجهنا نحو بيانات أخرى لهذا البعض، فوجدناه قد سئل مرة أخرى، وذلك في الأسبوع التالي للأسبوع الذي وجه إليه فيه السؤال السابق فقيل له: ما هو الحكم في الطعن بسيرة العالم وتسقيطه.

فأجاب:

"هذا إجرام وربما يصل إلى درجة كبيرة من الحرمة، لأنه إساءة إلى موقع القيادة الربانية"(2)

وحتى هذا المقدار لم يقنعنا أيضاً، فتابعناه في الأسابيع التالية، فوجدناه يوجّه له سؤال آخر بعد شهر واحد من توجيه السؤال السابق، والسؤال هو:

يطلق بعض الناس العنان لألسنتهم في الكلام حول المراجع العظام، والعلماء العاملين. وفي كل مكان يجلسون فيه يتحدثون عن أن المجتهد الفلانى أصدر فتوى بكذا. أو حرم كذا، وأحلّ كذا، ويبدأون بتقييم هؤلاء، وتقييم هؤلاء، وتقييم فتاواهم. فما رأيكم بمثل هذا الصنف من الناس.

فأجاب:

"السؤال أولاً: هل أن هؤلاء يملكون الثقافة الشرعية فيما يقيّمون؟! وهل يمكلون التقوى التي يستطيعون من خلالها أن يقيموا العلماء والمراجع؟! ذلك أن كثيراً من هؤلاء إما أن يكونوا من العوام، أو من أشباه العوام بأساليبهم وبطريقتهم.."

الى أن قال:

"وباختصار نقول: إن الشخص الذي ليس عنده علم وثقافة لا يصح أن يتدخل في هذه الأمور. والذي عنده علم يسأل عن الدليل.

أما الذي عنده علم، ويضلّل، ويكفّر الناس، فهذا لا يستعمل علمه. وإلا فمن السهل أن يتّهم، ويفسّق الناس على الطريقة السائدة في الأوساط السياسية: فهذا خائن، وهذا عميل.

---

(1) فكر وثقافة عدد 170- ص4 بتاريخ 1421/2/9 هـ.
(2) فكر وثقافة عدد 171 ص4بتاريخ 1421/2/16 هـ.

ولدينا الشيء نفسه، فهذا كافر، وهذا فاسق، وهذا ضال. والمشكلة هي انعدام التقوى.
وحينما نقول: ان لا دخل للجاهل في هذه الأمور، لأنه لا يعرف أسس الفتوى، نرى أن البعض يقول: إن العلماء السابقين الخ.."(1)
وقفة قصيرة:
1 . إننا لا نريد أن نناقش ما قاله هذا البعض هنا، ولكننا نلفت نظر القارئ إلى أن الجواب لا يتناسب مع السؤال.. فإنه سأله عن أناس يتداولون فيما بينهم الحديث عن فتاوى العلماء، ويقيّمونها.. فجاء الجواب بهذه الطريقة القاسية التي تحمل في طياتها الكثير من الإهانة لهم..
فهل تقييم الأشخاص فيما يعلنون به من أفعال.. سواء أكانت فتاوى أم غيرها حرام وممنوع، حتى استحق هؤلاء هذه القسوة من هذا البعض؟!
أم أن ذلك يعتبر من مفردات الغيبة عنده؟!.
وهل الحديث عما هو ظاهر ومعروف ويتداوله الناس وخصوصاً تقييم الفتاوى، ومن يفتي بها، بهدف الرجوع إليه في التقليد، أو بهدف تلمس مواقع الصواب والخطأ، هل يعتبر جريمة تستحق كل هذه الضجّة والقسوة والإهانات؟!
2 . كيف ولماذا يشكّك بتقوى هؤلاء الذين يحاولون تقييم الفتوى والمفتي؟!. ولنفرض جدلاً . أنهم قد اخطأوا ويخطئون في التصدّي لأمر ليسوا أهلاً له.. فهل ذلك يخرجهم عن جادة التقوى؟!!
3 . ونلاحظ: أنه حكم على العالم الذي يصدر حكمه على البعض بالفسق، أو بالضلال أو بالكفر بأنه لا يستعمل علمه.
وسؤالنا هو:
ألف: من أين عرف أنه لم يستعمل علمه فان النفي . حسب قوله هو . يحتاج إلى دليل ولابد أن الدليل . حسب قوله . أيضاً أن يكون قطعياً.
ب: ومن أين عرف أنه يتّهم ويفسّق الناس على الطريقة السائدة عند السياسيين فإن مقتضى حمله على الأحسن هو أن نقول: إنه قد استعمل علمه، واستعمل الطريقة الشرعية الصحيحة التي أدت به إلى هذه النتائج. وانصاع إلى حكم الشرع بوجوب التصدّي لضلال هذا، أو لكفر، أو لفسق ذاك..

(1) فكر وثقافة عدد 175 ص3 بتاريخ 15 ربيع الأول 1421 هـ.

4 . انه حكم على العالم الذي يصدر الحكم على أهل الضلال والفسق بأنه يعاني من "انعدام التقوى".
ونقول له أيضاً:
أولاً: النفي يحتاج الى دليل، حسب قوله. ولابد من أن يكون قطعياً حسب قوله كذلك.
ثانياً: مقتضى الحمل على الأحسن. ومتقضى حمل فعل المسلم على الصحّة هو أن نصفه بأنه في حكمه هذا . الذي يعرّض نفسه فيه لمثل هذه الإهانات . في أقصى درجات التقوى والورع، والانقياد لأحكام الله سبحانه.
وبعدما تقدم فإننا ندعو القارئ العزيز للاطلاع على بعض ما يصف به . هذا البعض علماء الأمة وأعلامها فيما تقدم ويأتي من مطالب في هذا الجزء، وفي الجزء الأول من هذا الكتاب.
5 . إننا نتفهم جيداً ونعطي الحق الكامل لأي إنسان يواجه تهمة مَّا في أن يدافع عن نفسه..
ولكن ليس من حقه أن يمارس في ذلك أساليب غير مشروعة، مثل كيل التهم إلى مراجع الأمة وعلمائها. وتحقيرهم على صفحات الجرائد، ومن خلال الإذاعات، وعلى شاشات التلفزة المحلية منها والإقليمية، وربما العالمية أيضاً، فضلاً عما يسجله في المقابلات، وما يدبلجه في المحاضرات وما إلى ذلك.
إن المتهم إذا كان يعتقد ببراءة نفسه، فما عليه إلا أن يقدم الدليل والحجة..
وكيف وأنى له أن يقدم الدليل على ذلك؟ وهذه كتبه زاخرة بهذه المقولات، وتلك هي الإذاعات وأجهزة التلفاز، وأشرطة الفيديو، وأشرطة التسجيل لم تزل تحمل للناس على مر الأيام التأكيد تلو التأكيد على نفس تلك المقولات التي اعترض عليها علماء الامة وفقهاؤها، ومراجعها ولم يزل هو نفسه يشجّع من حوله على الكتابة والدفاع عن تلك المقولات، وتزيينها للناس، وتمحّل المؤيِّدات لها في قول هذا العالم أو ذاك ونشهد . وللأسف . في كثير مما يقدمونه للناس من كتابات للدفاع عنه عملية خيانة وتزوير، كبيرة وخطيرة جعلتنا نحسب ألف حساب للأخطار التي تنشأ عن هذه الخيانة، وعن ذلك التزوير، نعوذ بالله من الزلل، في القول والفكر وفي العمل..

6 . إن هذا البعض لم يزل يؤنّب الناس على تصدّيهم لأمور لاخبرة لهم فيها. وما قرأناه آنفاً لعله من أخف حملاته على هذا النوع من الناس..
ولكننا نجده في مقابل ذلك يفيض في خطبه لهم على المنابر في كثير من البحوث الكلامية، والاستدلالات الفقهية، وغيرها من العلوم.. وكأنه يدرّسهم دروس الاجتهاد العليا. مع أن الحاضرين تحت

منبره، هم من الناس العاديين الذين لا يمكلون ثقافة فقهية أو غيرها تخوّلهم فهم هذه المطالب، والتمييز بين صحيحها وسقيمها، وحقها وباطلها..

والذين يلقي عليهم دروسه هذه هم الذين إذا اعترض عليه أحدهم بما لا يروق له، يواجهه بالتأنيب واللوم على تصدّيه لأمور لا يفهمها..

ومهما يكن من أمر، فإن بالإمكان التأكد من صدقية هذا القول بأدنى مراجعه لأي كتاب ينشر محاضراته، وأسئلته وأجوبته..

914 . الواقع الشيعي كان خارج التاريخ.

915 . لعل الشيعة عزلوا أنفسهم عن حركة الحياة، أو عزلوهم.

916 . كان الشيعة جماعات منفصلة عن الواقع السياسي والثقافي في العالم.

917 . الذهنية العامة للشيعة في العالم لا تزال ذهنية تقليدية

918 . الواقع الشيعي والحوزات تفكر في الثقافة الفقهية والأصولية للمرجع.

919 . الشيعة وحوزاتهم لا يفكرون بالانفتاح والمعاصرة.

920 . الشيعة والحوزات لا يلاحظون وجود ثقافة سياسية.

921 . الواقع الشيعي والحوزات لا يزال واقعاً تقليدياً

922 . دور المرجع محصور في الفتوى وقبض الحقوق والتراخيص.

923 . الواقع الشيعي والحوزات هو ضد مصلحة التشيع.

924 . لا توجد لدى مراجع النجف وإيران أفكار أو تطلعات بمستوى حاجة الواقع الشيعي.

سئل البعض

ما الفرق بين دور المرجعية الدينية ماضياً وحاضراً؟ كيف هي العلاقة بين المرجعية الدينية وبين موضوع ولاية الفقيه وقيادة النظام الإسلامي؟ وما الضرورات الواجب دراستها في ما يخص المرجعية في العالم الإسلامي؟

فأجاب:

"بالنسبة إلى مسألة المرجعية في الماضي والحاضر أعتقد أن الموضوع مختلف جداً، بحيث أن الشروط التي كانت توضع للمرجع في الماضي، لا بد من إضافة شروط إليها في الحاضر لأن الواقع الشيعي كان خارج التاريخ وكان الشيعة يمثلون مجرّد جماعات منفصلة عن الواقع السياسي والثقافي في العالم، باعتبار أنهم عزلوا أنفسهم أو أن الآخرين عزلوهم عن حركة الحياة. أما الآن فقد أصبح المسلمون الشيعة في قلب التجربة السياسية والثقافية والأمنية في العالم، بحيث نجد أن العالم يعمل على دراسة الفكر الشيعي وكل حركات الشيعة وكل خطوطهم السياسية، مما يفرض وجود قيادة للعالم الإسلامي

الشيعي تختلف عن القيادة السابقة، بحيث لا بد أن تكون . بالإضافة إلى معرفتها الواسعة بالشريعة وتقواها . أن تكون واعية للواقع السياسي العالمي ومنفتحة على الواقع الثقافي العالمي ومنطلقة في سبيل التخطيط للأوضاع الجديدة قبل أن يفرضها الآخرون علينا.

ونحن نلاحظ أن الذهنية العامة لدى الشيعة في العالم لا تزال هي الذهنية التقليدية، التي تنظر إلى الفقيه الذي يراد تقليده باعتباره الأعلم في الفقه والأصول وهو الأورع وما إلى ذلك. وهذا ما لاحظناه في التجربة التي عشناها، سواء في الذين رجعوا إلى المرجع الموجود في النجف أو المرجع الموجود في إيران، فإننا لا نجد في هذا الجانب أية أفكار جديدة أو تطلعات جديدة بالمستوى الذي يحتاجه الواقع الشيعي، لأنه ليست هناك أية مبادرات هنا أو هناك مما يعني أن الواقع الشيعي حتى واقع الحوزات . لا يزال يفكر بأن المرجع الشيعي هو المرجع الذي يتميز بثقافة فقهية أصولية، من دون أن يلاحظ وجود ثقافة سياسية ومعاصرة أو انفتاح على الواقع المعاصر. إن هذا يعني أن الواقع الشيعي . حتى في عالم الحوزات . لا يزال واقعاً تقليدياً، فلا فرق بين موقع وآخر.

ونحن نعتقد أن هذا من الأمور التي هي ضد مصلحة حركة التشيع، لأن دور المرجع بقي محصوراً في إصدار الفتاوى وقبض حقوق وترخيص أخرى ولا دور في خارج نطاق هذا الموضوع.

.. الجديد الذي حصل في واقع التشيع هو مسألة الولاية، باعتبار أن الولي الفقيه هو الإنسان الذي لا بد أن يكون . بالإضافة إلى اجتهاده وعدالته . عارفاً بأمور زمانه ومحيطاً بها ومنفتحاً على كل قضايا الواقع الإسلامي في العالم، لا الواقع الشيعي فحسب بل واقع المستضعفين في العالم".(1)

925 . بعض المراجع يعطون الرأي فيما لا يملكون معرفته.

926 . بعض المراجع يعطون آراءهم اعتماداً على نظرات سريعة.

927 . بعض المراجع يعطون الرأي اعتماداً على غير الثقات.

928 . بعض المراجع يعطون الرأي اعتماداً على من لا يملك دقّة المعرفة.

ويقول البعض أيضاً.

"ونحن نلاحظ أن بعض المراجع قد يعطون الرأي في كثير من المواقف أو المواقع أو الأشخاص فيما لا يملكون معرفته إعتماداً على نظرات سريعة، أو على نقل بعض الأشخاص الذين لا يملكون الثقة أو دقّة المعرفة"(2).

وقفة قصيرة:

1 . إن من يراجع الفقرات التي ذكرناها في هذا الفصل وفي فصل مشابه له ذكرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب.. يخرج بالنتيجة التالية:

إن هذا البعض حين يرمي الطائفة وعلماءها بما يرميهم به نجده يطلق أوصافاً أخرى تخالفها، مثل

التجديد والانفتاح والمعاصرة وما إلى ذلك، ملمّحاً أو مصرّحاً بأنه هو الوحيد . تقريبا . الذي يتحلى بها . فيرسم بذلك لنفسه شخصية ذات مواصفات معينة، ثم يسقطها على الأدلة الشرعية، ثم يقدمها إلى القارئ والمستمع على أساس أنها هي الأدلة، وهي الشرع.. حتى ليجد الانسان العادي نفسه أمام خيار وحيد هو هذا الرجل دون سواه .

---

(1) حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع ص366 و .367

(2) الندوة ج6 ص.513

2 . إننا نريد للقارئ أن يسأل هذا البعض عن المصلحة وعن السبب في طرحه لتساؤلات، واحتمالات ترتبط بواقع طائفة الشيعة الإمامية دون غيرها.. حتى تكون النتيجة هي إظهار هذه الطائفة على أن من الممكن ان تكون هي قد عزلت نفسها عن حركة الحياة، وأن الواقع الشيعي خارج حركة التاريخ، وانه تقليدي. وأنه ضد مصلحة التشيع. وأن الشيعة لا يفكرون بالانفتاح والمعاصرة.. وما إلى ذلك!!.

3 . ثم نريد للقارئ أيضاً أن يسأله عن السبب والسر في مهاجمته للحوزات العلمية للشيعة بهذه الحدّة والشدّة..

4 . ويسأله كذلك عن السر في وصف المراجع بهذه الأوصاف المهينة والمشينة.

5 . ثم نريد من القارئ الكريم أن يقف ليتأمل بتجرّد، ومقارنة، ليعرف من خلال ذلك من هو ذلك الذي لا يملك معرفة كافية في أمور العقيدة.. هل هم المراجع.. الذين تصدّوا لمقولات هذا البعض، التي طالت مختلف شؤون العقيدة، ومفرداتها. والدين وحقائقه، وشعائره ومسلماته..

أم هو الذي أطلق هذا المقولات التي يتعذّر على الإنسان العادي حصرها، وكثير منها تخالف أبده البديهيات فضلاً عن الكثير الآخر الذي هو داء ليس له دواء؟!

ومن هو ذلك الجدير بالثقة، هل هو الحوزات العلمية التي هبّت بعلمائها ومراجعها للدفاع عن حقائق الدين؟ أم هو الذي لا يكل ولا يمل ولا يرتدع عن محاولات التشكيك بهذه الحقيقة وبتلك في مختلف قضايا الدين والإيمان؟!

ومن هو المتسرّع، هل هو الذي يجيب بالمتناقضات في أكثر الأمور حساسية كمسألة العصمة وغيرها؟! أم هو الذي يشكل لجنة من العلماء الموثوقين ليدرسوا مقولات غريبة، أطلقها البعض ولا يزال يؤكدها ويرسخها بمختلف ما يملك من وسائل؟

ومن الذي لا يملك الدقّة في المعرفة؟ ويعيش هاجس العمل السياسي، وتستهلكه النشاطات الاجتماعية.. هل هو هذا البعض؟ أم هم علماء الحوزات العلمية ومراجعها، الذين يقضون عمرهم في التحقيق والتدقيق في أمور الدين، ولا همّ لهم ولا عمل سوى ذلك؟!.

إن الحوزات العلمية هي التي خرّجت أساطين العلم وأفذاذ الرجال، ممن لم يزل هو وغيره يفخرون بهم ويحاول اكتساب الثقة والمقام الرفيع بربط إسمه بإسمهم، وأن يحكي للناس ما يقول عنه: انه تاريخ له معهم..

بل إنه هو نفسه لم يزل يلهج بانتسابه للحوزات العلمية، ويتغنّى باستمرار بالتلمُّذ على أيدي علمائها، خصوصاً السيد الخوئي رحمه الله وغيره والذين عاشوا في النجف يعرفون: إن تلمُّذه عليه كان لفترة وجيزة، لا تقاس بتلمّذ الآخرين. من علماء الأمة ومراجعها على يدي ذلك العالم الجليل والبارع..

خصوصاً إذا أخذنا بنظر الإعتبار الفرق الشاسع بين من يحضر الدرس لمجرد الحضور، فلا يهتم بالقيام بأي نشاط سوى هذا الحضور، وبين من يقضي الساعات ويسهر الليالي للتحقيق في ما سمعه من أستاذه. والتدقيق في النصوص المؤيّدة أو المفنّدة.

929 . الرواسب الجاهلية انعكست على فهم العلماء للنصوص حول المرأة.

930 . أجواء التخلف انعكست على فهم العلماء للنصوص حول المرأة.

931 . العلماء استغرقوا في الجانب الوحيد الذي عاشوه حول المرأة.

932 . النصوص كانت متوافقة مع الذهنية الاجتماعية السائدة.

933 . هناك رواسب جاهلية في عمق المجتمع المسلم.

سئل البعض

هل هذا يعني أن المعرفة الأصح بالنظرة الإسلامية إلى المرأة، تمّت في العصر الحالي، ولماذا؟

فأجاب:

"أعتقد أن عصرنا الحالي هو العصر الذي حقّق فيه علماء الإسلام الانفتاح الأوسع على الجانب الإنساني والاجتماعي الذي يؤكد إنسانية المرأة بالدّرجة ذاتها في تأكيده على إنسانية الرجل.

وربما يعود ذلك إلى الآفاق الجديدة التي فتحت في العالم؛ الأمر الذي جعل العلماء يفكرون في الجانب الآخر من الصورة، وقد كانوا مستغرقين في الجانب الوحيد الذي عايشوه في دائرة مجتمعهم، وفي دائرة النصوص المتوافقة مع الذهنية الاجتماعية السائدة".(1)

ويقول:

---

(1) دنيا المرأة ص29.

"هناك رواسب جاهلية لا تزال موجودة في عمق المجتمع المسلم، وقد انعكست هذه الرواسب متضافرة مع أجواء التخلّف على فهم النصوص المتصلة بقضية المرأة، وهي نصوص قد تكون خاضعة لظرف معين أو لحالة معينة.(1)

934 . نحن أناس متعصبون.

935 . نحن أناس لسنا ملتزمين.

ويسأل البعض:

لماذا يمثل التقليد مشكلة عند الشيعة.

فيجيب:

ويورد في الإجابة كلاماً يتحدث فيه عن لزوم الإبتعاد عن العصبية، وإن "مشكلة التقليد هي مشكلة العصبيات". ويقول: "إن العصبية ليست ديناً (فمن تعصب أو تعصب له، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) ونحن أناس متعصبون، ولسنا ملتزمين)) (2). ويقصد بكلامه هذا شيعة أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم.

936 . التقاليد والعادات تجبر الفكر على الخضوع لها وتبنّيها

937 . التقاليد والعادات تضغط على طريقة التفكير

938 . العلماء الكبار يخافون من مواجهة ضرب الظهور بالسلاسل في عاشوراء

939 . العلماء يخافون من مواجهة ضرب الرؤوس بالسيوف في عاشوراء

940 . العلماء لا بد أن يتأثروا بالأفكار السائدة في المجتمع.

يقول البعض:

"على هذا النحو، تضغط التقاليد والعادات على طريقة التفكير وتجبر الفكر على الخضوع لها وتبنّيها، وهو ما نشهد له أمثلة حيّة في الواقع الإسلامي، حيث تحوّل ضرب الرؤوس بالسيوف وضرب الظهور بالسلاسل في عاشوراء إلى عادة متجذرة يخاف العلماء الكبار الوقوف في وجهها، باعتبار أنها أحد مظاهر التعبير عن الهوية الشيعية.

العلماء كانوا، ومازالوا، جزءاً من المجتمع، وبالتالي، لا بد من أن يتأثروا بالأفكار السائدة فيه".(3)

وقفة قصيرة:

ونقول:

---

(1) دنيا المرأة ص30.

(2) فكر وثقافة العدد 177ص4 بتاريخ 1421/3/29 هـ.

(3) دنيا المرأة ص31.

إن هذا البعض قد وقع في التناقض، فتارة يقول: "العلماء يتأثرون بالأفكار، وبالعادات والتقاليد، ويخضعون لها ويتبنونها.." ومعنى ذلك أنهم يبرزون أفكارهم بلا خوف ولا وجل من أحد، لأنها أفكارهم

وقناعاتهم، وتارة يقول: "ان العلماء يخافون من الناس". ومعنى ذلك أنهم لا يتبنون أفكار الناس ولا يوافقونهم عليها، ولا يخضع فكرهم لها..

والخلاصة: إن الموافق للناس لا يخاف من إبراز ما عنده: والذي يخاف من إبراز ما عنده لا يوافق الناس ولا يتبنّى ما عندهم.

941 . هناك عقليات لا تزال تعيش قبل مئات السنين في أساليبها وفي نظرتها.

942 . عقليات تنظر للأمور من خلال الزوايا المغلقة التي تتحرك فيها

943 . عقليات تنظّر للأمور من الأجواء التجريدية التي تغرق فيها بعيداً عن الواقع.

944 . الكثيرون يعيشون خارج نطاق التاريخ.

945 . إن هؤلاء يفرضون أنفسهم على مواقع الوعي في الأمة..

946 . هؤلاء الكثيرون يفرضون أنفسهم على مواقع القرار.

947 . فرض أنفسهم على مواقع القرار يفقد الأمة توازنها.

948 . فرض أنفسهم على مواقع القرار يضيّعها في متاهات التجريد.

949 . هؤلاء لا يصلحون لمواقع القرار.

950 . الأمة لا تتحرك للمستقبل من خلال كهوف الماضي.

951 . إنهم كهوف تحمل الكثير من الظلام

952 . إنهم كهوف تحمل الكثير من عناصر التخلّف.

سئل البعض:

"في كلمة له أثناء افتتاح مؤتمر عن جمال الدين الأفغاني في طهران(1) حمل رئيس الجمهورية الإسلامية السابق الشيخ رفسنجاني على من أسماهم (المتعصبين في الحوزات الدينية) وأشاد بمن أسماهم أصحاب (العقول المنفتحة) بمنظّري (التغيير الواقعي).

كيف تنظرون إلى هذه الرؤية، وأين هي التحديّات الحقيقية التي تواجه الحوزات الدينيّة وحركة العلماء عموماً؟

فأجاب:

---

(1) عقد هذا المؤتمر في طهران بتاريخ 8 آذار 1997م.

"إنني ألتقي مع هذا الطرح الذي يدرس رسالة الحوزات الدينية دراسة واقعية ميدانية رسالية بحجم الرسالة الموكلة إلى هذه الحوزات في الإنفتاح على العالم بالإسلام.

إنَّ هناك عقليات لا تزال تعيش قبل مئات السنين في أساليبها وفي نظرتها إلى الأمور من خلال الزوايا

المغلقة التي تتحرّك فيها، والأجواء التجريديّة التي تغرق فيها بعيداً عن الواقع. إنَّ هناك الكثيرين من هؤلاء الذين يعيشون خارج نطاق التاريخ، ويفرضون أنفسهم على مواقع الوعي في الأمة، وعلى حركة القرار في الأمة، فيؤدي بالأمة إلى أن تفقد توازنها وتضيع في متاهات التجريد بعيداً عن حركيّة الواقع، إنَّ مثل هؤلاء لا يصلحون لأن يكونوا في مواقع القرار، لأنَّ القرار، سواءً كان فقهيّاً أو سياسيّاً أو اجتماعياً يمثل حركة الأمة نحو المستقبل، ولا يمكن للأمة أن تتحرّك نحو المستقبل من خلال كهوف الماضي التي تحمل الكثير من الظلام ومن عناصر التخلّف"(1).

953 . العلماء قوى تخلّف.

954 . العلماء قوى عنت.

955 . العلماء غير مستعدين للحوار.

956 . العلماء لا يقرؤون.

957 . العلماء لا يسمعون.

958 . العلماء يصدّرون فتاوى ضالة.

959 . العلماء يصدّرون كلمات نابية.

سئل البعض:

الا تعتقدون أن الاختلاف في الاجتهاد يؤدي إلى بروز مدارس مختلفة بعضها يخالف بعضها الآخر؟

فأجاب:

---

(1) بينات ج1ص90.

"هذا صحيح، ولكن هناك فرق بين من يتحدث بطريقة موضوعية علمية وبين من يتحدث بخلاف ذلك. فالسيد الخوئي مثلاً كان لا يرى ولاية الفقيه العامّة، في حين أن السيد الخميني يرى ولاية الفقيه العامة. ولكن كلاً منهم يحترم الآخر، فالسيد الخوئي كان يشجّع جماعة من المؤمنين أن يدفعوا الحقوق الشرعية للثورة الإسلامية في وقتها. وأنا أعرف أن الحكومة العراقية حاولت الضغط على السيد الخوئي لإصدار ولو موقف حيادي بين العراق وبين إيران في الحرب، ولكنه رفض ذلك. ولقد قلت مثلما قال الإمام الخميني إن هذا يحزّ في قلبي ويدميه أكثر من الرصاص، ولست الوحيد في ذلك، فالكثير من العلماء المصلحين المجاهدين يواجهون من قوى التخلّف العنت، فهؤلاء غير مستعدين للحوار، ولا هم يقرأون أو يسمعون، بل يصدّرون الفتاوى الضالّة، والكلمات النابية. وإني لأعتبر الفتاوى التي تتحرك بلا حساب من دون ارتكاز، فتاوى ضالة ولا غرابة أن نرى أنه من نفس الموقع الذي كان يُواجه الإمام الخميني بالأمس يواجه العلماء الصالحون والمجاهدون اليوم.(1)

وقفة قصيرة:

لست أدري كيف نفسر قول هذا البعض عبر إذاعة تابعة له عن علماء الأمة، ومراجع الطائفة بأنهم معقّدون، وأنهم عملاء للمخابرات تارة أو واقعون تحت تأثيرها أخرى، وبأنهم موساد. وأنهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً، وان مثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث، وإن تتركه يلهث، وانهم إنما يفهمون الكلام بغرائزهم هم، وانهم يعانون من عقدة. وأنهم متخلّفون. وأنهم يثيرون الفتنة، ويربكون الساحة، وأنهم، وأنهم..

وأنه هو المصلح، وهو الواعي، والمجاهد، والمنفتح، والمجدّد، والمثقّف، وأنه يقول مثل ما قال الإمام الخميني!!!! وأنه هو العلماء الصالحون والمجاهدون، وأنه..، وأنه..

---

(1) الندوة ج6ص636.

وما ذلك إلا لأنهم واجهوه بكلمة الحق، ولم يقبلوا منه جرأته على الأنبياء، وردّوا عليه تعدّياته على قضايا العقيدة. ونصحوه، وبذلوا الكثير من المحاولات لإصلاح أمره، ورأب الصدع. ودعوه للحوار العلمي.. فرفض. ورفض، وهاجمهم في كل اتجاه وعلى كل صعيد. واستخدم للتشهير بهم وتحقيرهم مختلف التعابير والوسائل المتوفرة لديه.. وما أكثرها..

960 . الكثيرون من المسلمين اليوم يقولون لعلي: كم شعرة في رأسي .

961 . نحن المسلمين نريد دخول الحياة من الزوايا المغلقة.

962 . نحن المسلمين نريد أن نجر ذكرى أهل البيت إلى جو التخلّف.

يقول البعض:

"إنّ الكثيرين منا في ما يتحدثون وفي ما يتناقشون به ومما يثيرونه من أشياء هامشية، قد يقولون لعلي (ع) وللزهراء (ع) وللأئمة (ع) كم شعرة في رأسي، لأن ضيق الفكرة هنا هو ضيق الفكرة نفسه هناك، ولقد أراد علي (ع) من خلال رسول الله (ص)، وكذلك أراد لنا أبناؤه وزوجته الطاهرة (ع)، أن ندخل الحياة من الباب الواسع، ولكننا نريد أن ندخلها من الزوايا المنغلقة، فمشكلة أهل البيت (ع) أنهم أرادوا أن يفتحوا لنا أبواب الوعي، ونحن نريد أن نجرّ ذكراهم إلى جوّ التخلّف لأن المتخلفين لا يحبّون إلاّ أن يعيش الآخرون معهم في أجواء التخلّف" (1).

963 . ندرس الكثير من التاريخ ومن القرآن على أساس مشاعرنا لا عقولنا.

964 . الكثيرون منا موقفهم هو تأويل ما لا ينسجم مع الموروث.

965 . أصبح استظهار النصوص خاضعاً للذهنيات المسبقة لدينا.

966 . صار القرآن صوراً لما نفكر به بدل العكس.

967 . التاريخ صورة لما نفكر به بدل العكس.

968 . عواطفنا تحكم الكثير من حركة البحث عندنا.

969 . لسنا عقلانيين ولا موضوعيين

970 . لا ندرس القرآن والسنة على أساس القواعد التي يتلاقى عليها الناس في فهم النص

971 . التضليل والتفسيق يطال من يقول إن القرآن ظاهر فيما لا يتفق مع المتوارث.

---

(1) الزهراء القدوة ص.348

972 . نحن ضعفاء في الثقافة وفي الحجّة.

يقول البعض:

"مشكلتنا أننا ندرس الكثير من نصوص التاريخ أو نصوص القرآن الكريم على أساس مشاعرنا لا على أساس عقولنا، ولهذا ترى الكثيرين قد يأخذون موقفاً مسبقاً من مختلف القضايا، فإذا كان النص يتفق مع موقفهم أخذوا به، وأما إذا كان لا ينسجم مع ما توارثوه فإنهم يعملون على تأويله وإبعاده عن ظاهره وعن سياقه، ولذا فقد أصبحت عملية استظهار النصوص خاضعة للذهنيات المسبّقة التي نحملها. وغدونا نفرض الكثير من هذه الذهنيات على القرآن نفسه، حتى صار القرآن صورة لما نفكر به، بدل أن يكون ما نفكر به صورة قرآن، والأمر نفسه حصل بالنسبة للمسائل التاريخية التي تتصل ببعض الخطوط الفكرية والثقافية والعقيدية، فإن البعض يختار من النصوص التاريخية ما يناسبه ويرفض منها ما لا يروق له، أو أنه يحاول أن يرتب التاريخ على حسب مزاجه ومذاقه الفكري، لا أن يجعل مزاجه الفكري خاضعاً لنتائج البحث العلمي التاريخي.

تحكّم العاطفة في حركة البحث:

إن مشكلتنا أننا عاطفيون، وعواطفنا هي التي تحكم الكثير من حركة البحث عندنا، ولسنا عقلانيين موضوعيين ندرس الأمور على أساس الكتاب والسنة إنطلاقاً من القواعد التي يتلاقى عليها الناس في فهم النص العربي، ولا نخضع تفكيرنا للنتائج المستفادة من الكتاب والسنة، حتى إذا جاءنا شخص وقال إنّ الكتاب ظاهر في أمر ما، أو السنّة ظاهرة في حكم ما مما لا يتفق مع المألوف والمتوارث، نادينا بالويل والثبور وعظائم الأمور، وتحركت حملات التكفير والتضليل والتفسيق.

إن الذين يتّبعون هذه الأساليب فيتهمون من خالفهم في اجتهاداتهم بالكفر والضلال والفسق والانحراف، ضعفاء في ثقافتهم كما هم ضعفاء في حجّتهم، لأن من يملك الحجة لا يشتم، ومن يملك البرهان الساطع لا ينطق بالكلمات غير المسؤولة"(1).

ونقول:

(1) الزهراء القدوة ص 42 و43.